في مدرسة

آية الله العظمى العارف

الشيخ بهجت

في العقيدة والعرفان والأخلاق

الجزء الأول



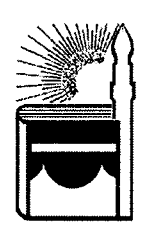
إعداد
لجنة ترجمة ونشر آثار الشيخ بهجت

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

دار الأنام - لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

في مدرسة الشيخ بهجت



مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: .... في مدرسة آية الله العظمى الشيخ بهجت (ج١)

إعداد: ....لجنة ترجمة آثار الشيخ بهجت

الناشر: .... مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

الطبعة الثانية: ١٣٨٤هـ/ ٢٠٠٦م

لبنان / بيروت / الغبيري ص.ب ٢٧٨ / ٢٥

قم/ايران/ ٥٩٨- ٣٧١٨٥

info@Omalqora.net

في مدرسة

آية الله العظمى

الشيخ بهجت

في العقيدة والعرفان والأخلاق

الجزء الأول

إعداد
لجنة ترجمة آثار الشيخ بهجت

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

حول الكتاب

لقد حاولنا في هذا الكتاب «في مدرسة الشيخ بهجت» أن نجمع خلاصة ما صدر أو تمكنّا من الحصول عليه، من كلمات العلامة آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت دام ظله العالي، وأحاديثه وبياناته ومواعظه في المجالات المختلفة. هذا بالإضافة إلى مقدمة حول حياة الشيخ، نعرض فيها موجزاً عن محطات تاريخه العلمي والعملي وشيئاً من كراماته، مع التعرض إلى منهجه وبعض آرائه.

وأحاديث الشيخ حفظه الله وبياناته ـ وهي حصيلة سنوات طويلة ـ تتنوع لتتوزع على مساحات ومجالات مختلفة في العقيدة والأخلاق والعرفان والموعظة والتاريخ والقصص والنوادر، بالإضافة إلى فوائد حوزوية مختلفة تشتمل على نصائح وتوجيهات علمية وعملية وتجارب شخصية عاشها الشيخ طوال تاريخه العلمي الغني.

وإذا التفتنا إلى أن الشيخ بهجت يكاد يكون الوحيد المتبقي من جيل علمي تلمذ عند أساطين في الفقه والأصول والفلسفة، كالميرزا النائيني والمحققين الأصفهاني والعراقي.

وغيرهم، وعلماء كبار في الأخلاق والعرفان كالسيد علي القاضي التبريزي والشيخ مرتضى الطالقاني وآخرين، ندرك قيمة الكثير مما ينقله الشيخ حفظه الله في توثيق تلك المرحلة، وعن ذلك الجيل من نوادر وكرامات وتوجيهات علمية وعملية، كونه قد

عايش ذلك مباشرة ونقل الكثير عنه من دون واسطة.

وإذا أضفنا إلى ذلك ما يمثله سماحة الشيخ شخصيا، من قيمة ومرجعية علمية وعرفانية، وغنىً وتاريخٍ حافل في العبادة والسلوك، والبحث والتأليف، والتدريس والتوجيه، وأدركنا الدقة والغنى بالعمق والتجارب الذي تنطوي عليه توجيهاته ونصائحه، عندئذ يتبين لنا حجم الثروة التي انطوى عليها هذا الكتاب.

ونكتفي بهذه الإشارة تاركين مضمون الكتاب يعرف نفسه لنلفت إلى الملاحظات التالية:

أولاً: تتشكل مواد هذا الكتاب من خلاصة ما حصلنا عليه من أحاديث سماحة العلامة الشيخ بهجت دام ظله، في مجالسه الخاصة والعامة أو مجلس الدرس، حيث اعتاد أن يتحدث لدقائق بداية الدرس أو خاتمته، يتناول خلال ذلك توجيهاً عرفانياً، أو موعظة أخلاقية، أو قصة تربوية من سيرة العلماء وكراماتهم وزهدهم، أو فائدة علمية أو تاريخية، أو تعليقا على وضع اجتماعي أو حدث سياسي. وأضفنا إليه ما وصلنا من خطبه، أو أجوبة المسائل الصادرة عنه في مجالي العقيدة والأخلاق، وقدّمنا لذلك كله بمقدمة موجزة كنا قد أعددناها ونشرناها سابقاً عن حياته وسيرته العلمية والعملية وكراماته والتعريف بشيءٍ من منهجه وآرائه.

وغالبية مواد الكتاب مستقاةٌ من مصادر فارسية مطبوعة نخص منها بالذكر كتاب «در محضر آية الله بهجت» لتلميذ الشيخ الفاضل الشيخ محمد حسين رُخشاد الذي استفدنا منه كمصدر أساسي لهذا الكتاب.

والقليل منها كان قد صدر بالعربية من الأساس، كأجوبة بعض المسائل، بالإضافة إلى بعض ما استفدناه وسمعناه من سماحة الشيخ مباشرةً، فغالبية مواد الكتاب إذن جديدة على القارئ العربي.

ثانياً: معظم ما أوردناه يمثل أحاديث متفرقة ومقتطفات تتناول بعض النكات أو التنبيهات، ومن الصعب أن تجد علاجاً لموضوع متكامل، ولذا سعينا إلى ترتيب المواد وتبويبها على أساس موضوعي ليتمكن القارئ من تكوين صورة أكمل عن نظرات الشيخ حول كل موضوع بحياله، لكننا لم نوفق لمراعاة ضابطة صارمة في ذلك، بسبب التداخل أحياناً، وصلاحية بعض الأحاديث للتصنيف في أكثر من موضوع ـ ولم نرغب بزيادة التكرار، بل رجحنا التسامح في التقصي الموضوعي ـ هذا بالإضافة إلى التنوع الكبير في الموضوعات المتعرض لها، والذي يشق معه إيجاد ضابطة موضوعية دقيقة يتم التصنيف على أساسها.

لكن المقدار الذي قمنا به من ضمّ الفقرات المترابطة موضوعياً إلى بعضها يوفر الكثير على القارئ حسب اعتقادنا.

ثالثاً: إن من يعرف أسلوب الشيخ بهجت في الحديث يقدر معاناة من يتصدى لترجمة كلامه. فهو يعتمد الإيجاز والإشارات بدرجة كبيرة، وكثيراً ما يعتمد على قرينة لدى المخاطب، ليختصر كلامه، ويطوي مقدمة يحتاجها الآخرون في فهم كامل مراده.

هذا بالإضافة إلى كون غالب أحاديثه هنا هي دردشات مع طلابه لم يتقيد فيها بأصول الخطابة أو المحاضرة.

وقد وجدنا أنفسنا بالإضافة إلى هذه المشكلة محاصرين بحرصنا على الدقة في ترجمة كلامه وعدم التصرف فيه، مما كلّفنا مراجعات متكررة لإصلاح صياغة العبارات ما أمكن، واضطررنا أحياناً لتوضيح مراده إلى ذكر هامش أو زيادة كلمة أو جملة داخل المتن ضمن معكوفين لتمييزها عن أصل المتن، كل ذلك ونحن نعتقد أن الاستفادة التامة والعامة من هذا الكتاب يتطلّب شرحا وتوضيحا أكثر، عسى أن نجد له الهمة والفراغ في فرصة أخرى.

رابعاً: بعد طول تردد توصلنا إلى تجزئة الكتاب على حلقتين وزّعنا المواضيع عليهما بالشكل التالي:

الحلقة الأولى: تشتمل على مقدمة عن حياة الشيخ دام ظله بالإضافة إلى ما اخترناه من بياناته في كلٍّ من مجال العقيدة ومجال العرفان والأخلاق، فحوت هذه الحلقة إلى جانب المقدمة عن حياة الشيخ بهجت دام ظله العالي الفصول التالية:

الفصل الأول: في العبودية والعرفان وإصلاح النفس.

الفصل الثاني: حول التوبة والتضرع واللجوء إلى الله تعالى.

الفصل الثالث: في التقوى واجتناب المعاصي.

الفصل الرابع: في ذكر الله.

الفصل الخامس: حول الصلاة والصوم.

الفصل السادس: حول الثقلين: القرآن وأهل البيت عليهم السلام.

الفصل السابع: جامع كلمات سماحة الشيخ دام ظله حول الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف.

الفصل الثامن: متفرقات عملية وأخلاقية.

الفصل التاسع: متفرقات علمية وكلامية.

الفصل العاشر: توجيهات متفرقة اجتماعية وسياسية.

الحلقة الثانية: وتشتمل على ما اخترناه من كلماته دام ظله مما ينقله من قصص ونوادر وكرامات بالإضافة إلى بعض الفوائد الحوزوية من توجيهات ونصائح حول الدراسة أو بعض الكتب أو الأجواء في الحوزات العلمية وضممنا إلى ذلك بعض ما وصلنا من خطبه أو أجوبة لأسئلة وجهت إليه في مجالي العقيدة والأخلاق وختمنا الكتاب بملحقين يحتويان نبذة حول حياة كل من العلامة السيد علي القاضي والعلامة

الشيخ مرتضى الطالقاني رحمهما الله فصارت محتويات هذا الجزء بالشكل التالي:

الفصل الأول: نوادر وقصص وكرامات من أحاديث الشيخ بهجت ومواعظه.

الفصل الثاني: حوزويات.

الفصل الثالث: خطب وتوجيهات ومواعظ متفرقة.

الفصل الرابع: الأسئلة والمراجعات حول الأخلاق وتهذيب النفس.

الفصل الخامس: أجوبة المسائل العقائدية.

وختمنا الكتاب بملحقين:

الملحق الأول: نبذة من حياة العارف الكامل السيد علي القاضي.

الملحق الثاني: نبذة من حياة العارف الكبير آية الله الشيخ مرتضى الطالقاني.

هذا ولا زلنا في صدد جمع ما يصدر من بيانات وفوائد لسماحة الشيخ ولربما وفقنا في إصدار ذلك في حلقة لاحقة لهذا الكتاب قريباً.

نرجو أن نكون قد هيأنا المجال للقارئ للانتفاع من علم ومواعظ العلامة الكبير والعارف الكامل والمرجع الديني الفذ آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت دام ظله بما أمكن وكل الأمل من القارئ الكريم أن يلاحظ ما أعددناه بعين التسامح والإغضاء وألاّ يبخل علينا بإهداء العيوب والنصائح.

لجنة ترجمة وإعداد آثار الشيخ بهجت

بيروت في١٧ ربيع الآخر ١٤٢٦ هجري قمري

الموافق ٢٧ أيار ٢٠٠٥ م.



بسمه تعالى

هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه، آهِ آهِ شوقاً إلى رؤيتهم.

من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام

نهج البلاغة ـ الحكمة ١٢٧



المقدمة

الشيخ محمد تقي بهجت
في سيرته وفضائله، وشيء من منهجه وآرائه

إن محاولة التعريف بالعلامة الكبير، والمرجع الديني الفذّ الشيخ محمد تقي بهجت حفظه الله، والاقتراب من سيرته وصفاته، تنطوي بذاتها على مخاطر وصعوبات. وهذا مع غضِّ النظر عن قصور الكاتب وافتقاره للأدوات المطلوبة. أما وقد اجتمع الأمران: شموخ المقصد وبعد الغاية، إلى جانب قصر الباع وضعف الوسيلة، فقد يتحول الأمر إلى مجازفة.

فمن يعرف هذا النمط النادر من الناس يعرف صعوبة التعبير ـ من دون إجحاف ـ عن حجم مشاعر الاحترام والخشوع التي تفرضها شخصيته، وتقتحم وجدان المرء لدى ذكره، ويقدر مدى الحصار الذي يقع فيه الكاتب بين خشية التقصير، بل اليقين الوافي بالقصور عن أداء الحق، وإعطاء الصورة حظها من البيان والحكاية، بسبب غزارة المعنى وعمق المضمون، وبين هاجس الدقة والواقعية التي تعتبر حاجة أكثر إلحاحاً في مثل المقام، خاصة مع الإحساس بحضور الشيخ بهجت حفظه الله ورقابته مع ما يمثله ويحكيه وتدعو إليه سيرته وسيرة أمثاله من الحرص على الحقيقة والتشدد في طلبها.

لكن الوله بالصالحين، والأنس بذكرهم، والحديث عنهم، والاستشفاع بحبهم

منحنا الأمن وأغرانا بالمجازفة والتعرض لذلك. والتعلق بهم والوقوع تحت تأثيرهم أمر لا ننكره ولا نكتمه، بل هو رصيدنا من الفضائل الذي به نتباهى ونفتخر.

فلئن كنا لا نملك جرأة ادعاء الصلاح، ونعجز عن باهض لوازمه، لكن حب الصالحين وعشق سيرتهم وفضائلهم، مما نجهر به ولا نتنازل عنه.

على أننا في الحديث عن مثل هذه الشخصية، نتجاوز التعبير عن التقديس والمحبّة إلى عملية تبشير ودعوة لما تمثله من فضائل، وتعابير عن قيم الدين والانتماء إلى الحقيقة.

فإن في الحديث عن الصالحين حديثاً عن الصلاح ودعوة إليه.

وسعينا في التعرف إليهم إنما هو تعبير عن حاجتنا إلى التعرف إلى الدين والفضائل الدينية التي تجسدت من خلال أقوالهم وأفعالهم، وللرجوع إليهم والاقتداء بهم في أمور الدين.

فلقد حمل الأنبياء رسالة دعوة الناس إلى التوحيد والحق والالتزام بالحقيقة، وكل معاني الخير والصلاح والاستقامة، وكان في نهج حياتهم وسلوكهم تطبيق حي وتجسيد معصوم لما يدعون إليه. ومن هنا كان الأمر الإلهي بالاقتداء بهم والتأسي بأفعالهم وأقوالهم وحالاتهم فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١] وقال تعالى أيضاً: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾[٢].

وإن معاني حمل أمانة الرسل، والحجة على الخلق، وحصون الإسلام، وورثة الأنبياء، والكافلين لأيتام آل محمد عليهم السلام، وأمثالها مما يوصف به العالم الحق في

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) الممتحنة: ٤.

الأحاديث الدينية، تستبطن اتصافاً بدرجة ما، وتجسيداً إلى حد ما، لقيم الدين ومبادئه ولصفات الأنبياء والأئمةعليهم السلام في العلم والعمل.

فكما كانت دعوة الرسل إلى الحق لا تنحصر بالقول والوعظ والإرشاد الكلامي فحسب، بل تتجاوز ذلك لتتجلى في سلوكهم وأعمالهم التي تجسد الرسالة تجسيداً حياً، يكون حجة على الناس، ومترجماً لما يدعون إليه من مفاهيم وقيم، فكذلك حال ورثتهم والمتربّين في مدرستهم. وقد أمرهم مبلغ الدين المعصوم بقوله: «**كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم**».

ولقد كنا نقرأ في النصوص الدينية، أو في ما يحكيه التاريخ لنا عن مقامات وحالات وصفات الأنبياء والأولياء وأئمة الدين، مما لا نكاد نتعقل الكثير منه، وتستبعده ثقافتنا التي ابتنت على أوهام حسبناها مسلمات، وعلى غرور وأنس بالطبيعة والمادة حسبناه عقلاً، وقد ساهم في تشويهها عوامل كثيرة.

لكن عندما نتعرف إلى نماذج معاصرة، عايشناها واحتككنا بها، ولمسنا فيها ـ على رغم القحط في الفضيلة الذي أصاب مجتمعاتنا ـ رشحات من تلك المعاني، تتجسد فيها علماً وعملاً، تنحل عندئذ شبهات كثيرة لدينا، ونجد الأجوبة لأسئلة طالما عجزنا عن إسكاتها. وسوف نرى بناءً عليه، أن هذه المعاني البعيدة التي شق علينا تعقلها، أو الركون إليها، هي وقائع نعيش بوجداننا مراتب منها، من خلال هذه الشخصيات العظيمة.

أقول ـ وبما أقدر عليه من التجرّد ـ : إن التعرف إلى شخصيات من أمثال الشيخ محمد تقي بهجت، يختصر الطريق، ويوفر الكثير من المسافة للإيمان واليقين، والتبصر بما كنا نقرأه من فضائل وصفات الأنبياء والأئمةعليهم السلام، ويفسر لنا عملياً الكثير من المقامات والصفات التي كنا نتعاطاها بالتسليم والإذعان لكونها منصوصة ومروية، دون

تعقل حقيقتها أو نحو ترجمتها عملياً ومدى ذلك.

وإن درجة التذكر التي يحكيها نهج حياته، وحجم الإيحاءات والمداليل والمعاني الخيرة التي تظهر من حركاته وسكناته، تكاد تكون كالمفتاح الذي يحل لغز الإعجاز الذي تحكيه عقائدنا الدينية حول شخصيات الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام.

ولو نظر المرء إلى سلوكه وسلوك أمثاله، بما ينطوي عليه من دقة فائقة في الالتزام وغنىً كبير، وعمق في الإيمان ومفرداته ولوازمه، في العبادة والخُلق، والمعاملة والزهد وعيش للآخرة ولرقابة الله عزّ وجلّ، وإدمان ذكره، والانصراف عن كل ما يشغل عنه وقام بمقايسة بسيطة لما يجده فيه من تلك الصفات الإيمانية مع السائد الغالب في حياتنا حتى كمتدينين وأهل علم، لاكتشف أن ثمة مراحل كثيرة، ومسافات شاسعة من الإيمان والعمل، يمكن أن تفصل بين إنسان وإنسان، عالماً كان أو جاهلاً.

وفي الواقع، فإن الحديث عن سيرة الشيخ بهجت حفظه الله يلبّي حقين: حق للأمة والمؤمنين في التعرف إلى قدوة حسنة يقتدون بها، ومرجع ديني يلوذون بعلمه وفضائله. وحق للشيخ وأمثاله من أهل الصلاح، بل لمن يعتبر مدرسة في الصلاح وهذان الحقّان لا يمكن الوفاء بهما وأداؤهما بالكامل، خصوصاً بهذه العجالة، وبهذا المقدار من الصفحات والأسطر. ولقد كانت محاولات، وصدرت عدة كتب بالفارسية حول الشيخ وسيرته وكراماته، لكن نحن نقتصر على هذه الإلمامة العجولة بمناسبة ترجمتنا لما جمع وطبع بالفارسية من نصائحه وخطبه ومواعظه، وسوف نتحدث فيها حول نقاط:

الأولى ـ سيرته الذاتية والعلمية، في مراحل حياته وتحصيله وتدريسه وتأليفه.

الثانية ـ صفاته وفضائله.

الثالثة ـ ذكر شيء من كراماته.

الرابعة ـ إشارة إلى منهجه وبعض آرائه.

١ـ سيرته الذاتية

أ . مولده وموطنه:

ولد آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت أواخر سنة ١٣٣٤ هـ ق، في عائلة متدينة من أهل التقى والورع في مدينة «فومن»[١]، وكان والده الكربلائي[٢] محمود من رجال تلك المدينة الموثوقين، والذين يرجع إليهم في حلّ مشاكل الناس ونزاعاتهم وتزكّي وتؤيّد أسناد الملكية والمعاملات بشهاداتهم وتوقيعهم. كما كان الكربلائي محمود أيضاً من أهل الأدب وذوي الذوق الحسن فيه، ولا يزال شعره المملوّ حرارة والذي كان يلقيه في مراثي أهل البيت وخاصة الإمام الحسينعليه السلام متداولاً على ألسن المداحين والقراء إلى اليوم.

أنهى آية الله الشيخ بهجت المرحلة الابتدائية من دارسته في كتاتيب «فومن» ليتوجه بعد ذلك إلى تحصيل العلوم الدينية. وقد تجلّت فيه منذ الطفولة ملامح النبوغ وحب التحصيل ورجاحة العقل بشكل كان يمتنع معه عما يمارسه الأطفال عادة من أنحاء اللّعب واللّهو.

ب . في ساحة العلم والعمل وجهاد النفس:

وقام العلامة الشيخ بهجت بالهجرة بعد تحصيل المقدمات من علوم العربية في مدينة «فومن» سنة ١٣٤٨ هـ.ق وبعد التوقف فترة في مدينة «قم» قبل تأسيس الشيخ الحائريرحمه الله للحوزة فيها، يمم شطر العراق ليقيم حوالي أربع سنوات في كربلاء

(١) مدينة «فومن» من مدن مقاطعة كيلان في شمال إيران قريبة من مدينة «رشت».

(٢) «الكربلائي» لقب يطلق عند الإيرانيين على من وفق لزيارة كربلاء المقدسة.

المقدسة يستفيد خلالها من كبار الأساتذة كالشيخ أبي القاسم الخوئي[١]، عدا عن انصرافه إلى تهذيب النفس وبناء الذات.

ثم انتقل سنة ١٣٥٢ هـ.ق إلى النجف الأشرف بقصد متابعة التحصيل، حيث أنهى هناك المراحل الأخيرة من السطوح العالية، لينتقل إلى مرحلة الخارج متلمَذاً على آيات الله العظام المحقق ضياء الدين العراقي والميرزا النائيني والمحقق الشيخ محمد حسين الأصفهاني، وقد قام بتكميل نظراته وآرائه في الأصول والفقه على يد الأخير منهم الذي عُرف درسه بغزارة المحتوى وعمق المضمون. وقد نقل بعض علماء النجف عن آية الله الشيخ بهجت تميّزه في درس الشيخ الأصفهاني بالنقاش الدقيق والإيراد الناضج.

وفي أثناء دراسته كان الشيخ بهجت من الطلاب المعروفين في العرفان للعارف الأوحد السيد علي القاضي التبريزي الذي تغني شهرته عن بيان أحواله، فكان الشيخ بهجت يتربى على يديه في السير والسلوك كما ينقل العلامة المرحوم السيد محمد حسين الطهراني في الجزء الأول من كتابه أنوار الملكوت، ويتابع قائلاً إن الشيخ بهجت كان زمان المرحوم القاضي واجداً لحالات ومكاشفات غيبية إلهية وكان حائزاً للحد الأعلى من مراتب المراقبة والصمت.

كما قد استفاد الشيخ بهجت أثناء تحصيله من آية الله العظمى السيد أبي الحسن الأصفهاني والحاج الشيخ محمد كاظم الشيرازي صاحب الحاشية على المكاسب بدرجة كبيرة، وعدا عن دارسته في الفقه والأصول فقد قام في مجال الفلسفة والمنطق بتحصيل كتاب الإشارات لابن سينا والأسفار الأربعة للملا صدرا عند المرحوم السيد حسين بادكوبه.

---

(١) وهو أحد العلماء المعروفين بالتقى والزهد والاستقامة، وقد كان مقيماً في كربلاء، وهو غير المرجع المشهور السيد أبي القاسم الخوئي.

لقد جمع آية الله الشيخ بهجت بين الجدية التامة في التحصيل العلمي يساعده في ذلك ذهن وقاد وذكاء متميز، وبين الاهتمام الكامل بالجانب الأخلاقي وتربية النفس وتنمية الفضائل والملكات الحسنة، مؤكداً على ضرورة التلازم بين الجانبين في إنتاج العالم الفاضل القادر على خدمة الدين وإرشاد عباد الله، وبحسب شهادة بعض فضلاء النجف فقد كان الشيخ بهجت عالماً مجتهداً مسلّم الاجتهاد وثقة الخواص منذ عهد الشباب، ولذا كان يأتم به عامة العلماء أثناء السفر إلى كربلاء، كما كان في الجانب المعنوي يمتلك مناعة وقابليات ذاتية ميزّت طفولته وشبابه بالطهارة والاستقامة التامة إلى درجة أنه كان يدرك أحوال العلماء من أهل المعنى منذ عهد ما قبل البلوغ، وقد شرع منذ ذلك الوقت في العمل والسعي لأجل التكامل والرقيّ الروحي.

عاد العلامة الشيخ بهجت عام ١٣٦٤ هـ.ق إلى إيران، وبعد بقائه عدة شهور في موطنه «فومن» توجه إلى مدينة قم المقدسة لزيارة السيدة المعصومة عليها السلام والاطلاع على أوضاع الحوزة العلمية فيها مع كونه مصمماً على العودة إلى النجف، وكان قد مضى على مجيء آية الله العظمى البروجردي إلى قم عدة شهور فحسب.

شرع الشيخ في قم بتدريس الفقه والأصول في مرحلة الخارج إلى جانب تدريس المعارف العقلية، ثم تواردت إليه أخبار ارتحال كبار أساتذة الحوزة في النجف الواحد تلو الآخر، مما حداه إلى التصميم على البقاء في قم وصرف النظر عن العودة إلى النجف.

وقد استفاد في قم إلى جانب اشتغاله بالتدريس من آية الله العظمى الحجة الكوهكمري، كما شارك في مجلس بحث آية الله العظمى البروجردي الذي كان يشارك فيه الآيات العظام كالسيد الخميني والسيد الگلپايگاني قدس سرّهم، وينقل آية الله المرحوم الشيخ مرتضى الحائري أن مناقشاته الدقيقة وإشكالاته المهمة لفتت نظر

الأستاذ تلك الفترة إلى درجة كان يخرج المجلس عن حالة الدرس ليتحوّل إلى مجلس حوار بينهما، لكن يبدو أن الفرار من الشهرة قد ألجأ العلامة الشيخ إلى الانزواء وعدم التعرض إلى مزيد من النقاش والحوار.

ج ـ أعماله العلمية في مجالس التدريس والتأليف:

لقد كانت مزاولة آية الله العظمى الشيخ بهجت للتدريس غالباً في منزله، وعدا عن تدريسه السطوح في النجف فقد مضى عليه في قم حوالي خمسين سنة في تدريس البحث الخارج، ويتميّز درسه في الأصول بالإيجاز والعمق ودقة التحقيق، ومن هنا يعتبر مناسباً للفضلاء أكثر منه للمبتدئين في حضور هذه المرحلة، أما في الفقه فيعتمد سهولة الأسلوب والوضوح في البيان.

وله مؤلفات عديدة في الفقه والأصول منها:

١ـ دورة كاملة في الأصول.

٢ـ حاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري رحمه الله.

٣ـ شرح كتاب الطهارة من الشرائع.

٤ـ ما يقرب من دورة فقهية في الصلاة.

٥ـ حاشية على ذخيرة العباد تأليف المرحوم آية الله العظمى الأصفهاني، وهي دورة في الفقه بالفارسية تبلغ حوالي عشرة مجلدات ولا تخلو من الاستدلال.

٦ـ حاشية على مناسك الحج للشيخ الأعظم الأنصاري رحمه الله.

٧ـ رسالة في الإرث.

٨ ـ كتاب الصوم.

٩ـ كتاب الخمس.

٢ـ صفاته وفضائله

لقد أدرك الشيخ بهجت أن العبودية لله هي الهدف والغاية والبوصلة التي تتحكم بمسار حياة الأولياء وصفاتهم وأحوالهم وسائر تقلّباتهم.

وقد أتقن ترتيب أولوياته بناء على ذلك الهدف، فأضحت سائر الأهداف والغايات الأخرى مهما غلت وشمخت، مقدمات ومراحل ومفردات على طريق ذلك الهدف الأسمى. وستتجلى عبوديته لله، وسعيه الدؤوب للتكامل، علماً وعملاً، وعرفاناً وعبادة وأخلاقاً مرضية، وخدمة للخلق.

أ. الجانب العلمي:

فمن الناحية العلمية أشرنا فيما مر إلى جوانب من نشاطه العلمي درساً وتدريساً وتأليفاً.

وقد أعلنته المجامع العلمية في قم كمرجع يرجع إليه في أمر التقليد وأخذ الفتوى بل قد شهد بعض كبار العلماء بأنه الأعلم من بين الموجودين حالياً أو المطروحين للتقليد، وممن شهد بذلك آية الله الشيخ محمد تقي المصباح اليزدي، وآية الله الشيخ جوادي الآملي، لكننا لن نستقصي الآراء والشهادات في هذا المجال؛ لأننا في الواقع لا نرغب في جعل بيان هذا الجانب ـ جانب المرجعية ـ محوراً أساسياً في ما نكتبه هنا حول سيرة الشيخ دام ظله، بل غايتنا الأساسية من هذه السطور، التعريف بنموذج وقدوة، وملهم للفضائل والتقى، وتعميم الفائدة من سيرته ومواعظه وأقواله.

لكن نشير إلى هذه النقطة من الجوانب العلمية التي يتميز بها الشيخ حفظه الله كأستاذ ومربي، إذ يمتاز من الناحية العلمية بدقة فائقة على تحديد النقطة التي ينبغي معالجتها، وطريقة مميزة في عرض مقدمات الاستدلال بأوجز طريق وأخصر بيان، إلى أن يتضح المطلب ويبدو نتيجة تسلسل المقدمات وكأنه أمر وجداني.

ونشعر عند معالجته لسؤال أو إشكال ما، كأنه مطلع على خلفية الشبهة ومنشأ السؤال، فيعالج السؤال بمعالجة منشئه وجذوره في نفس السائل، ويكون جوابه ناظراً إلى الخلفية التي سببت حصول الشبهة بشكل ينتفي معه موضوع السؤال، وذلك كلّه بأقل قدر ممكن من الكلام والشرح.

وكان بعض أهل الخبرة ممن حضر درسه يقول: إنه يشعر أن الشيخ حفظه الله في أسلوبه، عدا عن إفادته للموضوع والمطلب العلمي، كأنه يقوم بعملية تنمية نفسية إلى جانب التنمية الذهنية للأدوات التي يحتاجها الطالب للتعقل والبحث، فالطالب عدا عن انتفاعه بأفكاره وأبحاثه وإشاراته ينال فائدة لا تقل أهمية، وهي عملية تدريب وتربية على الدقة والموضوعية، وتقوية الصفات النفسية التي يحتاجها الباحث في تحري الحقيقة واختيار الصحيح في خضم الآراء ومعركة الأفكار.

ب ـ جانب العبادة والعرفان:

عُرِف الشيخ دام ظله منذ طفولته، بالإقبال على العبادة، والاستغراق في ذكر الله والمواظبة على الطاعات والنوافل، وقد قيّض الله له منذ ذلك الحين، وقبل بلوغه سن التكليف، أولياء وعلماء مربِّين، اكتشفوا قابلياته وطهارته الذاتية، فاعتنوا بتوجيهه وإرشاده في طريق العبودية والسلوك إلى الله عزّ وجلّ، ولعل أهمهم وأعظمهم في هذا المجال العارف الكبير وأستاذ السلوك الشهير السيد علي القاضي الطباطبائي رحمه الله.

ويتحدث المطّلعون على أحوال الشيخ عن مواظبته التامة وإقباله منذ شبابه على النوافل، وإحياء الليالي بالعبادة في مقامات العراق ومساجدها المعروفة كمسجد السهلة. وتُروى عنه حكايات وكرامات في هذا المجال.

وفي أيامنا هذه، يزدحم المسجد الذي يؤم الشيخ بهجت الجماعة فيه بالمصلين من خواص فضلاء الحوزة العلمية في قم أو عوام المؤمنين، الذين يجدون في الصلاة

خلفه روحانية خاصة لا تحصل في سائر جماعات قم، رغم كثرتها وكثرة الصلحاء من أئمتها. لكن أجواء الخشوع التي تفرضها قراءته وحالاته في الصلاة مما يعزُّ وجوده في الأماكن الأخرى، وقد ترتفع أصوات المصلين ويضج المسجد بالبكاء والتضرع أحياناً تأثراً بحالة الانقطاع والخشوع التي تتصف بها صلاة إمامهم.

ويرتبط الشيخ بهجت بزيارة يومية إلى حرم السيدة فاطمة المعصومةعليها السلام في قم يقضي خلالها فترة من التوسل والدعاء والتلاوة والصلاة، ولا ينسى زيارة الإمام الحسينعليه السلام عن بُعد يومياً بزيارة العاشوراء المعروفة، إلى جانب التزاماته العبادية الأخرى التي تشغل كل أوقاته قبل التدريس وبعده، فلا تجده إلا ذاكراً أو متفكراً أو منشغلاً بطاعة في سائر أطراف ليله ونهاره.

وقد اطَّلعنا من بعض مقرَّبيه أنّ من جملة التزاماته اليومية، عدا عن القيام للتهجد في الليل وزيارة العاشوراء صلاة جعفر الطيار، وقراءة سورة القدر ألف مرة.

هذا من ناحية عبادته، أما في جانب العرفان فبالرغم من كون العرفان هو العنوان الأبرز في شخصية الشيخ بهجت، لكننا لا نستطيع أن نفيض في الحديث عنه اعتماداً على التحليل والاطلاع الشخصي لدقة الموضوع، ولصعوبة الخروج بالتصور الدقيق عن حالات الشخص ومراتبه في هذا المجال الذي يرتبط بباطن الإنسان، ويتلازم عادة مع الكتمان والتستر، خاصة من مثل الكاتب ممن يفتقر إلى أدوات التقييم الدقيق المطلوبة وطريقنا إلى تعرُّف هذا الجانب أمور:

الأول: تميّز الشيخ منذ طفولته، وبداية تفتح وعيه، بطهارة النفس ونقاء السلوك والإقبال على العبادة، كما يحكيه المطَّلعون على سيرته، ويذكرون أنه كان يدرك منذ ذلك الحين بعض الحالات المعنوية لأهل الاستقامة والتّقى، وقد تعرَّف في بداية أمره في بلدته «فومن» إلى رجل كبير السن، معروف بالطهارة والاستقامة، اسمه السيد

«سعيدي». كان الشيخ يأتم به في الصلاة، ويستفيد من التردد عليه قبل بلوغه سن التكليف، وكان مدركاً لبعض حالات هذا الرجل الصالح التي يعيشها أثناء صلاته وملتفتاً إلى أوضاعه المعنوية من دون الآخرين.

الثاني: تلمّذ الشيخ المعروف منذ مطلع شبابه عند كبار أساتذة الأخلاق والعرفان وخاصة أستاذ عرفاء العصر العلامة السيد علي القاضيرحمه الله، وانخراطه في تلك الأجواء وانصرافه منذ بدايته إلى العبادة والذكر، واجتناب ما يشغل عن ذلك.

الثالث: شهادات العلماء وأهل الخبرة في حقه، والتي تُنبئ كلها عن إجلال لشخصه، وعن اتصافه بالمراتب العالية من القداسة والفضيلة، فمن الصعب أن تجد في عصرنا هذا عالماً يتسالم جميع العلماء، ويتفقون على الإقرار بفضائله وتقواه وزهده وعلمه، كما يتسالمون على الشيخ بهجت. وقد كان له الموقع المميَّز في نفوس العلماء والحوزات العلمية منذ مطلع شبابه، إذ كان عامة العلماء يأتمون به في الصلاة في السفر مشياً على الأقدام من النجف إلى كربلاء، الذي كان متعارفاً بينهم تلك الأيام قبل أن يمنعه النظام الحاكم في العراق. حتى إنه شُوهد نفس أستاذه السيد علي القاضي يأتم به في بعض المرات.

وينقل السيد محمد حسين الطهراني في كتابه أنوار الملكوت عن آية الله الشيخ عباس القوجاني تلميذ السيد علي القاضي ووصيه، أن الشيخ بهجت كان منذ زمان أستاذه القاضي واجداً لحالات ومكاشفات غيبية إلهية، وحائزاً على مراتب عالية من المراقبة والصمت.

وممن تُسجَّل شهادته في حق الشيخ بهجت الإمام الخمينيقدس سره الذي كانت له محبة واحترام خاصان تجاه الشيخ، ولم ينقطع عن الاتصال به وزيارته في بيته إلى حين وفاته، رغم الظروف الخاصة والمسؤوليات التي عاشها السيد الخمينيقدس سره آخر عمره.

وينقل آية الله الشيخ محمد تقي المصباح اليزدي في مقابلة صحفية له عن المرحوم السيد مصطفى الخميني، أن الإمام الخميني كان يعتقد بتوفّر الشيخ بهجت على مقامات عالية جداً ومنذ زمن طويل، وأنه يمتلك الموت الاختياري، والذي يكشف عن مرتبة عرفانية عالية عند أهله.

كما ينقل السيد المسعودي المتولي لمقام السيدة المعصومة في قم، أنه في بعض الأحيان عندما كان يتعرض الإمام الخميني لبعض البلاءات أو الحالات المرضية، كان يرسل المسعودي إلى الشيخ بهجت ليستشيره في كيفية التصرف، ويقول المسعودي أنه في عدة مرات كلّفه السيد الخميني شخصياً بشراء وذبح وتوزيع بعض الأضحيات والذبائح، عملاً بتوجيه الشيخ بهجت تقرباً إلى الله، لشفاء مرضٍ أو حلّ مشكلة.

كما ينقل آية الله مصباح اليزدي أنه عندما راجع مجلس خبراء القيادة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية الإمام الخميني، طالبين منه أن يرشدهم إلى مرجعيةٍ أخلاقية للحوزة، أشار عليهم بالشيخ بهجت، فاعترضوا بأن الشيخ يرفض التصدي ولا يرضى بفسح المجال للمراجعين، فأجابهم السيد الخميني بأن عليهم الإصرار عليه إلى أن يقبل، فلم يقم بإرجاعهم إلى شخص آخر.

الرابع: سيرته العملية في العبادة والأخلاق والتعاطي مع الناس، ودقته الفائقة في مراعاة آداب الشرع الحنيف في ذلك. وهذا ما نشير إليه ضمن فقرته الخاصة.

الخامس: كراماته، وسنذكر جانباً منها في خاتمة هذه الصفحات، لكن نقول بالإجمال هنا: إنه رغم تكتم الشيخ الشديد، فإن ما ظهر منه من كرامات وإخبارات غير عادية، وصل إلى درجة اشتهر بين عامة من يعرفه ويطلع على حالاته، وبات غالبية من يحتك به من علماء وغيرهم يذعن بأن الشيخ بهجت يمتلك خصائص غير عادية، من اطلاع على الضمائر، والتفات إلى جوانب وأمور مما لا يمكن حصوله بالوسائل

الطبيعية.

السادس: توجيهاته وإرشاداته بما تكشف عنه من معرفة دقيقة وخبرة واسعة بالتعاطي مع أمور النفس وأمراضها ومشاكلها والحلول الناجعة لحالاتها، وما ينفعها وما يضرها في طريق معرفة الله وعبوديته، وإنه لا يقتصر في هذا المجال على دور العالم المطلع على النظرية والقواعد، بل يمارس دور الطبيب الخبير بالمرض وعلاجه، إلى جانب الاطلاع على حال المريض وتشخيص ما ينفعه ويضره، فهو لا يكتفي بإلقاء القاعدة العامة التي يمكن أن تنطبق على هذا الموضوع أو ذاك أو لا تنطبق، بل يشخِّص المحل الذي يناسب هذه القاعدة أو تلك، والموضوع الذي ينتفع بهذه النصيحة، لتقع قطرة الدواء والحكمة التي يلقيها في محلِّها وظرفها المناسبين، فيرتبط توجيهه باطلاع على حال السائل وإمكاناته وأوضاعه إلى جانب معرفته بما ينفع من التوجيه والدواء.

وهذا أمر يلتفت إليه غالبية لهم مراودة مع الشيخ حفظه الله. وهناك خصوصية لمسناها نحن وغيرنا ممن له نوع من الخلطة مع الشيخ، لكننا ننقلها هنا عن لسان عالم ومفكر معروف تلمَذ عند الشيخ بهجت فترة تنيف على ثلاثة عشر عاماً هو الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، حيث يقول في مقابلة صحفية معه حول الشيخ بهجت (ما ملخصه):

إن من خصائص الشيخ حفظه الله شدة تكتمه وإمساكه عن إظهار المقامات المعنوية، ومن النادر جداً أن يتصرف أو يتكلم بنحو يطمئن الشخص المقابل بأنه قام بأمر خارق للعادة، أو أنه يمتلك علماً خارقاً للعادة. لكن المقرَّبين منه من خلال طول احتكاكهم به ومعاشرتهم له، يلتفتون أحياناً إلى تصرفات منه تكشف عن قدراته الاستثنائية، فهو غالباً بل دائماً يتكلم بشكل غير مباشر، فيلقي نصيحة ما، أو يشير إلى حديث أو إلى قصة تاريخية، لكن ما يلقيه يكون منطبقاً على حال الشخص والمشكلة

التي يعاني منها، أو مشيراً إلى الحل المطلوب لها، أو منبّهاً على عيب فيه أو خطأ قد ارتكبه.

ج ـ في الأخلاق والتعامل:

لا يحتاج الشيخ بهجت حفظه الله إلى تكلف مظهر التواضع والزهد، لا في ملبسه ومعيشته، ولا في تصرفاته وممارساته. وفي الواقع، فإن أمثالنا من أهل الغفلة والاغترار بالنفس والمظاهر، يحتاجون إلى توضيح هذه المفاهيم وإقناع للنفس أو إرغامها أحياناً للالتزام بمتطلباتها. وكثيراً ما نرتبك في مصاديقها وكيفية تطبيقها، فنحسب بعض التصرفات التي تستبطن ألف علة من النفاق والتصنع تواضعاً، ونمنُّ على الآخرين بها إذ نتصور أننا تنازلنا عن حق نمتلكه، أو شأن هو لنا، فيتحول تواضعنا ترفعاً مركباً واستكباراً معقداً، تمظهر بالتواضع، واستخدمه أداة ننال به موقعاً أفضل في عيون الناس.

أما أمثال الشيخ بهجت، ممن ينظر بعين الحقيقة ولا ينخدع بتلبيس النفس، بعد أن اتخذها عدواً أحكم رصدها ومراقبتها ومحاسبتها، فلابد أنه يأنف من التكبر، ويفر من قبح لوازمه. لذا لا تشعر حين تبدر منه آيات التواضع وأمثاله من مظاهر الخلق الحسن أنه تكلف شيئاً خارجاً عن ذاته، أو بذل مؤونة إضافية، بل قد عجنت ذاته بهذه الفضائل، وصار كل منهما عنواناً للآخر، يتبادلان الحكاية والتعبير أحدهما عن الآخر.

إنه عندما يسبق من يلتقيه للمبادرة بالسلام ـ وإن كان أدنى منه علماً وعملاً وسناً ـ لا تشعر مثلاً بأنه تنازل عن شيء له أو حق يمتلكه، بل تراه يمارس بذلك طبيعته وما يبدو وكأنه شأنه. ولا تستطيع أن تقرأ في رضاه وغضبه، أو في إقباله على شخص أو إدباره عنه، تعبيراً من تعابير من يتطلب من الناس حقاً يفترضه لنفسه ـ فيرضى بأخذه ويغضب لتقصيرهم فيه ـ بل عليك أن تبحث في هذه التصرفات عن رأفته بالناس ومحبته لهم.

يروي أحد علماء طهران في هذا المجال، أنه جاء يوماً إلى بيت الشيخ في حاجة له، ففتح له الباب شيخ بسيط المظهر، وكأنه لم يحتمل أن يكون هذا الشخص المتواضع هو نفس الشيخ بهجت ـ إذ من أبسط المعتاد في بيوت المراجع وكبار العلماء أن يكون هناك خادم يفتح الباب أو شخص يستقبل المراجعين ـ ولذا قال له هذا العالم: لدي شغل مع آية الله بهجت، فأجابه الشيخ: تفضل بما تريد، فأجاب العالم الطهراني: لي شغل معه شخصياً. فأجاب الشيخ مرة أخرى: تفضل (أي بذكر حاجتك). يقول العالم الطهراني: لم يخطر ببالي أصلاً أنه نفس آية الله بهجت، واعتقدت بأن هذا الشخص لا يريد السماح لي برؤية الشيخ مباشرة. ولذا رجعت دون بيان ما أريد. لكن فيما بعد، وعندما ذهبت إلى المسجد الذي يصلي فيه الشيخ بهجت لأشارك في جماعته، أدركت أن ذلك الشخص الذي فتح لي الباب كان آية الله بهجت نفسه.

والشيخ بهجت أيضاً عندما يصر على الحياة البسيطة الزاهدة التي يعيشها لا يمارس حالة طارئة فرضها على نفسه، بل لعل الانخراط في الدنيا ومظاهرها وترفها يتطلب من أمثاله بذل مؤونة وجهد، بعد أن أدرك حقيقتها والتفت إلى آثارها ولوازمها، ومدى ما يفوت الإنسان من سعادة واقعية، ومنافع آنية ومستقبلية، من الانشغال بمباهجها وزخرفها.

وعندئذ فلن يكون زهده مقدمة لنيل موقع دنيوي أفضل، ولا مرحلة يصبر عليها ليعوض عماً فاته في مراحل أخرى، ولا هو خاضع لسقف دنيوي محدود لموازين البيع والشراء، وبالتالي فإذا تهيأ السعر الأفضل، والحظ الدنيوي الأكمل، باع زهده، وضحّى به مقابل ما يناله من الحطام.

ولذا لم تختلف حاله وسيرته طيلة عمره الطويل، ومقابل الأوضاع الدنيوية المختلفة،ولم تتغير طريقة حياته في مأكله وملبسه ومسكنه، بين أيام شبابه ودراسته، أو

أيام شهرته ورجوع الناس والعلماء والفضلاء إليه، وسيعجز ويفشل كل من يفكر أو يحاول أن يقنعه بتحسين أو تغيير في نمط حياته أو برنامجه.

وهذا يعني أن ميزان حياته المادية هو الخاضع لقيمه وما تمليه صفاته الإنسانية من عبودية وتصرفات إيمانية، وليس العكس.

ويقول أحد أبنائه حول صرامته في زهده، وتقديسه للوقت، أنه خلال ثلاثين سنة من وجودي إلى جانب الشيخ لم أُسجّل له ثلاثين ساعة من التعطيل أو التنزه. ويروي أنه دُعي الشيخ بهجت يوماً من قبل أحد أصحاب البساتين للتنزه في بستانه، وبعد إصرار وتكرار وافق الشيخ، وفي يوم الجمعة الموعود شاهدت الشيخ يأتي حاملاً دفتره، ليبحث عن أول مكان ظليل عند إحدى أشجار البستان، ليجلس فيه ويفتح دفتره ويشرع بالمطالعة، ثم يقوم بعد ذلك ببرنامجه اليومي من أداء زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة عاشوراء، وانقضى الوقت بهذا النحو دون أن يقوم حتى بدورة تفرج وتفقد للبستان، ودون أن يتناول شيئاً من الفواكه والطيبات التي كان يأتي بها مضيفنا معلقاً باستمرار كلما أصرّ عليه المضيف في تناول شيء بقوله: دع ذلك لأهله.

وتجد عند الشيخ دام ظله الدقة الفائقة في حكاية الآداب الشرعية والالتزامات الدينية، في جميع حركاته وسكناته، مما يُنبئ عن درجة عالية من المراقبة والالتفات للنفس وسيطرة عليها. إن من الطبيعي أن يؤثر الإيمان بأدنى مراتبه في سلوك الإنسان وتصرفاته، وأخلاقه وتعامله مع الناس، لكن السيطرة بتلك الدرجة على النفس وانفعالاتها، واختيار الموقف الأفضل بلحاظ الشرع باستمرار، يحكي عن مرتبة إيمانية متميزة وجهاد للنفس بدرجة عالية جداً.

ويتحدث في هذا المجال الشيخ محمد تقي المصباح فيقول ما ملخصه: إن أهم خصائص الشيخ بهجت التي تلاحظ في طريقته التربوية، هي اهتمامه بالآداب الشرعية

وبسيرة أهل البيت عليهم السلام، بشكل لا يهمل معه أدق التفاصيل.

وكمثال على ذلك، لديه قطعة أرض زراعية انتقلت إليه بالإرث، وعندما يصل إليه قسم من محصولها من الأرز سنوياً، يحرص على تخصيص جيرانه وأصدقائه بمقادير منه، ولا يغير طريقته هذه مهما كان المحصول الواصل إليه قليلاً.

ويتابع الشيخ المصباح مستشهداً على هذه النقطة بقوله ما ملخصه: اضطررت زمن الشاه للتخفي والابتعاد عن قم لفترة من الزمن، وقد أرسل الشيخ بهجت لمنزلنا تلك الفترة كمية من الأرزّ في إحدى المرات، وفي مرة أخرى أرسل مبلغاً من المال مع ابنه. لكن طريقته كانت أن يرسل ابنه مع زوجته فيقف ابنه على رأس الزقاق المؤدّي إلى المنزل وتتقدم زوجته لتدخل المنزل بمفردها، ولم أفهم وقتئذٍ السر في هذا التصرف إلى أن اطلعت فيما بعد على أنه من الآداب الشرعية ألاّ يدخل رجل من غير المحارم منزل المرأة في غياب زوجها.

ومما يحكي دقته في الالتزام بالشرع، أن بعض المعارضين لنهج العرفان وللسيد علي القاضي قام بكتابة رسالة إلى والده تلك الفترة يحذّرونه من أن ابنه يتردد على بعض الصوفيين، وأنه منصرف إلى العبادة مما قد يؤثر سلباً عليه، وقد حدا ذلك والده إلى أن يرسل له رسالة ينهاه عن التردد على السيد القاضي، فما كان من الشيخ بهجت إلاّ أن حمل رسالة والده وتوجه إلى أستاذه السيد علي القاضي ليتعرف منه تكليفه تجاه ذلك، فيأمره السيد القاضي بالرجوع في ذلك إلى المرجع الذي يقلده، وكان الشيخ تلك الفترة يقلد المرجع السيد أبا الحسن الأصفهاني رحمه الله، الذي حكم على الشيخ بلزوم إطاعة والده، وتنفيذ أمره بالامتناع عن التردد على السيد القاضي، فيلتزم الشيخ حفظه الله بذلك، وتؤثر تلك الحادثة في نفس الشيخ، فيختار السكوت التام وعدم مخالطة أحد إلى درجة أنه كان يستعمل الكتابة حين اضطراره لإنجاز أموره الحياتية العادية كشراء

الحاجيات ونحوه.

٣ـ كراماته

لو أردنا إحصاء وذكر ما اطلعنا عليه من كراماته، مما لمسناه مباشرة، أو عرفناه عبر ملازميه والموثوقين ممن لهم علاقة به، أو بواسطة ما كتب عنه، لأمكننا ربما طباعة منشور مستقل في ذلك. خاصة وأن أمر الشيخ بهجت دام ظله في ذلك بلغ من الشهرة والمعروفية بين العلماء وسائر المؤمنين في قم، بل في إيران وعامة العالم الإسلامي حدّاً يغني عن الإكثار من الشواهد.

١ـ ينقل العلامة المرحوم السيد محمد حسين الطهراني في كتابه (أنوار الملكوت) نقلاً عن آية الله الحاج الشيخ عباس القوجاني وصيّ المرحوم الميرزا السيد علي القاضي، فيقول: إنّ الشيخ بهجت كان كثيراً ما يزور مسجد السهلة ويبيت فيه، وفي إحدى اللّيالي المظلمة احتاج إلى تجديد الوضوء منتصف اللّيل، ولم يكن ثمة مصباح مضاء في المسجد، وكان عليه الخروج من المسجد والعبور باتجاه الجانب الشرقي حيث يقع محل الوضوء.. وأثناء عبوره تلك المسافة في تلك الظلمة الحالكة أحسّ فجأة بشيء من الخوف ينتابه، وبمجرد الشعور بذلك ظهر حوله نور كما المصباح سمح له برؤية طريقه والسير خلاله إلى أن وصل مكان الوضوء وأنهى عمله والنور يسير أمامه، ثم اختفى ذلك النور حين رجع إلى مكانه وعاد الوضع كما كان.

٢ـ ينقل آية الله مصباح اليزدي عن أحد أصدقائه أنه أراد السفر قبيل شهر رمضان إحدى المرات وكانت زوجته حاملاً فذهب إلى الشيخ بهجت ليودعه ويلتمس منه الدعاء، فما كان من الشيخ إلاّ أن قال له: سيمُنّ الله عليك هذا الشهر بولد ذكر فسمه «محمد حسن».

يقول صاحب القصة: لم يكن الشيخ مطَّلعاً على أن زوجتي حامل ومن أين له أن يدري أيضاً أن الولد سيكون ذكراً أم أنثى، لكن بالفعل وضعت زوجتي حملها في ليلة النصف من شهر رمضان ليلة ولادة الإمام الحسن عليه السلام وكان المولود صبياً.

٣ـ يروي أحد الطلاب الأصفهانيين قائلاً: لقد سافرت إحدى المرات إلى مدينة مشهد بقصد العمل على إصلاح نفسي وتزكيتها هناك في جوار الإمام الرضا عليه السلام وقمت في يوم من الأيام بزيارة الشيخ بهجت حفظه الله هناك، فبادرني قائلاً دون سؤال مسبق: أيها السيد إن إصلاح النفس بهذا النحو لا فائدة فيه، اذهب إلى أصفهان وأرضِ والدتك. فلم أقتنع ورحت أناقشه في ذلك، لكن عندما خرجت من عنده التفتّ إلى أني لم أحدِّثه في هذا الأمر، فمن أين علم بواقع الحال، فرجعت إليه واعتذرت منه.

٤ـ ويروي حجة الإسلام شعباني،أنه عندما أراد التعمم ولبس الزي الديني، توجه إلى الشيخ بهجت لكي يتبرك بقيام الشيخ بوضع العمامة على رأسه، وكان ذلك في مسجده بعد صلاة الصبح جماعة، يقول: وعندما وضع الشيخ العمامة على رأسي سألني عن الموضع الذي بلغته في الدراسة، وكنت ذلك الوقت قد أنهيت دراسة كتاب اللمعة الدمشقية تقريباً ما عدا بعض الأبحاث والكتب الصغيرة فيها التي لم ألتفت إليها حين الإجابة وقلت: إني أنهيت اللمعة بجزأيها، فلاحظت عندئذٍ وكأن الشيخ قد انزعج من جوابي، بل لعل شيئاً من آثار الغضب قد ظهر على وجهه، وقال لي: النجاة في الصدق.

وقد دعتني هذه الجملة إلى التفكير والتساؤل، بأن الشيخ قد دعا للجميع إلا لي فقد واجهني بهذه العبارة، فما السبب؟ فالتفتُّ بعد التأمل إلى عدم دقتي في الجواب وإني فعلاً لم أُنهِ اللمعة بجزأيها، فرجعت إليه وقلت له: إن مقصودي من إتمام اللمعة هو أني أنهيتها إجمالاً، ولم ألتفت إلى بقاء هذه الكتب الصغيرة، لكنني الآن التفتّ إلى ذلك.

عندما ذكرت ذلك للشيخ حفظه الله ظهرت عليه آثار الانشراح، ودعا لي بالخير وعلمت حقاً بأنه مطلع على باطن الناس وأوضاعهم الخاصة.

٥ـ وينقل أحد الأجلّة أنه كان يسعى للالتزام بالصلاة جماعة خلف الشيخ بهجت مع أن منزله كان في أحد أطراف قم القليلة العمران ذلك الوقت، يقول: وفي إحدى المرات خرجت إثر الشيخ بعد الفراغ من صلاتي المغرب والعشاء فالتفت إلي قائلاً: أين منزلك؟ فذكرت له مكانه، فقال لي بعد تأمل قليل: عجّل بالذهاب إلى المنزل وليس من اللازم أن تأتي للصلاة ليلاً.

وحيث إني كنت أعتقد بحكمة هذا الشخص العظيم في كل ما يقوله أحسست بضرورة التعجيل بالذهاب للبيت، وعندما وصلت وجدت زوجتي جالسة تحتضن طفلها في حالة شديدة من الرعب، وتبين أنها قد وجدت عقرباً في البيت مما أثار خوفها الشديد، وقد دعاني ذلك إلى ترك المجيء إلى جماعة الشيخ بهجت بعد ذلك إلى فترات طويلة مراعاة لحال العائلة.

٦ـ يروي أحد السادة أنه رافق الشيخ بهجت كالعادة في طريقه من المسجد إلى البيت بعد الفراغ من صلاة الجماعة، وخطر بباله أن يسأله حول شجرة النسب الراجعة لعائلته ومدى صحتها، وفكر في نفسه أثناء ذلك أنه هل يملك الشيخ اطّلاعاً حول الموضوع أم لا؟ يقول: إنه عندما وصل الشيخ إلى باب المنزل أخذ المرافقون يسلمون عليه ويقبلون يده مودعين واحداً تلو الآخر إلى أن وصل دوري فقال لي ـ دون سبق سؤال مني ـ : إذا كان لديك مشكلة حول شجرة النسب فعليك بمراجعة الشخص الفلاني.

٧ـ ينقل أحد أساتذة الحوزة عن آية الله المؤمن أنه كان لديه جلسة بحث مع زميل له أيام بداية الدارسة الدينية، وفي أحد الأيام أخبره ذلك الزميل لدى مجيئه للبحث أنه

قد قرر الانصراف عن الدارسة الدينية وترك الحوزة، وعلل ذلك بقوله: إنه لا فائدة تعود للإنسان من البقاء في الحوزة، يقول الشيخ المؤمن فقلت له: لكن إلى أين تذهب؟ وما الذي تنوي المصير إليه؟ فقال: أتحوّل إلى التدريس في المدارس الحديثة، أو أجد عملاً آخر، وتوقف بحثنا منذ ذلك اليوم، وبعد مضي عدة أيام صادف أن ذهبنا سوياً ـ وكان ذلك يوم الجمعة ـ عند الشيخ بهجت، وبمجرد جلوسنا توجه إلينا الشيخ حفظه الله قائلاً: أيها السادة لا تستخفّوا [بهذه الأحاديث المروية] قال الصادق عليه السلام وقال الباقر عليه السلام، ولا تظنوا أنكم إذا صار أحدكم مدرّساً فثمة شيء هناك [فائدة تحصل] كلا فكل شيء [وفائدة يمكن أن تحصل] فهو موجود هنا وحسب.

ولقد أثار هذا الكلام اليقظة والتنبه بدرجة كبيرة لدى صديقنا، والتفت إلى أن المقصود من هذا الكلام الإشارة إلى ما كان يحمله من أفكار تشغله، ومن ثم انصرف عما كان ينوبه.

٨ ـ كان هناك شخص يعاني من ابتلائه ببعض الشبهات العقائدية، فيترك بلده ويسافر إلى قم، وهناك يرى الشيخ بهجت في عالم الرؤيا، فيجيبه عن شبهاته، وبعد أن يستيقظ ذلك الشخص لم يكن قلبه مطمئناً بصدق الرؤيا، فيأتي يوم الجمعة إلى الشيخ ليطرح عليه شبهاته، وبمجرد وصوله ومحاولته الكلام في الموضوع يقول له الشيخ: الجواب هو ما قلته لك في الرؤيا فلا تتردد.

٩ـ ينقل أحد مريدي الشيخ قائلاً: لقد نويت في إحدى المرات أن أسيطر على لساني بدرجة أكبر فلا أكلم أحداً، وفي ذلك اليوم زرت الشيخ بهجت فالتفت إليَّ قائلاً [دون سبق سؤال مني وإشارة للموضوع]: لن يسوءني أنه لو أراد شخص ما أن يكون متحفظاً في كلامه ـ وإذا كان في ذلك مصلحة ولم يكن خلاف السياسة [اللياقة]ـ أن يكون كلامه بالقرآن.

١٠ـ ويروي أحد طلاب الشيخ بهجت ما يلي:

كان لدي بنتان، وفي إحدى الليالي لاطفت طفلتي الصغرى وقبلتها دون أن ألتفت إلى أختها، لكن خطر ببالي حينها أنه قد تكون الكبرى مستيقظة وتتضايق لأني لم ألاطفها أيضاً، لكني أهملت الأمر وتجاوزته. وفي الصباح لدى وصولي عند الشيخ حفظه الله التفت بعد السلام مباشرة قائلاً: عسى أنكم تطبقون المساواة بين الأطفال إنشاء الله.

٤ـ منهجه وجملة من توجيهاته وآرائه

إن التعرف بدرجة وافية إلى آراء الشيخ حفظه الله ومنهجه يتكفل بها ربما المطالعة الدقيقة والشاملة للمطالب المدرجة في هذا الكتاب لكن نشير إلى بعض النقاط المهمة من ذلك.

من مفاخر الدين الإسلامي اهتمامه بالعلم، وحثه عليه، واحترامه وتقديسه إلى هذه الدرجة العظيمة. ويرى الشيخ بهجت دام ظله طلب العلم الديني في عصورنا هذه واجباً لمن كان متمكناً منه و لا يمنعه من ذلك مانع. ويرجحه على ما سواه من الاشتغالات.

وقد حصل أن راجعه البعض طالباً منه الاستخارة على ترك طلب العلم، فرفض الشيخ أن يستخير له معللاً بأن طلب العلم واجب، والواجب لا يُستخار على تركه أو فعله، وإنما تكون الاستخارة بين الأمرين المباحين.

بل حدث أن استخار عنده أحدهم في إحدى المرات، وعندما علم الشيخ بأن استخارة هذا الشخص كانت على طلب العلم، قال له بأن استخارته لغو ولا قيمة لها لأن طلب العلم واجب. وقد علل ذلك في بعض مجالسه بحاجة المجتمع إلى العلماء وأن الموجود منهم حالياً لا يفي بالحاجة المطلوبة.

ويُقدّر الشيخ دام ظله أهمية استغناء طالب العلم عن الحقوق الشرعية وهبات الناس إذا أمكنه ذلك، لكن إذا توقف ذلك على عمل يشغل الطالب عن التحصيل، أو يعيقه بدرجة ما، فالمرجح عنده هو الانصراف للتحصيل، حتى لو اضطر إلى تناول الحقوق والمساعدات، وقد علل الشيخ ذلك بما للعلم من دور في زيادة الإيمان فيقدّم على ما سواه.

لكنّه في نفس الوقت، لا يرى الاشتغال بالعلم من دون العبادة والعمل كافياً في إنتاج العالم المطلوب.وكان يستغرب أحياناً ما يطرحه بعض أهل العلم، من تساؤل عن الترجيح بين الاشتغال بالعلم أو القيام لصلاة الليل مثلاً معلقاً بأن صلاة الليل ونحوها هي المفتاح والمقدمة للعلم، وهل تتعارض المقدمة والسبب مع ذي المقدمة والنتيجة؟!

وعندما سأله بعض الطلاب عن السر فيما يجده من عدم التوفيق في التحصيل، ألفته إلى ضرورة ترك المعصية، معللاً بأنه قد يكون السبب هو أن العلم فضل من الله، وفضل الله لا يعطى للعاصي.

وقد تكرر سؤاله حول الحاجة للأستاذ والمرشد في السلوك إلى الله، وكان يجيب باستمرار بأن الأستاذ والمعلم واسطة بما يحمله ويؤديه من علم، فعلى المرء أن يعمل بما يعلمه، ويستشهد باستمرار بالأحاديث التي تفيد هداية الله لمن يعمل بما يعلم، وأنه يكفيه ويعلّمه ما لا يعلم عندئذٍ، ويتعجب من دعوى البعض الحيرة والجهل مع أن كل إنسان مهما دنت مرتبته العلمية يعلم أموراً ويجهل أخرى، وإن دعوى الجهل والحيرة تدل على أن صاحبها لم يعمل بما يعلم، وإلا لانكشف له الطريق فيما لا يعلم ولما بقي على جهله وحيرته.

وينقل آية الله الشيخ محمد تقي المصباح: أنّ النصيحة التي يؤكد عليها لمن يراجعه هي مراعاة مسلمات الشرع في الدرجة الأولى والاهتمام بها، وله في ذلك

استدلال لطيف مضمونه: أنّ الله تعالى عندما يريد أن يهدي عباده إلى طريق السعادة فهل يؤكد ويركز على الأمور الأكثر تأثيراً في الوصول إلى السعادة، أم على الأمور الأقل تأثيراً؟ لابد أن الله الحكيم يؤكد على الأهم والأكثر تأثيراً. وعليه فإذا أردنا أن نعرف ما هو الأهم والأكثر تأثيراً علينا أن نرجع إلى القرآن والنصوص الواردة، فكل أمر اهتم القرآن وأحاديث المعصومين وسيرتهم ببيانه أكثر كان تأثيره في التكامل والسعادة أكبر، ومن أهم هذه الأمور الاهتمام بالصلاة، حيث نجد للصلاة في مقدماتها وشرائطها وأجزائها الظاهرية والباطنية الموقع الأهم في القرآن والسنة، فأهم أمر يمكن أن ينفع الإنسان في تحصيل سعادته هو الصلاة فيجب الاهتمام بها.

وأحياناً كان حفظه الله يقول من باب التندر: نحن وأمثالنا نتطلع في البحث عن التكامل إلى أمور لم يتحدث عنها الله ولا النبي ولا الإمام، نبحث عن أمر متوهمين أن طريق السعادة أمر لم يذكره الله ولا النبي ولا الإمام، فهل يمكن أن يكون ثمة طريق للسعادة له تأثير كبير في ذلك، وقد غفلوا عنه أو أهملوه؟ وهل يمكن أن يهتموا ويؤكدوا على أمر لا أهمية له؟

ومن كلماته حفظه الله عندما يتعرض لبعض مساوئ أهل الدنيا وانحرافاتهم وظلمهم: أنّ الأكثر إثارة للعجب هو نحن لا هم، موقفنا نحن هو العجيب؛ إذ إنّ هؤلاء لا يرون، فهم بمنزلة الأعمى، لكن نحن الذين نرى وكأننا لا نرى حالنا أشد غرابة.

ويريد حفظه الله أن المؤمن المطلع الذي يلتفت لآيات الله وآثاره ليلاً نهاراً والذي يعيش في ظلال القرآن وأحاديث المعصومين وتوجيهات العلماء باستمرار، يفترض به أن تظهر آثار إيمانه ومعرفته، وأن يكون في عمله وسلوكه أكثر التزاماً واهتماماً بأمر آخرته، فهو أقلّ عذراً من ذلك الكافر أو المارق الغافل، الذي هو بمنزلة الأعمى أو الميت المحروم من حياة الإيمان ونوره.

وتوجه أحد الطلاب يوماً إليه طالباً منه الموعظة، فالتفت إليه الشيخ حفظه الله ليقول بعد شيء من التأمل: إن المواعظ كثيرة لكن المتّعظ قليل.

نعم، فالأساس للاتعاظ والانتفاع من المواعظ هو أن يحمل الإنسان روح الاتعاظ والانتفاع من العبر والمواعظ، وعندئذ فحيثما التفت سوف يجد المواعظ والآيات مبثوثةً في جنبات الكون وما تزخر به الحياة من ألوان وحوادث، تنطق جميعها بما يذكر بالله عزّ وجلّ، ويدعو إلى طاعته والاتعاظ من الماضين.

وهذه الكلمة للشيخ لعلها مأخوذة من كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: «**ما أكثر العبر وأقل الاعتبار**».

فإذا كان الإنسان متعظاً معتبراً فسيجد عبرته وموعظته كيفما التفت، أما إذا كان غافلاً يعيش على سطح الحياة كالأنعام فلن تنفعه كثرة المواعظ.

ومن كلماته دام ظله ـ ما مضمونه ـ أن الطالب للمعرفة بصدق يعلّمه حتى الباب والجدار، أما المُعرض الغافل فلن ينفعه حتى تعليم النبي صلى الله عليه وآله.

وعليه فالمطلوب هو السعي لبناء النفس المتعظة ينزع رداء الغفلة والتنبه لما يحصل ويحلّ داخل الإنسان أو فيما يحيط به.

وراجعه أحد الطلاب يوماً طالباً منه برنامجاً للعمل والسلوك فرد الشيخ حفظه الله: حسناً لكن أين العامل [فهل يوجد من يلتزم بالبرنامج]؟ ومقصوده حفظه الله أن ليس المهم إعطاء البرنامج والتوجيه، وإنما المهم أن يوجد العامل الذي يقوم بالعمل ويؤديه وبعد إصرار الطالب التفت إليه قائلاً: أدلّك على شيء يكفيك حيثما ذهبت، ولاشيء سواه. وهو أن لا تقارف الذنب.

وقد تكرر منه حفظه الله أن أفضل ذكر وأرقاه هو الذكر العملي بترك المعصية في الاعتقاد والعمل، وأنه يكفي عما سواه، ويولّد الخيرات، ويفتح سبل الترقي.

وعندما كان يراجع: بأننا نحاول ترك المعصية، لكننا لا نوفق للاستمرار، و لا نقدر عليه. كان يقول: إن المطلوب هو العزم الأكيد على ترك المعصية، والله ولي التوفيق. لكنه يركز أن المطلوب العزم الصادق الجاد، لا اللعب والتلهي بالأماني الكاذبة.

ويبين أيضاً في بعض كلماته أن التوفيق للترك الكامل للمعصية لا يتمّ من دون المراقبة التامة والدائمة للنفس. وكان يؤكد على أهمية المراقبة وعظم أمرها.

وفي نفس الوقت يشير لمن يهتم بأمر نفسه، إلى أن السعادة لا تحصل من دون عمل وجدّ، مستشهداً بالآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1].

وقد راجعه مجموعة من طلاب العلوم الدينية طالبين منه درساً في الأخلاق فاعتذر لانشغاله الشديد، لكنه نصحهم بطريقة تنفع المهتم لأمر نفسه، وإن لم يوفق لأستاذ يوجّهه في هذا المجال. وقوام هذه الطريقة مطالعة حديث واحد من الأحاديث الواردة في كتاب جهاد النفس من وسائل الشيعة، وبعد إكمال مطالعة كتاب جهاد النفس والانتهاء منه يشرع بكتاب العشرة من الوسائل أيضاً، وذلك ليلاً قبل اللجوء إلى النوم، مع التدقيق في مضمون الحديث الذي يقرأه وكيفية تطبيقه، ومراقبة حال النفس في اليوم التالي والسعي إلى تذكره طيلة اليوم، مع التأكيد على السعي إلى التخلّق به والاتصاف بما يدعو إليه، أو تخلية النفس مما ينهي عنه، وألاّ يقتصر على مطالعته مطالعة تعلّم فحسب. وقد نصح البعض ممن هو في بداية دراسته الدينية، وقد يشق عليه فهم الروايات، بنفس الطريقة مع اعتماد كتاب جامع السعادات للمرحوم النراقي بدلاً من الوسائل.

ومن كلماته حفظه الله: إن في نفس كل منا شمراً يمكنه أن يقتل الحسين عليه السلام

(١) العنكبوت: ٦٩.

ووظيفتنا نحن أن نمنع أنفسنا من أن نكون كذلك، ونسير بها في اتجاه الطاعة والعبودية.

ومن الأمور التي يحثُّ عليها كثيراً: الدعاء بتعجيل فرج صاحب الزمان عليه السلام والتوسل به لقضاء الحاجات، وعيش رقابته والارتباط معه.

فهو إمامنا حالياً، والأقرب إلينا من سائر الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وهو يطّلع على أحوالنا، بل وعلى نيّاتنا أيضاً. وهو أرأف بنا من آبائنا وأمهاتنا.

وقد نصح مرة بعض المبتلين ببعض المشاكل الصعبة، إضافة إلى التوسل بصاحب الزمان عليه السلام بأمرين شبّههما بالحيل الشرعية:

الأول: الدعاء لجميع المبتلين بالمشكلة المبتلى بها ذلك الشخص، إذ أن الله تعالى يستجيب دعاء المؤمن لإخوانه، وكرمه يأبى أن يستجيب بعض الدعاء دون بعضه وعندئذٍ يصل الداعي حظه من الاستجابة عبر التعميم في الدعاء.

الثاني: الدعاء بتعجيل الفرج لصاحب الزمان عليه السلام، لأن فرجه هو الفرج والقضاء الحقيقي لجميع حوائج المؤمنين، فالدعاء بتعجيل فرجه هو تعبير آخر عن الدعاء بقضاء جميع حوائج المؤمنين، ورفع كل ضيق وكدر في حياتهم.

ويؤكد الشيخ بهجت دام ظله الوارف على صلاة جعفر الطيار أيضاً لقضاء الحاجات وعلى الإكثار من الصلوات على محمد وآل محمد للحاجات ولرفع الهم والغم كذلك.



الفصل الأول:

في العبودية والعرفان وإصلاح النفس



باب الوصول إلى لقاء الله مفتوح

مع أنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾[1] ويقول أيضاً: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2]، فهل من الممكن مع وجود الخلوص والصدق في الاستعلام والطلب ألاّ تتحقق الهداية وإراءة آيات المعرفة للإنسان؟!

إنّ باب الوصول إلى الكمالات ولقاء الله مفتوح.

أفليس من المؤسف حقّاً أن نُحرَمَ من هذه المراحل التي تحصل من طريق العبودية ولا ننالها؟!

«**ما كنتُ أعبد ربّاً لم أره**»[3].

وقد ورد في موضوع المعرفة: «**ما كنتُ أعبد ربّاً لم أره**»[4].

وأيضاً: «**عَميَت عين لا تراك عليها رقيبا**»[5].

وأنّه: «**رأته القلوب بحقائق الإيمان**»[6].

---

(١) فصّلت: ٥٣.

(٢) يونس: ١٠١.

(٣) أصول الكافي ١٩٧/١و١٣٨، بحار الأنوار ٤٤/٤، ٣٠٤/٥٢.

(٤) أصول الكافي ١٩٧/١و١٣٨، بحار الأنوار ٤٤/٤، ٣٠٤/٥٢.

(٥) راجع: بحار الأنوار ١٤٢/٦٤، ٢٢٦/٩٥، إقبال الأعمال: ٣٤٩.

(٦) أصول الكافي ٩٧/١و١٢٨، بحار الأنوار ٣٠٤/٤،٥٤،٥٢،٤٤،٣٣،٣٢،٢٧،٢٦.

وكذلك: «**نزل من ربِّه منزلةً فرآه بقلبه**»[(١)].

عدم غلق باب الفيض الأعم

يُستفاد من رواية: «**علماء أمّتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل**»[(٢)] أنّه وإن أُغلق باب النبوّة إلاّ أنّ الفيض الأعم لا زال مفتوحاً، هذا بالإضافة إلى أنّ القرآن الذي بين أيدينا لم يكن عند موسى وعيسى عليهما السلام.

طريق السعادة غير مسدود

يقولون: إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد رحل من بين ظهرانينا، وإنّ إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف غائب أيضاً، ولا يمكن الوصول إليه ونيل غوثه، وعلى هذا فنحن مستضعفون ومحرومون من السعادة ولا حيلة لنا.

فهل الأمر كذلك؟

كلا. ليس الأمر كما يقولون؛ لأنّ العقل والشرع يثبتان لنا أنّ الإنسان المتدين والعاقل يستطيع إدارة شؤونه الدينية؛ إذ أنّ دفتر الدين وقوانينه الشرعية تحت أيدينا. وإذا لم نكن نعلم بها أو نتمكن منها، فيجب علينا بحكم العقل والعقلاء **سؤال** الآخرين الذين يعلمون، وتشخيص صحة وخطأ **الجواب** من طريق العقل والدين. فهذا مقتضى كون الإنسان عاقلاً، وفي كل موضع لم يتضح له الطريق فالاحتياط بالنسبة له هو طريق النجاة. وعليه فطريق السعادة للإنسان ليس مغلقاً في أي مكان أو زمان.

---

(١) قريب منه: الميزان ٣١/١٩.

(٢) أوائل المقالات: ١٧٨.

الإنسان هو الذي يقطع عن نفسه ينبوع الصلاح

إنّ الإنسان يرتكب في حقّ نفسه أعمالاً لا يفعلها معه أي عدوّ، فهو الذي يجفّف ينبوع الصلاح إلى يوم القيامة، ومن هنا ليس من المعلوم أنّ جميع الناس سيؤمنون باطناً بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف عند ظهوره، بل ثمة جماعة منهم ستؤمن بالإكراه.

من اللاشيء إلى كل شيء بإرشاد ولي الله

ابتداء حركة الإنسان في مسيرة الكمال والمعرفة هو القابلية والاستعداد، وبواسطته يستطيع الوصول من اللاشيء إلى كل شيء، وغاية السير ومقصده هو الله سبحانه وتعالى.

والربوبية الإلهية تقتضي أيضاً مساعدة وإرشاد الإنسان في حركته التكاملية للوصول إلى الغاية المقصودة، فقد جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي: «**من أين لي الخير يا ربّ ولا يوجد إلاّ من عندك**»[1].

فالله تعالى هو حافظنا وولينا وقائدنا وصاحبنا في طريقنا، كما يقول هو سبحانه عن نفسه: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[2]، أي يخرجهم من ظلمات الحيرة إلى نور الهداية.

ونحن معرّضون للغرق في بحر الحياة، وهداية وإرشاد ولي الله لازمة وواجبة في سبيل الوصول إلى المقصد سالمين. فعلينا الاستغاثة بولي العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف لينير لنا المسير ويصحبنا إلى آخر مقصدنا وغايتنا.

---

(١) بحار الأنوار ٨٢/٩٥، إقبال الأعمال: ٦٧، البلد الأمين: ٢٠٥، مصباح الكفعمي: ٥٨٨، مصباح المتهجد: ٥٨٢.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

حتمية الوصول مع جدية الطلب

إنّ من يطلب الهداية ومعرفة الله، وكان جادّاً ومخلصاً في طلبه فإنّ الباب والجدار سيكونان هاديين [ومرشدين] له بإذن الله. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[(١)].

وإنّ طالب المعرفة والهداية قريب من وصوله إلى هدفه وحصوله عليه، وهو في دخوله إلى حرم القُرب ومعرفته إلى درجة وكأنّه يقال له: وصلت، فادخل.

أبشر الطالب بالوصول وقل   للذي يطرق الأبواب أن يلجا

أي كيمياء أفضل من معرفة الله؟!

إنّ الذين كانوا يتمتعون بقدرٍ من المعنويات لم يكونوا يسعون خلف الكشف والكرامات. بل يقولون: نحن نعرف الكيمياء ولكننا لا نعلّمها أحداً، فنحن نعرف ما الذي نعلّمه للآخرين، وما حاجة من كان من أهل المعنويات ومعرفة الله إلى الكيمياء؟! وهل هناك كيمياء أفضل من معرفة الله؟!

إنّ جميع الواجبات هي لتحصيل المعرفة ومقدّمة لها، ومعرفة الله وحدها هي الواجب النفسي والذاتي ومن أعظم الواجبات.

الفناء في الوجود والبقاء في المعبود

إنّ الجمع بين روايتي: «**خُلقتم للبقاء لا للفناء**»[(٢)]، و«**خُلقتم للفناء لا للبقاء**» اللتان يظهر منهما التناقض، يكون كالتالي: إنّكم خُلقتم للبقاء في المعبود، والفناء في

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) راجع: غرر الحكم: ١٣٣و١٤٠، بحار الأنوار ٢٤٩/٦، ٧٨/٥٨.

الوجود.

الحبّ أساس العبودية

إنّ أساس العبودية هو الحبّ، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[١] ويقول أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾[٢]، ويقول أيضاً: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٣].

ومع كل هذا، فإنّ بعضاً من العامة ينكرون الحبّ بين الله وعباده! ويقولون بأنّ حبّ العبد لله يعني إطاعة أوامره، وحبّ الله لعبده هو ثوابه وجزاء أعماله.

وقد جاء في إحدى الروايات: «**إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف**»[٤].

الترقي المعنوي وتحصيل المقامات

هل من الممكن أن يصلح عملنا، ونصل إلى مقامات الكمال والمعرفة، من غير أن نترك الدنيا، ونرفع أيدينا عن حياتنا الاجتماعية، وعن أعمالنا وحرَفنا؟ ومن غير أن نذهب إلى المغارات والصحاري، ونعتزل فيها باستمرار عن الناس والمجتمع، لنشتغل بتأدية العبادات المعهودة والأدعية والأوراد المأثورة؟ مع أنّه يمكن إجمالاً الاستفادة من الآية الشريفة: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾[٥]

---

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) البقرة: ١٦٥.

(٣) آل عمران: ٣١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧. بحار الأنوار ٥٦/٢. غرر الحكم: ١٩١.

(٥) الحديد: ٢٧.

رضا الله سبحانه بالرهبانية.

إنّ الإنسان الذي يمارس عملاً اجتماعياً لا يستطيع أداء الأدعية والعبادات... الخ. فهل الطريق هو الاستغناء عن هذا العمل الاجتماعي، والخلوة لأداء الذكر والعبادات أو [المطلوب هو] «**كن في الناس ولا تكن معهم**»[١]؟

فهل يمكن أداء العبادات من قبيل قراءة القرآن والصلاة... الخ التي لا حدود لها مع وجود الاشتغالات الاجتماعية؟ وطبعاً كان يوجد من يختم القرآن في يوم وليلة.

وهل يوجد شيء يكون بديلاً عن الأعمال الثقيلة التي يؤدّيها المرتاضون، شيء يمكن الإتيان به مع ممارسة العمل الاجتماعي والوجود في المجتمع، من غير أن ينزوي الإنسان عن المجتمع، ويتخلّى عن لوازم الحياة الاجتماعية كالزواج وتكفّل معيشة الأفراد واجبي النفقة؟! إضافة إلى أنّه من المتعسّر حقّاً أن يستطيع الإنسان أن يقسّم أمواله بين أهله وأولاده في زمان حياته وينزوي في المجتمع، وأساساً هل يجوز مثل هذا العمل أم لا؟ لأنّه ربما أدّى إلى ترك الواجبات.

وعلى كل حال، هل يوجد طريق يستطيع الإنسان بواسطته ومن دون ترك الدنيا أن يكون مأموناً من سخط الله وغضبه، ومطمئناً إلى رضاه، ويصل من خلاله إلى نتيجة عمل الرهبان تاركي الدنيا، أي ﴿**ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ**﴾[٢]؟ أي يكون نظير الشخص الذي لا رهبانية له وهو في المجتمع ويأتي بالمندوبات والمستحبات العادية فقط ولكنّه يحصل على نفس نتيجة الأعمال الطويلة والشاقة لأولئك؟

فهل يمكن مثل هذا الشيء؟ وهل يوجد طريق غير طريق تحمّل الأعمال الشاقة

---

(١) هذا مضمون كلام لعلي عليه السلام حين وفاته، انظر: بحار الأنوار ٩٨/٧٥، أمالي الطوسي: ٧، أمالي المفيد: ٢٢٠ بشارة المصطفى: ٢٦، تحف العقول: ١٧١، غرر الحكم: ١٤٥، كشف الغمة ٥٣٥/١، ٥٦٧.

(٢) الحديد:٢٧.

التي يأتي بها المرتاضون؟ لأنّ كثيراً من العلماء الأجلاّء جداً كانوا في وسط المجتمع ويشتغلون بالدروس الحوزوية المتعارفة من قبيل البحث والمطالعة...الخ.

ومع ذلك فإذا لم يكن لهم مقام أعظم من الآخرين فليسوا أقلّ منهم على الحدّ الأدنى، أي أنّ أعلميتهم من الآخرين كانت كالمسلّمات، ومقامهم كان عالياً جداً جداً.

لا تتخيلوا أنّهم لم يكونوا يشتركون في الدروس أو التدريس، بل نقطع أنّهم كانوا أكثر من الآخرين في ذلك، ونقطع بأنّهم كانوا من أصحاب المقامات العالية بسبب الكرامات الصادرة منهم، والتي ذاعت بعد وفاتهم.

وعلى سبيل المثال فإنّ الكرامات المنقولة عن الشيخ الأنصاري رحمه الله لم تكن معروفة في أيام حياته. وذكر الشيخ الأنصاري لمجرّد المثال، وإلاّ فإنّ كثيراً من العلماء كانوا من أصحاب المقامات العلمية والعملية، ومع ذلك كان لهم التفوّق في الفقه والأصول على الآخرين، وقد ذكر الشيخ النوري رحمه الله صاحب المستدرك أسماء مجموعة من العلماء منهم الشهيد الثاني رحمه الله، ممن كانوا من أصحاب المقامات المعنوية العالية، وفي نفس الوقت كانوا أقوياء في الأمور العلميّة، ويقيمون صلاة الجماعة وكانوا يعيشون في وسط المجتمع، وكانت لهم علاقات مع الناس.

والجواب هو أننا نتصور أنّه لا يوجد شك في هذا الأمر، وأنه إذا وُفِق له الإنسان فهو كافٍ له وفيه جميع مطالب ونتائج الرياضات الشاقة.

وهذا الأمر هو أنّ يرى الإنسان نفسه في محضر الله سبحانه، ويرى الله مطّلعاً عليه في جميع أحواله، وحاضراً في كل مكان، وناظراً على جميع الأعمال والأحوال. والله يعلم كم لهذه الحالة من المراقبة والتوجّه من تأثيرات في روح الإنسان، وفي طلب العلم و المعرفة!

الفراشة لا تحتاج إلى تعلّم الحبّ والتوجّه إلى النور

إنّ من يعشق فتاة جميلة، ويريد أن يقيم علاقة معها ([طبعاً] الشخص المتَّقي يقوم بذلك عبر الطريق المشروع، بينما غير المتَّقي يتوصل لهذا الأمر من الطرق غير المشروعه) يظل مشغول الفكر فيها، حائماً حول دارها ومكان سكناها، بل هو يحتاج إلى صارف ومانع كي يلتفت ويعود إلى نفسه. بينما نجد أن الفراشة غير محتاجة إلى تعلّم المحبّة والتوجّه نحو النور، ولهذا يجب أن [تتوجه] تزيد المحبّة لمنبع الكمالات «الله» ولذلك العالم «الآخرة».

تعارض الحرص على نيل الكماليات مع الوصول إلى الهدف

بمقدار ما نزيد من تجملات الحياة وكمالياتها نكون قد قلّلنا من [نيل] خواص المطلب[1]، وكلّما قلّلنا من قيود الضيافة وكانت أكثر بساطة ازداد عدد الضيوف والضيافات.

نحن لا نفكّر في علاج أنفسنا

إنّنا نعرف الداء ولكنّنا لا نفكّر في علاج أنفسنا. ونعرف الدواء أيضاً كما صرّح بذلك القرآن الشريف: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[2]، ولكنّنا لا نفكّر في علاج

---

(١) الظاهر أن مقصوده حفظه الله هو أنّه كلما ازداد الانشغال بشؤون الحياة وانصرفنا إلى تهيئة كمالياتها كان ذلك على حساب الهدف الأسمى الذي يجب السعي لنيله منها. وكمثال لذلك إذا كان الهدف هو الضيافة فصرف الجهد والإمكانات في التكلفات الزائدة يكون على حساب عدد الضيوف وعدد المرات التي نتمكن فيها من إقامة ضيافات أخرى؛ إذ لا يبقى لنا مال لدعوة عدد اكبر أو إقامة مآدب وضيافات أكثر.

(٢) الشمس: ٨

أنفسنا.

درجات الإنسان ودركاته

مع أنّ الإنسان لا تفصله عن الملائكة إلا خطوة واحدة كما صرّح القرآن الكريم بذلك في قوله: ﴿إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾[1].

ومع هذه الحالة، فإن وحوش البراري والغابات وحدائق الحيوانات ليس فيها من يطأ جهنم، بينما الإنسان الذي هو أعظم وأشرف المخلوقات يذهب إلى جهنم، بل ويحكم عليه بالخلود فيها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾[2]، لقد جلس الشيطان له في الطريق، وهو له في كمين دائم: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[3].

الفرق بيننا وبين الأنبياء والأوصياء

الفرق بيننا وبين الأنبياء والأوصياء في مسألة واحدة، وهي أننّا لا نتوجّه إلى الخير ونحذر من الشر بالوجدان، بينما الأنبياء والأوصياء يرون بعين بصيرتهم [ووجدانهم] الشيء خيراً وخلافه شراً.

وأمّا نحن ففي كل يوم لدنيا خير وشر، وأخطاؤنا تصدر منّا عمداً لا سهواً. الأنبياء والأوصياء عَلموا وشخّصوا أن الخير المطلق خير من كل خير وأفضل من كل خير، فهم قد شخّصوا الأمر ولهذا توسّلوا بالمنبع.

ولكن نحن الذين لا نملك إيماناً قوياً «**إذا أقبل موسم كسر التوبة فما**

---

(١) الأعراف: ٢٠.

(٢) البقرة: ١٦٢، آل عمران: ٨٨، النساء: ١٦٩، التوبة: ٦٨.

(٣) الأعراف: ١٦.

الحيلة»[١].

امتلاك الأهلية شرط التكامل

أعظم العبادات معرفة الله، وجميع التكاليف هي مقدّمة لمعرفة الله، ولكن معرفة الله واجب ومطلوب نفسي، وإذا وجد الشخص الذي يتمتع بالأهلية، أي الطالب لمعرفة الله بجدٍّ وخلوص فحتى الباب والحائط سيكونان معلّمين له بإذن الله، و إلاّ [إن لم يتحقق صدق الطلب والجدية] فإنّ كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سوف لن يكون مؤثراً فيه، كما لم يكن مؤثراً في أبي جهل.

«وجدتك أهلاً للعبادة» وقصّة الشمعة والفراشة

إنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام يخافون من جهنم ويطمعون في الجنّة، ولكن لا يعبدون الله سبحانه خوفاً وطمعاً؛ لأن جملة **«وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتك»**[٢] لا تفيد وجود سبب [آخر] للعبادة، بل هي قصة الشمعة والفراشة[٣] أي «أهلاً لئن يُطلب ويُراد ويُعبد» وجدناك أهلاً للعبادة أي أهلاً لئن تكون مطلوباً ومراداً ومعبوداً.

الإنسان و مجالات كمالاته

عندما رأى الملائكة أن عجينة آدم عليه السلام قد صُنعت من الماء والطين، وأنّه من

---

(١) شطر بيت شعر من ديوان حافظ.

(٢) بحار الأنوار ١٤/٤١، ١٨٦/٦٧، و٢٣٤، ٢٧٨/٦٩.

(٣) مراده حفظه الله من قصة الشمعة والفراشة والتشبيه بها، هو بيان أن عبادة الله تعالى وطلبه لأنه أهل للعبادة، يشبه انجذاب الفراشة لنور الشمعة، وإصرارها على التحليق حولها، لا لسبب سوى هذا العشق والانجذاب إليها، حتى لو أدى ذلك إلى احتراقها نهاية الأمر.

الممكن أن يصدر منه الغضب والشهوة والحرب وإراقة الدماء والفساد قالوا: إنّه ليس خفيفاً وسماوياً مثلنا ولا يستطيع التحليق[١].

ولكن الله تعالى أفهمهم بتجربة واحدة أنّ الإنسان الترابي المنشأ يستطيع أيضاً أن يكون أعلى من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢].

أي أنّ البشر لديهم السعة لتعلّم الأسماء مع المسمّيات، لا الاسم فقط دون المسمّى. ولكن مما يوجب التحسر أننا بقينا بذلك التثاقل وبتلك الحالة الترابية كما قال الله تعالى في مكان آخر: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[٣].

قابلية الإنسان لنيل مقامات الأنبياء والأوصياء

ما هي قابلية الإنسان وما هي فعليته؟! لقد خُلق الإنسان على نحو يمكن أن يكون في أعلى عليين أو في أسفل سافلين، فإلى أي درجة يمكن أن يصل في تسافله؟ وإلى أي درجة يمكن أن يصل في علوّه؟

يمكن أن يحصل الإنسان على المقامات المطلقة للأنبياء عليهم السلام باستثناء المقامات الخاصة المختصّة بهم عليهم السلام، فقد استطاع النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله شقّ القمر[٤]. وحديثاً تمكّن الإنسان بواسطة اكتشافاته واختراعاته أن يصل إلى كوكب القمر، وأن يلمسه، وذلك

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٣٠ من سورة البقرة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

(٢) البقرة: ٣١.

(٣) الأعراف: ١٧٦.

(٤) القمر: ١، ولمزيد من الاطلاع راجع بحار الأنوار ٥٦/٧، ٤١٢/١٦، ٣٤٧/١٧.

بواسطة الآلات ولكنّه عاجز عن شقّ القمر، فكيف استطاع الرسول الأكرمﷺ أن يشقّه بإصبعه، فهل كان القمر ورقةً حتى يشقها نصفين؟!

الهدف من تعليم الأسماء هو معرفة الله

المقصود من الأسماء في الآية الكريمة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[(١)] العلم بالحقائق الموجب لامتياز الإنسان عن الحيوانات، بل والملائكة.

وعلى هذا الأساس فالمقصود من (الأسماء) حقائق الأسماء، لا الاسم فقط دون المسمّى، فإنّ إطلاق الاسم على المسمّى كان بسبب اتحاد الاسم والمسمّى، ومعنى ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾[(٢)] الواردة في ذيل الآية السابقة أي بهؤلاء المسمّيات؛ لأنّ العلم بالأثر تفصيلاً يعني العلم بالمؤثر إجمالاً، وحقيقة الموضوع هو نفس معرفة الله.

الارتباط بالثقلين وأفضلية العبادة في عصر الغيبة على عصر الظهور

الويل لنا إذا سُلب منا في يوم ما القرآن أو العترة، وسلب أيٍّ منهما هو سلب للآخر أيضاً؛ لأنّ هذين الاثنين لا ينفصلان عن بعضهما: «**لن يفترقا**» لا في الخارج ولا في الاعتقاد «**حتى يردا عليَّ الحوض**»[(٣)]. وإنما يشرب من الحوض من لازم القرآن

(١) البقرة: ٣١.

(٢) البقرة: ٣١.

(٣) أصل الحديث هكذا: عن رسول اللهﷺ أنّه قال: «**إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**» انظر: مسند أحمد: ٣ / ١٤ و ٢٧ و ٥٩، مجمع الزوائد: ٩ / ١٦٣، مسند ابن جعد: ٣٩٧ منتخب مسند عبد بن حميد: ١٠٨، خصائص النسائي: ٩٣، مسند أبي يعلى: ٢ / ٢٩٧ و ٣٧٦، المعجم الصغير: ١ / ١٣١.

والعترة معاً دون سواه.

هنالك جماعة من الناس موفقون دائماً، ولكن هناك عدّة أخرى كالأيتام لا مدبر لهم، وهم يتجهون إلى هنا وهناك بعمد ومن دون عمد، وطبعاً هم معذورون في الجملة[١].

فمن الممكن أن يقال لمثل هذا الشخص: صحيح ما تقول، فأنت معذور فثمة كثير من الأمور لم ترها ولم تعلمها، الحق معك؛ لأنّك تعيش في عصر الغيبة، وأنت قاصر عن الوصول إلى أبيك الروحاني والمعنوي حتى تكون مثل سلمان الذي كان عنده **«علم الأول والآخر»**[٢]، وهو القائل: **«إذا أدركتم سيّد شباب آل محمد فكونوا أشدّ فرحاً لقتالكم معه»**[٣].

ولكن ماذا نفعل إزاء قولهم عليهم السلام: **«العبادة في الغيبة أفضل من الحضور»**، وما قاله صلى الله عليه وآله أيضاً لأصحابه: **«أنتم أصحابي وأولئك إخواني، فوا شوقاً إلى إخواني آمنوا بسوادٍ على بياض»**[٤].

أفضلية العبادة في عصر الغيبة من عصر الظهور وإمكان نيل مقامات الأولياء

هل يمكن أن يصير الجميع مثل سلمان وأبي ذر رحمهما الله اللذين صبرا على كلّ

(١) بدليل عدم حضور إمام الزمان عجل الله فرجه.

(٢) بحار الأنوار: ١٠ / ١٢١، ٢٢ / ٣٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٧٢.

(٤) نقلاً بالمعنى، انظر: من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٣٦٥، وسائل الشيعة: ٢٧ / ٩٢، مستدرك الوسائل: ١٧ / ٣٠٠ بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٥، ٧٤ / ٥٥، جامع الأخبار: ١٨٠، كمال الدين: ١ / ٢٨٨، مكارم الأخلاق: ٤٤٠.

ألوان البلاء، أو يكونوا مثل عمار الذي كان مستعداً للقتل؟ إنّ باب المقامات التي وصل إليها هؤلاء قد أغلق، فإنّ جميع الدنيا وما فيها لا تساوي قيمة صلاة ليلة واحدة لسلمان رحمه الله. كان يجلس على جلد خروف، وكان مصلاّه عجيباً وغريباً؛ وقد عدّت إحدى الروايات أثاث منزله، فكان جلد خروف، وكيس طحين...الخ، ولكنّه مع ذلك كان يبكي من ثقل ما سيحمله يوم القيامة[1]؛ فماذا كان مقام سلمان وما هو مقام الشخص الذي يقع في مقابله، أي معاوية بن أبي سفيان؟!

طبعاً يحتمل كثيراً أن يستفاد من قولهم: «**العبادة في عصر الغيبة أفضل من العبادة في عصر الظهور**» أنّه يمكن لنا نيل مقامات أعلى.

ومقصودي هو أنّه لو كنّا في عصر الرسول صلى الله عليه وآله، وكنّا نرى حوله أمثال سلمان من ذوي المقامات العالية، فكم سيكون ذلك مثيراً ومحفزاً لنا إلى تلك المقامات. ولكن من لم يرهم فهو معذور من تحصيل مقاماتهم؛ لأنّه سيحصل له الشك والتردّد في إمكانية حصولها له.

ولكنّنا رأينا نحن أيضاً من كرامات العلماء عجائب وغرائب لا يمكن بيانها نتعجّب لماذا يراها الآخرون ولا يذكرونها أيضاً؟!

مع هذا فما عذرنا وما هو مبررنا في هذه اللامبالاة تجاه تحصيل تلك المقامات؟!

طريق كسب الكمالات

نحن نعلم بأنّ المقامات التي حصل عليها كثير من العلماء هي من هذا التعليم والتعلّم والكتابة والاشتغال بطلب العلم في الدروس المتعارفة في الحوزات العلمية

---

(١) انظر بحار الأنوار ٢٢/ ٣٥٥.

ومن المواظبة على المستحبات المعمول بها. ولم يكونوا يقومون بعمل آخر، فالمتيقن أنّ هذا كل ما كان لديهم. ومع ذلك فقد كانوا من أهل الكرامات! ولو لم أكن قد رأيت بنفسي كراماتهم ومقاماتهم لقطعت بنفي تلك الكرامات عنهم، وإضافة إلى ذلك، فكم نقلوا عن أساتذتهم السابقين من الأمور العجيبة.

ضمان الدنيا من طريق العبادة والدين

حتى لو أردنا الوضع الدنيوي الأفضل، فهو إنّما يتحقّق بالكون مع الإمام الحسين عليه السلام أيضاً لا مع يزيد.

ولكن الإنسان يطلب السعادة والراحة، وكلّما نال درجة منها طلب الدرجات الأعلى، فلا استقرار له حتى يصل إلى النفس المطمئنة، لكنّه جاهل أو غافل بأنّ امتلاك وسائل الراحة والرفاه أمر آخر غير تحقق الراحة والرفاه واطمئنان القلب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

أي أنّ الوسيلة الوحيدة لاطمئنان القلب هو ذكر الله. ولكنّنا نركن ونعتمد على الأسباب، ونغفل عن مسبب الأسباب، في حين أنّ الله تعالى يقول: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[2].

اللهم إلاّ إذا زال الإنسان نفسه «**أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك**»[3].

ولم نتعرّض للامتحان لكي يتبين هل نحن مع الحسين عليه السلام أو مع يزيد.

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) البقرة: ١٦٥.

(٣) بحار الأنوار ٣٦/٦٧ و ٦٤، ٢٧١/٧١، عدّة الداعي: ٣١٤، عوالي اللآلي ١١٨/٤، مجموعة ورّام ٥٩/١، كنز العمال ٤٣١/٤.

معنى الحديث القدسي: «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»

نتيجة الخلق والمخلوق في الحديث القدسي «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»(١) هي العلم والمعرفة.

تلازم العبادة والمعرفة

هناك تلازم بين العبادة والمعرفة، وبين ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٢) و(إلاّ ليعرفون)(٣)، ولهذا فأولئك الذين رؤيتهم الشهودية قوية ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾(٤).

أتباع الأنبياء (عليهم السلام) ومنشأ الكمال والنقص البشريين

إنّ منشأ جميع النقص في البشر هو اتّباع النفس والابتعاد عن تعاليم الأنبياء ومتابعتهم، وكل من تابعهم فإنّه يكون شبيه وممثّل الأنبياء والأئمة عليهم السلام الذين نتمنّى أن نراهم في المنام.

إهمال الجانب الروحي في الإنسان

من الممكن أن يقال: بما أنّ الإنسان مركّب من جزأين (جسم وروح) فيكفيه أن

---

(١) بحار الأنوار ١١٦/١٤، ٢١/٦١، قصص الأنبياء للجزائري: ٣٧٧.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) يمكن استفادة هذا المعنى من رواية منقولة عن الإمام الحسن عليه السلام في بحار الأنوار ٣١٢/٥، ٨٣/٢٣ و٩٣. وانظر تفسير القرطبي ٥٥/١٧، تفسير الثعالبي ٣٠٧/٥.

(٤) الأنبياء: ٢٠.

يلاحظ تارة جزءه الملكوتي والروحي، وأُخرى جزءه الحيواني. أي أن ينظر بأحد جزأيه إلى الأعلى، وبجزئه الآخر إلى الأسفل. فيقوي الروحانية وآثارها، كما يقوي الجسمانية وآثارها أيضاً. فليس من الضروري أن يتخلّى عن نفسه بالكامل؛ لأنّ نصفه ملك ونصفه حيوان. ولكن البشر في هذه الأيام يسيرون باتجاه الحيوانية، فلقد استغرقت الحرب العالمية الثانية ست سنوات، مع أنّها كانت حرباً نووية وحرباً بين الدول الكبرى.

فما هو الهدف من وراء هذه الحرب وسفك الدماء، وجميع هذا الدمار وقتل الأنفس؟ وهل كان ذلك عقلائياً ومنطقياً؟!

الأقلّون عددا..

أصل المطالب والمقاصد الماديّة والمعنوية مائدتها مبسوطة للبَرِّ والفاجر، ولكن الهداية للمقصد الأعلى مهيًّأ لجماعة خاصة من الناس فقط.

ميزان الأعمال التوجّه إلى الله تعالى

«إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات»[1].

بناء على هذه الرواية، من الممكن أن يحصل شخص على السعادة الروحية من طريق الدعاء، بينما يحصل شخص آخر على لذّة الحضور من طريق الصلاة، أو تلاوة القرآن، أو غير ذلك.

وعليه، فيجب علينا أن نهتمَّ أكثر بتأدية العمل الذي نحصل بواسطته ومن طريقه على حالٍ أفضل، ودرجةٍ من التوجه إلى الله أكبر، فنشتغل من خلاله بالذكر والمراقبة والتوجّه إلى حضرة الحقّ سبحانه وتعالى.

---

(١) بحار الأنوار ٢٢١/٦٨، ٣٥٢/٨٠، ٢٦٧/٨٤، ٩٥/٨٧، عوالي اللآلي ١١٨/٤.

لا يحصل التوفيق من المطبخ

إذا كان العلماء الماضون قد تفوقوا في دروسهم بسبب الإمداد الغيبي، فنحن اليوم أحوج إلى هذا الإمداد؛ لأنّ موانع وعراقيل اليوم أكثر من الماضي.

وكأنّ دعاء «سبحان من لا يعتدي على أهل مملكته...» الوارد في تعقيبات الصلاة[١]، هو لأجل هذا الأمر، وهو أن يكون للإنسان نورانية في فهم المعلومات؛ لأنّ المقامات لا تأتي من كثرة العمل، والتوفيق لا يحصل من المطبخ أيضاً.

وطبعاً، كم من الأشخاص لم يحصلوا على نتيجة من العمل والتحصيل العلمي ولكنهّم حصلوا عليها بقضاء حوائج أهل الإيمان، والرحمة والإحسان، ومساعدة الإخوان في الدين.

الإنسان إمّا جليس سلمان أو قرين أبي جهل

عندما رأى الملائكة أنّ عجينة آدم عليه السلام وطينته ثقيلة ومظلمة، وقد جبلت من الماء والطين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[٢]. فإنّ فيه الغضب والشهوة، وهو يُقيم الحرب ويسفك الدماء، ولا يستطيع التحليق مثلنا. ولكن الله عزّ وجلّ أفهمهم أنّ هذا البشر الترابي يستطيع التحليق أكثر من الملائكة، وبمقدوره الوصول إلى مقامات أعلى من مقاماتهم.

وبالطبع، فنحن [وأمثالنا] باقون على ثقلنا هذا، وعلى نفس حالتنا الترابية[٣]. نسأل الله أن لا يتزيّن لنا الحرام، فإنّ هذا أحد أمراض القلب الذي يبتلي به المرء، ويؤدي به

---

(١) مستدرك الوسائل٥/٧٨، بحار الأنوار٨٣/٩، عدّة الداعي:٦٣، فلاح السائل:١٦٨، مصباح الكفعمي: ١٩٨.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) إشارة إلى الآية ١٧٦ من سورة الأعراف: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

إلى توريط نفسه بالحرام، مع وجود طرق الحلال التي يستغني بها عن الحرام. والإنسان يستطيع باختياره أن يكون جليساً لسلمان، أو قريناً لأبي جهل.

ما كان لبلعم بن باعوراء بالفعل فهو ممكن لنا بالقوّة

هل قلّل الشيطان أو اختصر من حلفه وأقسامه لأبينا وأُمّنا آدم وحواء [وسعيه في إغوائهما] ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[1].

[وهل صحيح أنه] ليس له شغل بنا ـ نحن أولادهما ـ [وبالتالي]، فلن يجعلنا محلّاً لنصيحته وإغوائه؟!

وهل وسوسته مختصة ببلعم بن باعوراء فقط حيث ورد فيه: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[2]؟! أو أنّ ما كان لهؤلاء بالفعل فهو لنا بالقوّة؟!

تساؤل الملائكة وسعة الإنسان الكبيرة

لقد رأى الملائكة أشياء عجيبةً وغريبةً من البشر، فقد خُلق من الماء والطين، فكان ثقيلاً ومظلماً، ولهذا سألوا الله سبحانه مستوضحين: لماذا خلقت هذا الكائن الذي ينطوي على الغضب والشهوة، ويصدر منه الحرب وسفك الدماء والفساد، في حين ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[3]؟!

أي إن كان المقصود هو التسبيح والتقديس فهو حاصل فينا، وعليه فخلق الإنسان تحصيل حاصل.

---

(١) الأعراف: ٢١.

(٢) الأعراف: ١٧٦.

(٣) البقرة: ٣٠.

ولكن الله عزّ وجلّ قال في جوابهم: أُريد خلق وعاء[١] أُعلّمه الأسماء، وله من القابلية والسعة ما يكون أقوى وأكثر سعة منكم. ولهذا فإنّ خلقي له ليس تحصيلاً للحاصل[٢].

أنت حجاب نفسك فانهض يا حافظ من البين

إنّ الماديات والدنيا ووسائل الراحة لا تجلب الراحة للإنسان، بل الذي يجلبها هو ذكر الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣]، لا الاستحواذ على الملك والملكوت.

ولهذا يجب علينا السعي لإزالة القلق الذي يساورنا ورفع الحجب والستائر، وأكبر حجاب هو أنفسنا، كما قال الشاعر حافظ الشيرازي: أنت بنفسك حجاب نفسك فانهض يا حافظ من البين[٤].

نحن أنفسنا الحجب، والله سبحانه ليس له حجاب: [لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الآمال دونك][٥]. وهذه الموجودات هي الحجب، ولو خُرق الحجاب فلن تفنى البشرية بل تظل باقية أيضاً، والحجب النورانية هي ذلك التوجّه إلى نور الأذكار والعبادات.

محك التجربة واختبار العبودية

نُقِل عن المرحوم الميرزا جواد الملكي التبريزي أنّه قال: هل حدث أن أُمتحنت في

(١) موجود له قابلية وسعة أكبر.

(٢) انظر سورة البقرة: ٣١.

(٣) الرعد:٢٨.

(٤) ديوان حافظ. تصحيح القدسي، غزل ١٥٩ ص١٤١؛ غزل ٣١٦ ص ٢٤٥

(٥) مفاتيح الجنان: دعاء أبي حمزة الثمالي في السحر.

صدق عبوديتك، لكي تعلم هل أنت عبد لله أم لا؟ فكّر أنك إذا كنت تهيأت مع زوجتك وأولادك للسفر لزيارة كربلاء، وبعد تحمّل المشاق الكثيرة وإنفاق المال الكثير وصلتم إلى الحدود، ولكن فرض عليك هناك ارتكاب محرّم «مثل كشف الحجاب أو نظر الأجنبي إلى زوجتك وبناتك» لكي تستطيع الخروج من نقطة الحدود وأخذ الجواز، ففي هذه الحالة كيف تتصرّف؟ هل تقول في نفسك:لا أهمية لذلك، إنّه مجرد ذنب واحد، وقد أنفقنا كل هذه الأموال وتحمّلنا هذه المشاق حتى وصلنا إلى هنا فلنرتكب هذا الحرام ونعبر الحدود. أو أنّك وبكل شجاعة ورجولة، ومع جميع ما تحملته من مشاق وبعد المسافة، ومع كل ما أنفقت من أموال ترجع مع عائلتك؟ وتقول: إنّ من أمرني بقوله:إنّ الزيارة مستحبّة، وهو نفسه من أقصده للتقرّب، ومجيئي إلى هنا وتحمّلي كل هذه الخسارة المالية كان من أجله، لا يجوّز ارتكاب الحرام فيجب عليّ الرجوع من دون أي قلقٍ أو انزعاج استجابة لداعي نهيه وزجره. لأنّني عبد، وأريد زيارة سيّد الشهداء عليه السلام من أجل رضا الله سبحانه، لا إرضاءً لقلبي. وإذا كان هذه العمل لله فالله تعالى ينهى عن ارتكاب الحرام، وينهى عن الزيارة إذا توقفت على ارتكاب الحرام، ولذا عليَّ الامتثال وترك الذهاب للزيارة [بهذا الشكل]. وعليه فلو لم يعدل ويرجع فهو يقيناً ناقص الإيمان؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[1].

فالعبد المؤمن يجب أن يسلّم لأمر الله وحكمه، لا أن يكون تابعاً لرغباته وهواه ومطيعاً للنفس والشيطان.

---

(١) النساء: ٦٥.

التنعّم بالعبادة في الآخرة هو انعكاس التنعّم في الدنيا أو ثمرة له

يستظهر من حديث: «**تنعّموا بعبادتي في الدنيا فإنّكم تتنعّمون بها في الآخرة**»[1] أنّ للعبادات قابلية التنعّم بها، ولكنّنا نأتي بالعبادات على نحوٍ وكأنّ السوط على رؤوسنا، وخوفاً من جهنم لأنّها أمر واجب، فإن لم نأت بها فسيؤول مصيرنا إلى الجحيم. وكأنّ العبادات دواء مرّ لابدّ من تجرّعه، لأنّ الشفاء لا يحصل إلاّ به، فنضطر إلى تناوله.

أتوا بدواء مرّ إلى رجل عربي فتناوله وقال ساخراً: عسل! عسل! ويمكن الاستفادة من جملة «**فإنّكم تتنعّمون بها في الآخرة**» أنّ التنعم بالعبادة في الدنيا أمر ممكن، وأنّ نفس التنعّم في الدنيا له انعكاس على التنعّم في الآخرة، أو يكون سبباً لزيادة وعلوّ التنعّمات الأخروية، أي لزيادتها وعلوها عمقاً لا حسّاً.

مجاهدة النفس وتأديبها

كان المرحوم الميرزا جواد الملكي وعالم آخر من أهل تبريز في زيارة المرحوم المامقاني[2]، يقول الميرزا جواد‌: قالت لي نفسي: كلما تكلم هذا العالم بشيء فيجب عليك أن تقول شيئاً في مقابله أيضاً. ولكنّي قلت لنفسي: يجب عليك أن تقدمي له حذاءه [وتضعيه أمام قدميه إذا أراد النهوض]. فتألمت نفسي وقالت: كيف تفعل ذلك؟ فقلت: يجب عليك أن تضعي الحذاء لخادمه أيضاً.

---

(١) الكافي ٨٣/٢، وسائل الشيعة ٨٣/١، بحار الأنوار ١٥٥/٨، ٢٥٣/٦٧، مجموعة ورّام ١٦٨/٢، انظر أيضاً: أمالي الصدوق: ٣٠١، عدّة الداعي: ٢٠٨، مشكاة الأنوار: ١١٢.

(٢) هو المرحوم عبد الله المامقاني صاحب كتاب «تنقيح المقال».

الإنسان في قوس الصعود والنزول

إنّ قدرة البشر واستعداده هي بدرجة يستطيع أن يصل بها إلى أعلى عليين، أو أن ينزل إلى أسفل سافلين. والإنسان يمتلك روحاً حيوانية هي أشدّ افتراساً ووحشيّة وشرّاً من الحيوان؛ لأنّ الكلب والخنزير وباقي الحيوانات الوحشية لا تدخل النار، بينما هناك مجموعة من الناس الأشقياء والظالمين لن يمكنهم الخروج من جهنم وهم فيها خالدون، فكم التفاوت شاسع بين الإنسان والحيوان!

الآخرة وحدها الهدف دون سواها

لا ينبغي للمؤمنين أن يطمئنوا ويظنّوا أنّ اللعبة قد انتهت، وأنهّم وصلوا إلى الهدف. فإنّ البعض يظنّ أنّه بمجرّد أن يستشهد [مثلاً] فإنّ العمل قد تمّ، و أنه قد وصل إلى آخر درجات الإيمان، وقد غاب عن هؤلاء أنّ الآخرة وحدها ذي المقدّمة وهي المقصودة لا شيء آخر.[(١)]

عدم انقطاع الفيض الإلهي

الإلهام يشبه الوحي، وقد ورد في الحديث عن الرسول الأكرمﷺ أنّه قال: **«أعطاني الوحي وأعطى علياً الإلهام»**[(٢)].

والإلهام درجة عالية تقارن الوحي. نحن غير جادّون في الطلب، وإلاّ فإنّ الفيض

---

(١) يبدو أن مقصوده دام ظله أن الغاية هي الآخرة لا شيء سواها، فلا ينبغي الركون ما لم يصل الإنسان إليها، ولا ينبغي أن نعتبر أنفسنا قد بلغنا الهدف ما لم نبلغها مهما كان الأمر الذي حققناه، وحتى لو كان مثل الشهادة فالشهادة أيضاً ليست الهدف، بل الوسيلة لنيل الهدف وهو الآخرة، وقيمتها بمقدار ما توفر نيل ذلك الهدف.

(٢) بحار الأنوار ٣٢٢/١٦، إرشاد القلوب ٢/ ٢٥٤، أمالي الطوسي: ١٨٨، كشف الغمة ٣٩٠/١.

الإلهي لم ينقطع، ولن ينقطع.

انظروا إلى عشّاق الأموال كيف يجدّون في الطلب، فيصل بعض منهم إلى مقصوده، ويتخلّف الباقي عن الوصول لوجود الموانع. فهل مفيض المال غير مفيض العلم؟! ما الذي نعمله نحن؟ ولكنّ الله يعلم أنّ بعض الابتلاءات هي شرط ومقدّمة لحصول بعض الإفاضات يقول أحد [الأجلة]: أُبتليت بالبلاء الفلاني، ولكن أضيف إلى معلوماتي [بسبب ذلك] الكثير.

تأثير الصدق في الرؤيا الصادقة وصفاء الروح

الصدق مؤثّر جداً في رؤية المنامات الصادقة وفي صفاء الروح.

البون الشاسع بين الكرامات ومعرفة الحقّ

عندما نرى أمثال هذه الكرامات نقول في أنفسنا: يا ليتنا نستطيع أن نأتي بمثلها، مع أنّ هنالك بوناً شاسعاً بين الكرامات وبين إمكان المعرفة ومعرفة الله التي وهبها الله لنا؟! كما قال تعالى بالنسبة لأصحاب الكهف: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً﴾[1]، وما قاله عن أم موسى عليه السلام: ﴿لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وما قاله عن يوسف عليه السلام: ﴿لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[3].

فأين هذا الكلام [وعلو هذه الصفات والمعاني من الكرامات التي يمكن أن ينالها

(١) الكهف: ١٤.

(٢) القصص: ١٠.

(٣) يوسف: ٢٤.

أي كان بواسطة الرياضة] كطيّ شرق الأرض وغربها في لحظة!!

بأيّ شيء تعلّقت قلوب عشّاق الدنيا؟

جاء في قصّة يوسف عليه السلام: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾[1].

لقد كان لقاءً فقط، وبعد أن رأين جمال يوسف عليه السلام الذي «أُعطي شطراً من الحُسن»[2] قطّعن أيديهن وضيّعن ألبابهن ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[3].

عندما نسمع صوت انفجار فإنّنا نهتز تكويناً، فكيف إذن لا يُعرض أهل الشهود عند مشاهدة الجمال والكمال المطلق عما سواه، مع أن كشفهم وشهودهم يكون أقوى بمراتب من أصوات الانفجارات؟!

إنّ تكرار الآية يوجب عروج الروح، وسماعها ذلك الصوت من المصدر مباشرة أو عبر واسطة؛ وذلك لأنّ القرآن من مقولة الصوت: «كررتها حتى سمعتها من قائلها»[4] وأيضاً: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[5]. وكذلك: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[6]. ولكن انظروا إلى عشّاق الدنيا بماذا تعلّقت قلوبهم، وعلى ماذا يتنازعون؟ على دنيا من الكرتون والورق وبيت العنكبوت، وكما قالوا: «رأيت زيداً معدوماً، على فرس معدوم، بيده سيف معدوم، في قبالة عدوّ معدوم، بيده سيف معدوم، وهما يتقاتلان قتالاً معدوماً».

---

(١) يوسف:٣١.

(٢) انظر: قصص الأنبياء للجزائري: ١٦٠، الخرائج ١٠٤٦/٣.

(٣) يوسف:٣١.

(٤) قريب منه: مستدرك الوسائل ١٠٦/٤، بحار الأنوار ٥٨/٤٧، ٢٤٧/٨١.

(٥) النجم: ٨-٩.

(٦) ق: ١٦.

الحبيب الذي اشتاق إلى لقاء حبيبه

ورد حول علي الأكبر عليه السلام أن الإمام الحسين عليه السلام قال لأمه ليلى في لحظة وداعه ليذهب إلى ساحة القتال: «**دعيه فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه!**»

كما نقرا في بعض الأدعية خطاباً لحضرة الحقّ تبارك وتعالى: «**يا حبيب من لا حبيب له**»[(١)].

رؤية الله

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بنحوٍ يستطيع بواسطة العبودية الخالصة أن يضع قدمه في مقام أقرب من مقام الملائكة، وأن يحصل على مقامات الأنبياء والأولياء. ورؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا[(٢)] ممكنة بنفس ملاك إمكان رؤيته في الآخرة، وقد جاء في جواب أمير المؤمنين عليه السلام لمن سأله: هل رأيت ربّك؟ قال: «**ما كنت أعبدُ ربّاً لم أره**»[(٣)].

وجاء في الرواية أيضاً: «**رأته القلوب بحقائق الإيمان**»[(٤)].

كما نقرأ في دعاء عرفة: «**عَمِيَت عينٌ لا تراك عليها رقيباً**»[(٥)].

---

(١) بحار الأنوار ٣٩١/٩١، البلد الأمين:٤٠٧، مصباح الكفعمي: ٢٥٤، ٣٥١، المقام الأسنى: ٨٩.

(٢) المقصود الرؤية بالقلب.

(٣) أصول الكافي ١٩٧/١و١٣٨، بحار الأنوار ٤٤/٤، ٥٢، ٣٠٤.

(٤) أصول الكافي ٩٧/١و١٣٨، بحار الأنوار ٢٦/٤، ٢٧، ٣٢،٣٣، ٣٤، ٥٣، ٥٤و٣٠٤.

(٥) بحار الأنوار ١٤٢/٦٤، ٢٢٦/٩٥، إقبال الأعمال: ٣٤٩.

نحن في الصف الأول ونريد تكاليف السنة السابعة

إنّنا نترك العمل أحياناً بالأوامر الشرعية الواضحة والسهلة والتي نعرفها، ثم نذهب مع هذا إلى أساتذة المعرفة والأخلاق والتربية، ونطلب منهم ذكراً ثقيلاً وتكاليف أعلى ممّا ينبغي لنا. فنحن في الصف الأول، ولكنّنا نطلب تكاليف السنة السابعة.

وهذا علامة تشير إلى أنّنا لا نريد أن نترقّى ونتقدم بالأسلوب الصحيح لنصل إلى الكمالات والدرجات المعنوية العالية. فيا ليتنا نعلم أنّ صلاح ديننا ودنيانا هو في الالتزام بالأنبياء والأوصياء، والتمسّك بالقرآن والعترة.

أهمية المراقبة وآثارها

لقد كان ثمة أناس إذا ارتكب أحدهم معصية أو صدر منه قبيح، أو تناول طعاماً غير طاهر، التفت إلى ذلك وقال: لقد صرت مظلماً، وحصل لي حجاب، أو قال: إنّ طعام بيت فلان يلائمنا، وقد اتضح فيما بعد أنّ هؤلاء كانوا من الصلحاء. وعندما كانوا يتناولون طعام أشخاص لا أُباليين كان يخرج الدم مع مدفوعهم.

إنّ من يتابع أقواله وأفعاله ويراقبها، وينظر في كلماته وأعماله وماذا يفعل ويحاسب نفسه على معاصيه وتسامحه فيما يصدر عنه، والأمور التي يتساهل فيها يستطيع تشخيص عيوبه ونقائصه، ورؤيتها بمنظار المراقبة والدقة والمحاسبة.

وأما أن نتدارك ما قصّرنا فيه أو لا نتداركه، فهذا أمر له حساب مستقل. ولقد رأيت أحد الأشخاص من أهل المراقبة كان يتأذّى عندما يؤخّر صلاة المغرب ولو بمقدار حلول العتمة، أو يحرم التوفيق لوضوء صلاة الليل، أو عندما تهاجمه بعض الحيوانات كان يقول: إنّ هذه الحيوانات تقول لي: لماذا أخّرت صلاتك! إنّ على الإنسان أن يكون مراقباً لأعماله، لكي يرى آثارها ونتائجها الحسنة والسيئة.

الاهتمام بإصلاح النفس

يجب أن نكون من أهل المحاسبة، وإن لم نكن من أهل التوبة، ولم نتدارك ما فات منّا، فإنّ المحاسبة بحد ذاتها مطلوبة منّا. وإذا كنّا نعلم بأنّنا سنكون حسينيين في اليوم الفلاني ويزيديين في يوم آخر، فذلك أفضل من ألاّ نعلم أصلاً هل نحن حسينيون أو يزيديون، إذ من الممكن آخر الأمر أن يأتي علينا يوم نرجع فيه إلى أنفسنا ونسعى لتدارك ما فاتنا. وإذا التفتنا إلى عيوبنا وإصلاحها، فإنّنا لا نمتلك فرصة لمتابعة حساباتنا اليومية فضلاً عن محاسبة الناس، فإنّ «**أفضل الناس من شغلته عيوبه عن عيوب الناس**». لنفكّر في أنفسنا ونصلحها! فإنّنا إذا لم نتابع أنفسنا وعجزنا عن إصلاحها، فلن يكون بمقدورنا إصلاح الناس.

يمكن العثور على عيوب العمل بالمراقبة والمحاسبة

إنّ الإنسان ليظلم نفسه أحياناً، ويضع نفسه في الأغلال بنحو لا يستطيع هو أو أي شخص آخر بعدئذ فكّ تلك الأغلال.

إنّ بمقدور الإنسان، وفي جميع الظروف والابتلاءات، أن يسلك الطريق المستقيم وصراط العبودية، ليحصل - في النتيجة - على القرب من الله سبحانه. فنحن الذين نهيئ مقدّمات الأعمال، ومقّدمات الأفعال الاختيارية بأيدينا، وهي تتم بواسطتنا، ونحن أيضاً الذين نهيئ أسباب الخواطر، والغفلة والنسيان عن ذكر الحقّ تبارك وتعالى. ولهذا يجب علينا البحث والتحقيق في علل الأعمال ومعلولاتها، وبواسطة المحاسبة والمراقبة تظهر وتتضح لنا عيوب الأفعال.

إلام التراخي والتقصير؟

لا يُراد منّا في الأمور العبادية أن نزيح جبلاً عن محلّه، بل إنّ أصعب العبادات هي صلاة الليل، وهي في الحقيقة [مجرد] تغيير موعد النوم لا ترك له من أصل، بل تنام قبل نصف ساعة من موعد نومك لكي تستيقظ قبل نصف ساعة من موعد استيقاظك، فهل تخاف إن استيقظت أن لا تنام مرة أُخرى وتموت؟! [لكنّك] إذا بقيت نائماً فمن الممكن أن يأتيك الموت وأنت نائم [أيضاً] !

خروج أنفس المقرّبين شوقاً إلى الجنّة

لقد وصف الله سبحانه في القرآن وفي غيره[1] الجنّة وأهلها وصفاً أخّاذاً، بحيث لو أنّ أحداً مات شوقاً من سماع ذلك لما كان بعيداً. كما وصفت آيات الجحيم بهذا النحو [البليغ] أيضا، يقول القرآن: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[2]، فلو أنّ إنساناً نظر إلى معاصيه فمات على أثر ذلك لما كان بعيداً.

وطبعاً فلا حديث لنا مع المنكرين، ولكن بعض المقرّبين قد ماتوا شوقاً إلى لقاء الجنّة؛ لأنّ سماع آيات الرحمة والنعمة أو آيات العذاب والنقمة لها أثر تكويني على الإنسان الموحِّد، فتخرج نفسه من سماع المشوِّقات أو المخوِّفات، ومع ذلك كلّه فإنّنا لا نجد لهذه الآيات أثراً فينا!

بين التسامي المعنوي والإخلاد إلى الأرض

إذا كان ثمة كتاب يعكس لنا صور [حقائق] الأشياء فهو هذا القرآن الذي يصف

---

(١) أي السنّة.

(٢) الحج: ٢١.

لنا الجنّة والنار، ومع ذلك كلّه فنحن لا أباليين إلى هذه الدرجة و قد تعلقت قلوبنا بالدنيا. وليت العوض وما به التفاوت [أي ما نناله من الدنيا] له قيمة تعادل قيمة[ما نخسره بسبب] الانفصال عن الحق والالتحاق بالباطل، فما هي قيمة الدنيا ومقاماتها؟ والله يعلم ما هي حالة أصحاب المقامات المعنوية في أوقات الخلوة والمناجاة، وكيف تحرقهم انطفاءة الفكر [والاستغراق] بسبب مشاهدة الأنوار الإلهية ولو في مدّة قصيرة!

طريق معرفة الله

سؤال ـ ما هو طريق معرفة الله؟ تفضلوا ببيان ذلك إذا أمكن؟

الجواب ـ طريق معرفة الله معرفة النفس، فنحن نعرف بأننا لم نصنع [نخلق] أنفسنا، ولا يمكننا ذلك، والآخرون إن كانوا مثلنا فهم لم يخلقوا أنفسهم كما لم يخلقونا نحن أيضاً، ولا يمكنهم ذلك. فالذي خلقنا إذن قادر مطلق وهو الله، وطريق قربه «**شكر المنعم**» من خلال طاعته، والمشقة في ذلك إنما تقع ابتداءً، ولا يمضي الكثير حتى يصبح [الأمر] لطالبي قربه أحلى من كل حلاوة.

حول السلوك إلى الله

سؤال: إني مصمم على تحصيل القرب من الله والتوفر على السير والسلوك، فما السبيل لذلك؟

الجواب: بسمه تعالى: إذا كان الطالب صادقاً فترك المعصية كافٍ ووافٍ للعمر كله حتى لو كان ألف سنة.

سؤال: هل لابد في المسير إلى الله من وجود أستاذ؛ ومع عدم وجوده ما العمل؟

الجواب: أستاذك علمك؛ اعمل بما تعلم تُكفَ ما لا تعلم.

سؤال: إني مصمم على نيل القرب الإلهي، تلطفوا بإرشادي. أفلا يحتاج هذا الأمر إلى أستاذ؟

الجواب: بسمه تعالى: الأستاذ هو العلم والمعلّم [مجرد] واسطة. اعمل بمعلوماتك ولا تضع المعلومات تحت قدميك، فذلك كاف: «**من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لا يعلم**»[(١)]. ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[(٢)].

إذا رأيت أن الأمر لم يتحقق فاعلم أنك لم تعمل بذلك. خصص ساعة في اليوم والليلة لأجل العلوم الدينية.

(١) بحار الأنوار: ١٨٩/٧٨.

(٢) العنكبوت: ٩٩.





الفصل الثاني:

حول التوبة والتضرع واللجوء إلى الله تعالى





الدعاء سلاح المؤمن في مقابل الأعداء

إذا كنا متأخرين عن الكفار في صناعة السلاح والتجهيزات العسكرية فهل يعني هذا أن نكون متأخرين في الدعاء أيضاً؟

لقد جاء في الروايات: «**الدعاء سلاح المؤمن**»[1].

وجاء في بعض الأدعية: «**اللهم إنّك أقرب من دُعي**»[2]، أي أنّ الله قريب ومجيب.

ويقول الله تبارك وتعالى في القرآن: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[3].

ولكن المطلوب الدعاء الحقيقي، لا لقلقة اللسان وصورة الدعاء. ودعاء التائب، أي الدعاء بعد العزم على ترك المعاصي التي ارتكبناها، والبناء على إتيان الواجبات التي تركناها؛ لأنّ دعاء التائب هو المقبول، لا الدعاء من أجل رفع الابتلاءات المانعة والتوفيق لأداء الأعمال السيئة الماضية!

وينبغي أن يتصف الداعي حين الدعاء بحالة من التواضع والحسرة والغصّة.

يقول الله عزّ وجلّ عن حالة الكفار عند الموت وفي يوم الجزاء:

---

(١) أصول الكافي ٤٦٨/٢، وسائل الشيعة ٣٨/٧ و٣٩، بحار الأنوار ٢٨٨/٩ و٢٩٤.

(٢) بحار الأنوار ٩٥/ ٢٢٢، إقبال الأعمال ٣٤٦، البلد الأمين: ٢٥٦، المقنعة: ٤١١.

(٣) البقرة: ١٨٦.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[١].

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[٢].

والدعاء تصميم على ترك المخالفة، وعزم على ترك المعصية كما ورد: «**ما لي كلّما قلت قد صلُحت سريرتي، وقرُب من مجالس التوابين مجلسي، عرضت لي بلية أزالت قدمي، وحالت بيني وبين خدمتك؟!**»[٣].

وفي حالة التوجّه والدعاء الراحة والروح كما ورد: «**وفي مناجاتك أُنسي وراحتي**»[٤].

معنى الآية الشريفة ﴿ادعوني أستجب لكم﴾

سؤال: أليس معنى الآية الشريفة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٥] هو استجابة نفس ما تدعون به؟

الجواب: إذا طلب الداعي ليرة واحدة فأعطي مائة فهل يرفض أخذها متعللاً بأنّه دعا لا بشرط، وهذه المائة ليرة هي بشرط شيء؟! لابدّ أنّهم سيعترضون قائلين: إنّ هذه المائة ليرة ستعطى له في الآخرة وربما بعد ألف عام. هذا إذا أعطيت له، ومع ذلك لا ندري هل ستعطى له حقّاً أم لا، بينما الليرة الواحدة المطلوبة هي التي تصله في الدنيا

---

(١) مريم: ٣٩.

(٢) السجدة: ١٢.

(٣) بحار الأنوار ٨٥/٩٥، إقبال الأعمال: ٧١، البلد الأمين: ٢٠٨، مصباح الكفعمي: ٥٩٣، مصباح المتهجد: ٥٨٧.

(٤) بحار الأنوار ١٤٧/٩١.

(٥) غافر: ٦٠.

نقداً!!!

الشيعة ونور أدعية أهل البيت (عليهم السلام)

إنّ الأدعية الواردة في شهر شعبان لا تقل عن الأدعية الواردة في شهر رجب والشيعة الذين يملكون جميع هذه الأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام غارقون في النور.

كيف ندعو؟

هل يمكن للعمل أن يتمّ من دون تحقّق مقدماته وشروطه؟! فإذا كنّا نريد أن ندعو، أي ندعو الله حقّاً ونطلب منه فإنّ للدعاء مقدمات. وإذا أردنا أن نصل إلى نتيجة بواسطة الدعاء فليكن لسان حالنا هو: أنّنا خاضعون لله، وليفعل بنا ما يشاء، فإنّا لن نتراجع عن التصميم على العمل بوظيفة العبودية.

فهل سيسلمنا الله سبحانه في مثل هذه الحالة للذئاب؟ وهو يستطيع أن يدفع جميع مصائب المؤمنين ويعوضها لهم، ولو كانت مجرد خدشة. إن اتضح لك الطريق والتكليف فسر فيه، وإذا لم يتضح فثبّت عصاك في الأرض واعمل بالاحتياط.

شروط استجابة الدعاء

يجب مراعاة الأمور التالية عند الدعاء:

١ـ الثناء والتعظيم والتمجيد للساحة المقدّسة لحضرة الحقّ تبارك وتعالى.

٢ـ الاعتراف بالذنوب وإظهار الندامة منها، والتي هي بمنزلة التوبة تقريباً أو ملازمة لها.

٣ـ الصلاة على محمد و آل محمد صلى الله عليه وآله الذين هم وسيلة وواسطة الفيض.

٤ـ البكاء، فإن لم يكن فالتباكي ولو قليلاً جداً.

ثم اطلب حاجتك، وفي هذه الحالة فإنّ قضاء الحوائج ليس فيه مماطلة أو تأجيل. وطبعاً إذا كانت هذه الأمور (أي الثناء والتعظيم والتمجيد، والاعتراف بالذنوب والصلوات، والبكاء أو التباكي) في حال السجود فهذا أفضل، وتأثير البكاء في هذا المجال [كبير] إلى درجة أنّه ورد في عمل أم داود وكذلك في قنوت الوتر عنه: «**فإنّ ذلك من علامة الإجابة**»[1].

وقد ورد في إذن الدخول على الأئمة الأطهارعليهم السلام عن البكاء: «**فهو علامة القبول والإذن**»[2]. أي أنّه طريق تكويني إلى الله وارتباط بالغيب، وطبعاً هذا بالنسبة لمن يعتقد بهذه الأمور.

التضرّع عند البلاء

إنّ الله سبحانه لا يُرسل البلاء من غير مصلحة وحكمة، ويجب الدعاء من أجل رفع تلك البلاءات.

يقول الله سبحانه: ﴿**فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا**﴾[3].

أي أنّ البأس والصعوبات والضغوطات هي من الباري سبحانه، وهو الذي يرسلها عليكم لكي تتضرّعوا وتتوجّهوا إليه، وتطلبوا منه وتدعوه، فلم لا تقومون بذلك؟!

(١) بحار الأنوار ٤٠٤/٩٥، إقبال الأعمال: ٦٦٣.

(٢) بحار الأنوار ٢١١/٩٧، البلد الأمين: ٢٧٥، مصباح المتهجد: ٧١٩.

(٣) الأنعام: ٤٣.

هل الدعاء مشروط بالتوبة؟

سؤال: لماذا ندعو بكل هذه الأدعية ومع ذلك لا يُستجاب لنا، ومع هذا تقول الملائكة أيضاً: لماذا لا تدعون؟

الجواب: لأنّ شرط إجابة الدعاء هو التوبة، لذا تقول الملائكة: لماذا لا تأتون بهذا المشروط (الدعاء) مع شرطه (التوبة) حتى يستجاب لكم؟ ولماذا لا تدعون دعاء التائب، ولا تأتون بالدعاء مع التوبة؟

لكن طبعاً هنالك فرق بين أن نقول ونحن في حالة التمرد والعصيان: «لا نتوب ولكن أعطنا كل ما نريد» لأنّ هذا خلاف العبودية، وبين أن نقول: «**اللهم إني تائب توبة غير حقيقية، ولكن لا طاقة لي على البلاء أيضاً، وأريد منك أن ترفع ذلك البلاء عنّي، لقد أذنبنا ونحن نقرّ ونعترف بذنوبنا، ولكن لا يتأتّى منّا التوبة، وتوبتنا غير حقيقية وغير دائمية**».

فمن المسلّم وجود فرق بين المنكر والمتمرد و بين المقرّ والمعترف والمنقاد؛ لأنّ مثل هذه الطلبات والإجابات والعطايا يتفضّل بها الله تعالى علينا، وهي مختلفة عن باب الشرط والمشروط، وعن مشروطية الدعاء بالتوبة. وذلك بأن نقول: اللهمّ إنّنا غير مستوجبين للرحمة، ونقرّ بأنّنا لسنا أهلاً لها، ولكنّك أنت أهل لذلك وإنّك «**تجد من تعذّبه غيري، ولا أجد من يرحمني سواك**»[1].

(1) بحار الأنوار ٩٥/٢٣٦، إقبال الأعمال:٣٦٦.

ألا يجب اللجوء إلى الله قبل الابتلاء؟

يقول تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾[1].

عند الشدائد والمصائب والابتلاءات نهتف جميعاً مستغيثين: يا الله، ومن المعروف أنه عند الإشراف على الغرق ترتفع الأصوات بالضجيج من جميع مَن في السفينة من الرجال والنساء ومن البرّ والفاجر.

نعم، ففي حال البلاء والمصائب والشدائد ترى حتى غير المصلّين بل غير المسلمين يلتجئون إلى الله سبحانه.

أفلا ينبغي لنا مع جميع هذه الابتلاءات النازلة على رؤوس المسلمين أن نلتجئ إلى الله سبحانه؟! أم ننتظر إلى أن يشتد البلاء ويسوء أكثر؟!

نعم، يجب أن توجد فينا في الرخاء حالة الابتهال والتضرّع والتوسّل، وأن نلتجئ إلى الله سبحانه ونكون شاكرين له؛ لكي يسمع استغاثتنا في حالة الشدّة والمصاب، وإلاّ حلّت بنا هذه المصائب والبلايا؛ لأنّ الكفّار وأعداءنا لا يهدأون ولا يقرّ لهم قرار، بل هم يضعون الخطط لنا لما بعد خمسين سنة.

أفلا يجب أن نلتجئ إلى الله سبحانه في حال الرخاء؟ أم نكون كالكفّار الذين لا يلتجئون إلى الله إلا في حال الشدائد والحروب فقط فيذهبون إلى الكنائس عند وقوعها؟! ألا يجب أن نحمل هذا الهم وندعو بتضرع واستغاثة لظهور فرج المسلمين والمصلح الحقيقي الإمام الحجّة عجلّ الله تعالى فرجه الشريف؟!

---

(١) الأنعام: ٤٣.

وجوب إقامة مجالس الدعاء

«أسرع الدعاء إجابة دعاء غائب لغائب»[١].

يجب إقامة مجالس الدعاء والتوسّل في أيام الحرب هذه[٢]، وخاصّة بعد إقامة الفرائض، وأن يُدعى في الخلوات مع الإخلاص بالآية الكريمة ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ﴾[٣] والطلب من الله سبحانه بنجاة جميع المؤمنين والانتقام من أئمة الكفر، وكل من كان منبعاً لهذه الفتن، وسبباً لنزول هذا البلاء على رؤوس المسلمين.

لا نتوجّع مع أنّنا مظلومون

مع أنّ النار تُصبّ على رؤوسنا[٤]، ويجب علينا الدعاء لإزالة هذه النيران، ولكنّنا لا ندعو ولا يتحقق عندنا الحال المطلوب للدعاء،من انكسار القلب والتحرّق والتأوّه، مما لو خرج من القلب لأصاب الهدف مباشرة كالسهم. نعم، لدينا الكثير من لقلقة اللسان.

يُنقل أنّه ذهب ولي عهد أحد الملوك مع جماعة لعيادة أحد العلماء في تبريز، وفي أثناء الحديث قال: يقال: إنه اختُرِعت وسيلة رماية تصيب الهدف على بُعد نصف فرسخ، فقال ذلك العالم في **جوابه**: إنّي أعرف وسيلة تصيب الهدف أبعد من تلك المسافة! فقالوا: أمر عجيب! أمتأكد أنت من ذلك؟! أين اخترعوها؟! فقال: إن«آه» المظلوم وتوجّعُهُ تصيب الهدف وتؤثر أبعد من ذلك!

أمّا نحن فمع أنّنا مظلومون، إلاّ أنّنا لا نتوجّع ولا يصدر منّا أي تأوه.

---

(١) مستدرك الوسائل ٢٤٢/٥، بحار الأنوار ٣٨٧/٩٠، وراجع أيضاً: عدّة الداعي: ١٨٣، دعوات الراوندي: ٦.

(٢) الحرب العراقية ـ الإيرانية.

(٣) النمل: ٦٣.

(٤) في حرب العراق على إيران.

لا نتوب؛ لأنّنا لا نرى أنفسنا مذنبين

إنّ الحوادث التي تُصبّ على رؤوسنا هي نتيجة لأعمالنا:﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[(١)].

أفلا ينبغي أن نفكّر ونتوب من الذنوب الماضية التي هي سبب جميع هذه الابتلاءات والمصائب؟ ولكنّنا لا نتوب لأنّنا لا نرى ما نأتي به من عمل سيئاً، ونحسن الظن بأنفسنا وبما نقوم به من أعمال! أفلا ينبغي في مثل هذه الحوادث والمصائب التي أُخبرنا عنها منذ ألف عام أن تنشرح صدورنا وأن نكون كما أمروا؟! حيث قالوا: «**تمسّكوا بالأمر الأول**»[(٢)]، أي أن نعتقد باليقينيات ونعمل بالواضحات والضروريات الدينية، ونحتاط في موارد الشك والترديد، وكذلك أن نلتزم في هذا الزمان الذي كثر فيه ابتلاء المؤمنين بالإكثار من قراءة دعاء الفرج كما أمرونا.

الدعاء للمؤمنين

كل من أراد أن يكون دعاؤه مستجاباً فليدعو لنجاة المؤمنين والمؤمنات، ليكون بذلك مشمولاً لدعاء الملك، والذي هو محلّ الاستجابة[(٣)] يقيناً. نقل أحد شيوخنا أنّ المرحوم الميرزا وكان أحد المراجع المعروفين «ولا أعرف من هو المقصود منه»[(٤)]

---

(١) الشورى: ٣٠.

(٢) بحار الأنوار ١٣٣/٥٢، الغيبة للنعماني: ١٥٩.

(٣) في الرواية ما يفيد أنّ من يدعو لأخيه المؤمن يقيم الله تعالى ملكاً يدعو له (للداعي لأخيه) بقضاء حوائجه وبما أنّ دعاء الملك للإنسان أفضل من دعاء الإنسان لنفسه وهو مضمون الإجابة فالشيخ حفظه الله ينصح كلاً منا أن يتوسل إلى قضاء حوائجه بهذه الطريقة من الدعاء للمؤمنين فيضمن قضاء حوائجه اكثر، بالإضافة إلى ثواب الدعاء للمؤمنين.

(٤) هذا اللقب (المرحوم الميرزا الكبير) مشترك بين الميرزا محمد حسن الشيرازي والميرزا محمد حسين ⬅

رأى أحد الأشخاص عند ضريح سيّد الشهداءعليه السلام يدعو «**اللهمّ ارحمني واغفر لي**» فقال له عندما سمعه يقول ذلك: «ني ني ني، لي لي لي» كناية عن توبيخه [لاستعماله ياء المتكلّم]لدعائه لنفسه فقط وعدم إشراكه سائر المؤمنين في دعائه.

وطبعاً إذا قال الإنسان: «اغفر لي وارحمني» وألغى الخصوصية وقصد بذلك الدعاء عن جميع المؤمنين أو الدعاء لجميع المؤمنين، أي: «ارحمني بما أنّي مؤمن» و«ارحم كل مؤمن» فيكون الداعي قد جمع تقريباً بين الدعاء بالمأثور، وهو لفظ الدعاء بنحو الانفراد، حيث ذُكر لفظ المفرد «ني، لي»، وبين المقصود وهو الدعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وطلب ونجاتهم «المعلوم رجحانه». وبهذا القصد لا يرد عليه الاعتراض السابق.

من لا يَرحم لا يُرحم[1]

نحن الآن[2] حفنة من الشيعة في حالة بلاء وضيق ـ وفينا العلماء والنساء والأطفال الأبرياء ممن لا مقرّ لهم ولا مفرّ ـ أفلا يجب علينا أن نطلب من الله بعيون باكية وقلوب محزونة أن يرفع هذا البلاء؟!

وهل من الصحيح أن نجلس مرتاحين، وننظر إلى ما يجري، وإخواننا وأخواتنا في الإيمان مبتلون في أيدي الظالمين؟! فإذا كنّا اليوم لا نرحمهم، ولا ندعو لنجاتهم، فغداً عندما ينزل مثل هذا البلاء على رؤوسنا، لن يرحمنا الآخرون ولن يدعوا لنا.

➡

النائيني والميرزا محمد تقي الشيرازي رحمهم الله.

(١) من لا يحضره الفقية ٣٨٠/٤، الاستبصار ٢٦٧/١، التهذيب ٣٢/٢.

(٢) أيام الحرب العراقية الإيرانية.

وهل يجوز أن يكون قائدنا ومولانا إمام العصر عجل الله فرجه حزيناً ونحن فرحون؟! أو يكون باكياً بسبب ابتلاء شيعته ونحن نضحك مسرورين؟! ونعتبر أنفسنا في نفس الوقت تابعين له عليه السلام؟!

قراءة دعاء الفرج لحل المعضلات الشخصية

يجب الإكثار من قراءة دعاء الفرج في أوقات الابتلاء والشدّة؛ لأنّ دعاء الفرج هو دعاء للفرج الشخصي، ولذا يجب المواظبة عليه عند الشدائد. ولقد قال الإمام السجاد عليه السلام لابن الإمام الحسن عليه السلام وصهر الإمام الحسين عليه السلام عندما أمر الوليد بضربه خمسمائة سوط، قال له: يا ابن العم لا تنس دعاء الفرج. فقال: وما دعاء الفرج يا ابن العم؟

فعلّمه الإمام السجاد عليه السلام دعاءً، فأخذ الحسن بن الحسن بن علي بقراءته، عندئذ نزل الشخص المأمور[1] بضربه عن المنبر وقال: «أرى سجية مظلوم، أخّروا أمره، أُراجع الأمير». وكتب كتاباً إلى الوليد، فأمر الوليد بإطلاق سراحه[2].

والدعاء التالي نافع أيضاً لدفع البلاء والشر: «**اللهمّ صلّ على محمد وآله وأمسك عنّا السوء**»[3].

---

(١) والي الوليد على المدينة واسمه صالح بن عبد الله.

(٢) تفصيل هذه الحادثة في بحار الأنوار ١١٤/٢٦، ٢٣٣/٩٢، مهج الدعوات: ٢٣١. ومتن الدعاء بعنوان «دعاء الكرب» وقد جاء بهذه الألفاظ: «**لا إله إلاّ الله الحليم الكريم، لا إله إلاّ الله العليّ العظيم، سبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ الأرضين السبع وربّ العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين**».
وقد ذكر هذا الدعاء في مواضع أخرى باسم «دعاء الفرج» انظر: الكافي ٢٨٤/٤، التهذيب ٥٠/٥، وسائل الشيعة ٣٨٣/١١.

(٣) انظر: التهذيب ٢٩٤/٣، وسائل الشيعة ٥٠٦/٧، بحار الأنوار ١٧٨/٨٤، البلد الأمين: ٣٤، مصباح الكفعمي: ٤٦.

وجوب الدعاء لرفع البلاء عن المؤمنين

إذا بقينا لا أباليين، ولا ندعو من أجل رفع الابتلاءات عن أهل الإيمان فإنّ ذلك سيؤدي إلى اقتراب تلك الابتلاءات منّا أيضاً، كما يقع على رؤوسنا في الوقت الحاضر من إلقاء المواد الكمياوية وقصف المدن[1]، وأمثاله.

ماذا يجب علينا أن نعمل في مقابل الأخطار الدينية؟ ألا يجب أن نفكّر ونعمل شيئاً؟! أم نترك الأمور تسير كما هي وليحدث ما يحدث، وليقع على رؤوس النساء والرجال والشيوخ والشباب مهما يقع؟!

التضرّع والابتهال لرفع ابتلاءات المسلمين

كم هي واسعة الرحمة الإلهية لأولئك الذين لا يقفون موقف اللامبالاة، ويبكون ويتضرّعون ويبتهلون في سبيل رفع جميع الابتلاءات وألوان البلاء عن المسلمين وأهل الإيمان: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾[2].

إذا ابتلي مسلم في الصين، فإنّ ابتلاءه ابتلاؤنا، وينبغي أن نكون مهمومين مثله.

نحن في هذا العالم بمنزلة الضيوف؛ فلا ينبغي أن ندسّ أنوفنا فيما يقوم به صاحب الدار من عمل، علينا أن نعلم ما الذي يجب علينا فعله أو تركه، وإنّ الإنسان إذا أدّى تكاليفه فهو أفضل من الملائكة وعليه ألا يشعر بأدنى حسرة وغصّة، إنّه عبد فقط وليس للعبد حقّ الرأي ليتصرف من عند نفسه، وإلاّ فكثيراً ما تكون النتيجة عندئذ خلافاً لمصلحته.

---

(١) في الحرب العراقية الإيرانية.

(٢) الأنعام: ٤٣.

التوبة والتضرّع لإزالة المصائب أيضاً

إذا بدا للسادة رأي معيّن في أمر ينفع لو عمل به المسلمون لرفع هذه المصائب النازلة على رؤوسهم فليتفضل ببيانه. يقول القرآن: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١].

ويقول أيضاً: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾[٢].

ويقول أيضاً: ﴿لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[٣].

لقد اتفق في الأمم السابقة مجيء العذاب الإلهي ووصوله فوق رؤوسهم بالنحو الذي أخبرهم به أنبياؤهم، بدرجة يتيقّن الجميع ويدركون أنّ العذاب الإلهي سينزل عليهم، ولكنّهم بعد ذلك كانوا يدفعونه عنهم بالتضرّع والابتهال، فالعذاب الإلهي يرتفع من عالم الغيب بواسطة الملائكة من خلال التوبة والرجوع إلى الله والتضرّع، فلماذا نستبعد أن يرتفع عنا العذاب أيضاً؟!

عدم تنافي الحزن والدعاء والبكاء مع التسليم

«إنمّا يرحم الله من عباده الرحماء»[٤].

لا يتعارض الحزن والدعاء والتوسّل مع التسليم والرضا بالقضاء الإلهي، ونقل عن

---

(١) الأنفال:٣٣.

(٢) الأنعام: ٤٣.

(٣) يونس: ٩٨.

(٤) بحار الأنوار ٧٩/ ١٠١، مستدرك الوسائل ٢/ ٤٦٠، مسكّن الفؤاد: ١٠٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه بكى عند دفن ولده إبراهيم[١]. وبكى أيضاً على جعفر[٢] وحمزة عليهما السلام بل أمر بالبكاء على حمزة كما جاء في بعض الروايات[٣].

الدعاء بنحو تعدّد المطلوب

لا تختصّ الأدعية الواردة في الأمكنة والأزمنة الخاصّة[٤] بتلك الأمكنة والأزمنة بنحو لا يمكن قراءتها إلاّ فيها، بل مثل هذه الإرشادات هي بصورة تعدّد المطلوب.

وعليه فيمكن قراءة هذه الأدعية في غير تلك الأزمنة والأمكنة.

الدعاء بلسان جميع المؤمنين

من المستحسن قراءة الأدعية بلسان جميع المؤمنين (أحيائهم وأمواتهم) وقراءة مضامينها لجميعهم.

عيش الحاجة للدعاء من أجل المؤمنين

يتعرض أهل الإيمان والشيعة في كثير من البلاد للبلاء والمشاكل، فهل نحس بالحاجة إلى الدعاء من أجل إنقاذ أهل الإيمان وتخليصهم من البلاء كإحساسنا باحتياجنا إلى الماء والخبز عند العطش والجوع؟ بل ينبغي أن يكون أكثر من ذلك

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١/ ١٧٧، وسائل الشيعة ٣/ ٢٨٠و٢٨١، مستدرك الوسائل ٢/ ٤٦٠و٤٦٢، بحار الأنوار ٥٦/٢١، ٧٦/٧٩.

(٢) مستدرك الوسائل ٣٥٨/٢، بحار الأنوار ١٥١/٢٢، ٩٢/٧٩.

(٣) مستدرك الوسائل ٣٨٤/٢، بحار الأنوار ٩٨/٢٠، إعلام الورى: ٨٥، مسكّن الفؤاد: ١٠٧.

(٤) كالأدعية الواردة في مقامات مسجد الكوفة ومسجد السهلة ومسجد صعصعة القريب من مسجد السهلة وأدعية رجب وشعبان ورمضان... الخ.

ويجب أن يكون دعاؤنا بمقدارٍ يدفع البلاء والسوء عنهم، وبالعدد والشرائط الخاصة.
وينبغي أيضاً أن يكون دعاؤنا لهم دعاء التائب [إذ التوبة شرط لاستجابة الدعاء].

وظيفتنا مقابل الابتلاءات الصعبة

نحن الذين لا طاقة لنا بالدفاع عن أنفسنا أمام القوى الدولية الكبرى التي اجتمعت واتحدت للقضاء علينا، ولا يمكننا بحسب الظاهر محاربتها، فلماذا نتخلّى عن أداء تكليفنا؟!

إنّ وظيفتنا الفعلية مع جميع هذه الابتلاءات والحروب للقضاء على الشيعة في إيران والعراق ولبنان وباكستان وأفغانستان... الخ هي الدعاء، والتوسّل بالإمام الحجّة عجل الله فرجه، وتوصية الآخرين بالدعاء، وقراءة دعاء الحجّة لنفس الحجّة عليه السلام، وأن يكون دعاؤنا دعاء التائب.

وطبعاً توبة كل شيء بحسب ذلك الشيء، فإذا كانت ذمتنا مثلاً مشغولة بمال لشخص ما، فيجب أولاً إرجاع هذا المال إلى صاحبه، ثم نستغفر الله سبحانه.

البلاء للولاء

سؤال: هل من الممكن ألاّ تكون هذه البلاءات النازلة من باب العقوبة ومجازاة الذنوب، بل لأجل رفع الدرجات، ومن باب أن البلاء للولاء[1]؟

الجواب: الموضوع واضح لأهل الولاء، إذ كلّما اشتدّ بلاؤهم ازداد إيمانهم وعندما كان ميثم التمّار مصلوباً كان اطمئنانه وإيمانه يزداد في كل آن وفي كل لحظة

---

(١) انظر بهذا المضمون: أصول الكافي ١٠٩/٢، ٢٥٢،٢٥٣، وسائل الشيعة ٢٥٢/٣ح٣٥٥٣، ٢٦٣/٣ح٣٥٩٣ ١٧٥/١٢ح١٦٠٠٢.

لأنّه قد أُخبر بما يجري عليه[١].

وعلى كل حال فقد أكثر إمام الزمان عجل الله فرجه وأصرّ على الوصية بقراءة دعاء الفرج في هذا الزمان، وفي هذه الظروف[٢].

الدعاء كما هو حقه ليس لأي كان

أنشد أحد شعراء العرب البيت التالي عن أهل البيت عليهم السلام:

مُشرَّدون نفوا عن عُقرِ دارِهم كأنّهم قد جَنَوا ما ليس يُغتفرُ[٣].

فهل حقّاً كان ينبغي أن تصل أعمالنا إلى الحدّ الذي يكون فيه أوصياء النبيّ عليهم السلام أذلاّء بيننا إلى هذه الدرجة؟! لقد فشلنا في الامتحان مع الأئمة الذين كانوا حاضرين بيننا، وإذا قُدِّر لإمام الزمان عجل الله فرجه الظهور أيضاً، فمن الواضح كيف سيكون تصرّفنا معه؟! إنّنا لم نتب عن سوء تصرّفنا مع الأئمة الأحد عشر السابقين عليهم السلام، فهل نتوب أيضاً للإمام الثاني عشر؟! نُقِل عن السيد الزاهدي قوله: «**لا تدعوا لتعجيل الفرج؛ لأنّه دعاء من أجل ارتكاب المعصية، فهل تريدون أن يأتي حتى نقتله!**».

إذا كنّا نعلم أنّ لدعائنا أثراً ومع ذلك لا ندعو فنحن مقصّرون، ولكن الله تعالى يعلم من هم أهل الدعاء، كنا نتوهم أنّ هذا العمل [الدعاء] يمكن أنّ يأتي به كل أحد وأنّه عمل العجزة، ولكن اتضح أنّه ليس عمل أيٍّ كان. نعم لقلقة اللسان كثيرة، ويمكن أن يقوم بها كل شخص، ولكن الدعاء الحقيقي بشرائط الدعاء والاستجابة له قليل جداً.

---

(١) الاختصاص: ٧٥، بحار الأنوار ٤٢/١٣٠ـ ١٣٣.

(٢) بحار الأنوار ٥٢/٩٢، ٥٣/١٨٠، الاحتجاج ٢/٤٦٩.

(٣) بحار الأنوار ٤٩/٢٤٢، عيون أخبار الرضا ٢/٢٦٦، المناقب لابن شهر آشوب ٢/٢١٣.

دعاء الشيخ بهجت مدّ ظلّه

كان دعاء الأستاذ مدّ ظلّه لأحد تلاميذه مرّة هكذا: «**وفّقكم الله لمرضاته مع العافية**».

وجوب التوبة والدعاء لتعجيل الظهور عند الشدائد

نعوذ بالله تعالى أن نسير في طريقٍ يتطلب منا أن نسحق الحق بأقدامنا،ونعوذ بالله تعالى أن نسير في طريقٍ لا نستطيع الرجوع منه، ونسأل الله أن يوفقنا للرجوع من الطريق الذي نعلم بأنّنا لا نستطيع [ولا يحق لنا] السير فيه، ويجب علينا الرجوع منه، وإلاّ فإنّ الله يعلم كم ينبغي أن نكذب ونبرر أخطاءنا؟! ونرجو أن تكون هذه الوقائع الحادثة[1] بشارة لقرب ظهور وفرج إمام الزمان عجّل الله فرجه، والذي هو متأثّر قبلنا بما يقع من تقاتل بين طائفتين مسلمتين، مما لم يحدِّث التاريخ عن مثله، وهذا ما يُقرّب أنّ هذه الأمور متصلة بظهوره عليه السلام.

اللجوء إلى الله تعالى

نحن لا نتملك إيمان أهل الإيمان، ولا يقين أهل اليقين، وليس أمامنا [سوى طريقين] فإما أن نقول:ليس هنالك قيامة وأنّنا كالحيوانات لا تكليف علينا، أو أن نجد مأمناً وملجأً يقينا عذاب الله سبحانه؛ إذ إنه ليس ثمة سوى الله من يقدر على هدايتنا وإرشادنا. فهذا ابن نوح، ولكي يفرّ من العذاب الإلهي لجأ إلى غير الله، وقال: ﴿**سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ**﴾[2] [فكانت عاقبته الهلاك].

(١) إشارة إلى الحرب العراقية الإيرانية.

(٢) هود:٤٣.

وغداً كل شيء يفنى إلاّ الله ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[1].

علينا بالدعاء للتوفيق في تحصيل حال الدعاء

إذا اجتمعت شروط الدعاء تكون استجابته حتمية، وطبعاً فالاستجابة ليست بمعنى أنّنا نرى النتيجة فوراً بمجرّد الدعاء كما جرى للسيّد ابن طاووس رحمه الله، حين دعا على حاكم ظالم في حرم أمير المؤمنين عليه السلام، وفهم هناك استجابة دعاءه، فأخبر أن هذا الظالم سيموت بعد ثلاثة أيام. بل تكون الاستجابة أحياناً بعد الدعاء الخاصّ الخالص والمخلص، الذي يكون الجزء الأخير من العلّة التامّة[2]. إنّ علينا أن ندعو لكي يحصل لنا توفيق حال الدعاء.

أهمية الدعاء عند الابتلاءات

لا ينبغي ترك الدعاء والتوسّل عند الابتلاءات ومن أجل رفع البلاء. وإذا لم ندعُ فهل نستطيع إدارة الدنيا؟! وإذا تركنا الدعاء فهل سيكون المال والمنال سائغاً ولذيذاً؟! وإذا لم ندعُ ليزول البلاء وبقي فهل نعلم ما الذي سينزل على رؤوسنا؟!

الابتلاءات مقدّمة التضرّع والعبودية

يجب أن نستغفر من سكوتنا عن الكلام الذي كان ينبغي أن نقوله، أو الذي قلناه

---

(١) طه:٧٣.

(٢) مراده دام ظله ظاهراً أنّ الاستجابة وتحقق المطلوب لها شروط ومقدمات تكوّن بمجموعها علة تحقق هذا الأمر والاستجابة تحصل بعد الشروط، وإنّما تتحقق مباشرة بعد الدعاء عندما تكون قد تحققت بقية الشروط، وصدر الدعاء كجزء أخير من العلة، وإلّا فإذا لم تكن بقية الشروط متحققة كالتوبة مثلاً أو الإخلاص، فسوف تكون استجابة الدعاء معلقة على تحققها، ولن تتم بعد الدعاء مباشرة «المترجم».

وكان ينبغي عدم التفوّه به، أو عن العمل الذي كان ينبغي أن نأتي به في الزمان الفلاني أو المكان الفلاني ولم نفعل، أو بالعكس بأن كان ينبغي أن لا نفعله وفعلناه؛ لأنّ تلف الأموال أهون من تلف النفوس، وتلف النفوس أهون من تلف الدين.

لقد أخبرنا الأئمةعليهم السلام قبل ألف عام عن مثل هذه الابتلاءات، وبيّنوا لنا أيضاً طريق الخلاص والنجاة وأرشدونا إليه، وقالوا: اقرأوا الدعاء الفلاني، ومنها دعاء الفرج، وعدّوا ذلك من علامات المؤمن.

وقالوا أيضاً بشكل كلّي وعام: إنّ طريق عليعليه السلام نجاة في جميع الابتلاءات والاختلافات.

ماذا جنينا وفعلنا حتى نزلت كل هذه الابتلاءات على رؤوسنا؟!

إنّ الابتلاءات مقدمّة للتضرّع والعبودية كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾[1].

الفرار إلى الله هو طريق النجاة

ألا يجب علينا الآن، بعد أن أدركنا أنّا وقعنا في مخالب الذئاب، بسبب ترك الواجبات وفعل المحرّمات، وعدم مراعاة الحلال والحرام والأوامر الإلهية، ألا يجب علينا أن نعلم ما الذي يجب علينا فعله؟

إنّ طريق النجاة هو بالفرار إلى الله سبحانه والرجوع إليه: ﴿ففرّوا إلى الله﴾[2] واللجوء إلى أولياء الله؛ لأنّه ما لم يشأ قلم التكوين والإرادة التكوينية لله عزّ وجلّ فليس

(١) الأنعام: ٤٣.

(٢) الذاريات: ٥٠.

ثمة من قدرة مهما عظمت تتمكن من إلحاق الضرر بنا، بل حتى إنّ الإنسان عاجز عن إتيان المحرّمات أو نيل المقامات والمناصب المحرّمة من دون إذن تكويني من الله عزّ وجلّ. فجميع هؤلاء الظالمين يريدون ممارسة الظلم، وهم إنّما يقدرون عليه لأنّ الله لم يقدّر ويقضي بمنعهم منه. أفلا يجب علينا مع كل هذه المصائب التي طالتنا جميعاً أن يفكر أحدنا في الآخر؟! وكم هي أعمالنا بعيدة عن الخير والسعادة؟ وكم من المناسب أن تُعقد مجالس ختم ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ﴾[1] من أجل قضاء حوائجنا أيضاً، وهل يكون ختم من غير توبة؟! وهل يكون فيه فائدة لمثل حالنا؟!

(١) النمل: ٦٢.



الفصل الثالث:







عاقبة الذنب والمذنبين

روي عن الإمام الرضا عليه السلام ما مضمونه: «**اليأس من رحمة الله أشدّ من ارتكاب الذنب**»[1].

إذا لم نمنع أنفسنا من ارتكاب المعاصي فإنّ هذا سيؤدي بنا إلى إنكار وتكذيب الآيات الإلهية والاستهزاء بها، أو إلى اليأس من رحمة الله، وإن كان من الواضح لكل مذنب أنّه قد خرج من رحمة الله، الرحمة الإلهية الواسعة التي «**إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتى يطمع إبليس في رحمته**»[2].

وكم أعطوا لعمر بن سعد من وعود على قتل شخصية عظيمة كسيّد الشهداء عليه السلام والذي كان من أقاربه أيضاً، ولكنّه لم يصل إلى شيء منها، فلم يصر ملكاً ولا رئيساً بل ولم ينل حكم الري[3].

نعوذ بالله تعالى ونلتجئ إليه فكم يجب على الإنسان أن يحفظ نفسه ومن جهات عديدة لتكون عاقبته على خير.

كسب الرزق لا يتطلب الوقوع في المعاصي

لماذا لا نتنبّه والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾[4].

---

(١) الكافي.

(٢) بحار الأنوار ٧/ ٢٨٧، ٦٠/ ٢٣٦، الأمالي للصدوق: ٢٠٥، روضه الواعظين ٢/٥٠٢.

(٣) فلقد وعد بملك الري، راجع بحار الأنوار ٤٤/ ٣٠٥و٣٨٥، ٤٥/ ٩، كشف الغمة ٢/ ٤٧، مثير الأحزان: ٥٠.

(٤) طه: ١١٨.

أي لو تركت أكل الحرام فلن تموت من الجوع والعطش، الجنّة معدّة لك، وإلاّ لم تكن. لو كنّا نؤمن بالجنّة والخُلد لما خالفنا الأحكام الإلهية إلى هذا الحد. إنّ ما قاله الشيطان لآدم وحوّاءعليهما السلام: **﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾**[1] كان تورية أو كذباً، ومؤداه أنكما إذاً بقيتما في الجنّة لن تكونا ملكين ولن تكونا من الخالدين، إذاً فاذهبا إلى جهنم من خلال العصيان والأكل من الشجرة المنهي عنها !

كم نشبه الطيور في هذا حيث ينصبون لها المصائد ويستدرجونها بوضع حبّة فيها لتقع في الشراك حين سعيها لالتقاطها، وماذا لو وقع قلب الإنسان في المصيدة؟!...

إن الشيطان قد كمن للبعض في منعطف الطريق وأخذ يجرّهم إلى الحرام كما قال تعالى عن لسانه: **﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾**[2].

درجات التقوى

سؤال: نرجو شرح العبارة التالية الواردة في تعريف التقوى:

«تقوى بالله وهو ترك الحلال فضلاً عن الشبهة، وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلاً عن الحرام».

الجواب: التعريف الأول يبين أخصّ درجات التقوى حيث يتجنّب الإنسان حتى الحلال فضلاً عن الشبهة، ويكتفي بالضروريات، ويتجنّب المباحات فضلاً عن الشبهات

---

(١) الأعراف: ٢٠.

(٢) الأعراف: ١٦ـ١٧.

والمحرّمات، وهذا ما يُسمّى «التقوى بالله» وكأنّه لا يوجد خوف في البين، بل الله هو الذي يعطيه ويؤيّده والعبد بالله يفعل ما يفعل، فالفعل فعل الله لا فعل العبد، والله فاعل كل شيء؛ بخلاف التعريف الثاني «التقوى من الله» حيث يكون الخوف والحذر من الله نفسه، ونحن إذا راعينا الدرجة الثانية من التقوى واجتنبنا من الحرام اليقيني فهذا أمر جيد جداً، وطبعاً في الموارد التي فيها مصلحة ! وإلاّ فإذا حل موسم كسر التوبة فما الحيلة[١] فهل كان أولئك الذين يرتكبون المحرمات بلا عقل؟!

استكبار إبليس وعاقبة السوء

لقد كان إبليس عالماً، بل من علماء الطراز الأول، ومع أنه أراد أن يتحدّث بنحو منطقي جداً فقد قال مخاطباً ربه: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٢].

وقد اعترضت الملائكة أيضاً على خلق آدم عليه السلام، ولكنّهم سألوا وسمعوا الجواب قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟[٣].

وقال لهم الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤].

ولم يوجد من يقول ثمة لإبليس: لماذا قلت بنحو الجزم: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾؟

فهل رأيت ضوءك الظاهري فقلت: من المحال أن يكون سواد الطين وظلامه أشرف منّي؟

---

(١) شطر بيت شعر فارسي.

(٢) الأعراف: ١٢.

(٣) البقرة: ٣٠.

(٤) البقرة: ٣٠.

والآن أيضاً نرى كثيراً من الناس يعترضون على الدين والأمور الدينية ويتخيَّلون أنّ أحداً لا يستطيع أن يجيب عن شبهاتهم وأسئلتهم الدينية والعقائدية، دون أن يطلبوا الإجابة من أهلها!

لقد طلب الشيطان من الله تبارك وتعالى أنه لئن أعفاه من السجود لآدم فسيعبده بدل ذلك عبادة لم يعبده بمثلها أحد. ولكن الله تبارك وتعالى قال له: «**إنّي أحبّ أن أطاع من حيث أريد**»[١].

لقد آل الشيطان إلى هذه العاقبة وسوء المصير بعد عبادة استغرقت ستة آلاف سنة[٢]، فهل يمكننا الاغترار بأنفسنا؟! نعوذ بالله تعالى من ذلك.

كل هذا الضجيج من أجل المأكل والمشرب

نستفيد من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿**فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى ۞ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى**﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ**﴾[٦] أنّ جميع الفساد والإفساد والقيل والقال والضجيج الذي كان على سطح الأرض وما زال وسيبقى كله من أجل هذا المأكل والمشرب؛ لأن التكاليف تتناول الغضب والشهوة، وتناول الطعام والشراب من موجباتهما و أسبابهما.

---

(١) بحار الأنوار ٢/ ٢٦٢، ١٤٥/١١، ٦٠/ ٢٥٠، قصص الأنبياء للراوندي:٤٣.

(٢) نهج البلاغة: ٢٨٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣/ ١٣١، بحار الأنوار ٦٠/ ٢١٤، ٤٦٥/١٤.

(٣) البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩.

(٤) طه: ١١٧.

(٥) طه: ١١٨– ١١٩.

(٦) الأعراف: ٢٠، طه: ١٢٠.

الويل لنا نحن الذين نعتبر أنفسنا أشرف المخلوقات بينما نحن في الواقع أسفل من الحيوانات، وإلاّ فإنّ جميع هذه النفقات من أجل المعاشرات والتقلبات غير المشروعة لا معنى لها.و إذا ما اعتدلنا في مأكلنا ومشربنا فكم ستعتدل ميول الغضب والشهوة لدينا؟ والله يعلم كم ينفق الكفار من أموال طائلة في سبيل جرّ المسلمين والمؤمنين نحو الفساد، ونحن نقف في المقابل كأنّنا نرى أنفسنا مضطرّين وعاجزين، فهل نحن ـ مع هذا الضعف والجوع الذي نعانيه ـ محتاجون إلى كل هذا الفساد الأخلاقي والاختلاطات المضرّة وغير المشروعة، وكل هذا الصراع من أجل الرئاسة والقتل والظلم؟!

طريق اجتناب المعاصي

إنّ إتيان الطاعة وترك المعصية أمر صعب ظاهراً، والوصول إلى درجة سلمان متعسر، بل كالمحال، ولهذا فإنّ الجميع ـ عدا المعصومين عليهم السلام ـ مبتلون بترك الطاعات وارتكاب المعاصي، والوصول إلى درجة المعصوم كأنّه أمر غير ممكن، ولكن يوجد بين البشر من هو كالشمر بأعداد غفيرة. ولكن هل يوجد شيء يُعين على إتيان الطاعات والانتهاء عن المعاصي؟

من الأمور السهلة المؤونة جداً ـ وإن كان الفعل مخالفاً للقول ـ أنّ الإنسان يمكن أن يلاحظ ويرى أنّه لو ترك المعاصي وعمل بالطاعات فهل إنّ حاله ستختلف عمّا لو ترك الطاعات وأتى بالمعاصي؟ وهل حالته ستكون كما في الحالة الأولى أم لا؟ هل التقرب للرئيس والملك ينفع الإنسان أكثر أم التقرب للفقير والعاجز؟ وهل يجمل بنا الرجوع إلى الذات التي بيدها الموت والحياة، والصحة والمرض، والغنى والفقر، وإقامة علاقة معها، أم إلى المحتاج بنفسه، والمفتقر العاجز؟!

وكذلك الأمر في طاعة الأوامر الإلهية ـ وكذا في المعصية أيضاً وطاعة أوامر النفس والشيطان ـ فإنّ الأمر دائر بين مجالسة من بيده الحياة والممات، والغنى والفقر والمرض والصحة، والمستشفى والطبيب، والخزانة والثروة.....الخ أو مجالسة من لا يملك شيئاً؟! فماذا يختار الإنسان؟ وإلى أي طرف ستميل المحبّة الوجدانية وصوت الفطرة «لا بحسب الخوف من النار والاشتياق إلى الجنة»؟

وبحسب الظاهر، فإنّ العبد المطيع يستند ويتكئ إلى مثل الجبل قوة وثباتاً، وإلى من هو مصدر جميع الخيرات، بينما العبد العاصي يستند إلى من هو أشد افتقاراً منه، وإلى من هو عدوّ المعرفة «الشيطان»، والذي هو أسوأ من الصديق الجاهل. كل ما يرتئيه صلاحاً له فهو ينعكس ضرراً وخسراناً، فيكون كمن يذهب إلى شخص ليساعده من النجاة من الفقر والضغط ونوائب الدهر فيقول له: إنّ أفضل عمل لك هو أن تقدم على الموت والانتحار. فما يرتئيه الشيطان للإنسان هو من قبيل من يقول له: إنّ صلاحك ونجاتك في تناول أقراص مميتة أو منوِّمة لكي ترتاح.

وبناءً على هذا، فإنّنا حينما نصمِّم على الطاعة، نكون قد صممنا على مرافقة ومصادقة ومجالسة الغني القادر والعالم الكريم، وحينما نصمِّم على المعصية، نكون قد صمَّمنا على مرافقة ومجالسة الفقير العاجز، والجاهل اللئيم.

فإذا استوعبنا هذا المعنى بنحو صحيح، وفهمناه وصدّقنا به بشكل واضح، فحينئذٍ سندرك بأنّنا قد ربحنا في الطاعة، ولم نخسر ونتضرّر. بدليل أنّنا رأينا أفراداً من ذوي الكرامات قد وصلوا إلى منزلة ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1] ونحوها، وهو أمر غير مستحيل، ولا يختص بالأنبياء عليهم السلام فقط، بل كل من اتّبعهم يستطيع أن يحصل من هذا

(١) آل عمران:٤٩.

الطريق على مقاماتهم وكمالاتهم وكراماتهم. بالطبع بشرط عدم اقتران ذلك بتحدّي [ادعاء] النبوة مع كذب مدَّعيها. وعليه فإذا تيقن الإنسان واتضح له وتبين أنّه في الطاعة قد رافق الغني والقادر والكريم...الخ، وأنّه في المعصية يرافق من هو أعجز وأحوج منه فحينئذٍ سوف لن يميل نحو المعصية أبداً، ولن يترك القصر الملكي وأنواع اللطف والنعمة والعمران، ويذهب إلى الخرائب المتهدّمة، ولن يتّخذ صاحبها رفيقاً له وجليساً. هذا بالإضافة إلى أن صاحب الدار ومالكها الحقيقي لا يرضى لنا أن نرافق أمثال هذا الشخص ونتَّخذه صاحباً، و نحرم أنفسنا بذلك من كل شيء.

وعلى هذا الأساس، لا يوجد لدينا طريق من أجل تيسير الطاعة واجتناب المعصية غير هذا، بأن نلتفت ونتيقّن بأنّ الطاعة تقرّبنا إلى جميع النعم والمسرّات والغنى والعزّة....الخ، وأنّ المعصية عبارة عن الحرمان وسوء الأحوال والفقر والمذلة....الخ.

الالتزام بالشرع وتوجيهات أهل البيت (عليهم السلام)

الويل لمن يطّلع الإمام الحجة ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ على كونه لا يبالي في تحصيل رضاه واجتناب مخالفته، ومن يقول للناس في الأمور المالية: «إنّ يدي هي يد الحجّة وأنا وكيله». ولكنه في الأعمال الأخرى [لا يكون كذلك و لا يتصرف كممثل له]. نسأل الله أن لا نكون بهذا النحو، خصوصاً ونحن نرجو أن يعيننا في آخر أعمارنا وعند الموت، ونأمل أن يزول البلاء عنّا بشفاعته. فهل من الممكن أن ننفصل عنه في بداية أعمالنا، ثم نرجو أن يأخذ بأيدينا في آخر المطاف؟!

لقد سلّم السيّد الطبيبي عند اقتراب وفاته على جميع أنوار المعصومين عليهم السلام وعظّمهم، ولكنّ أحداً من الحاضرين لم يشاهد شيئاً. فنحن بحاجة إلى هؤلاء العظماء في مثل تلك الأوقات، فإيّاكم أن تأتوا بأعمال تكون نتيجتها «أن يتبرأوا منا» ويقولوا

عند النفس الأخير: إننّا لا نعرف هذا الشخص!

إنّ التفاوت والاختلاف في درجات الإيمان والتقوى واليقين بيننا وبين العلماء السابقين واسع وشاسع، مائة عام فرق بيننا وبينهم ولكنها كألف سنة! لقد كانت استجابة أدعيتهم وبسرعة أمراً عادياً للغاية، ولكن لو قال أحد اليوم: دعوت فاستجيب لي، فهو أمر نادر جداً.

نقل عن شخص كانت المدّة بين وفاته ووفاة المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله مدة أسبوع فقط، وكان في مشهد الإمام الرضا عليه السلام وعائلته في العراق فذهب إلى حرم الإمام الرضا عليه السلام وقال: عائلتي....[1] فمرّ شخص من جانبه على الفور وأعطاه مقداراً من المال، ولكنّه التفت إليه وقال: إنّ هذا غير مناسب لكرمكم. قال هذا في سبيل أن يحصل على مقدار آخر من المال، ثم قال: هذا قليل. بعد هذه الحادثة جاءه أحد علماء مشهد وهو في الصحن الشريف، وقال له: «يبدو أن صفقتك مع الإمام جيدة» ثم مدّ يده إلى جيبه وأخرج نفس المقدار من المال الذي كان يريده ذلك الرجل وأعطاه إياه.

الاجتناب عن الغيبة

كان المرحوم الحاج حسين القمي ملتزماً أن يخلو مجلسه من الغيبة، حتى إنّ بعض معاصريه كانوا يعترضون عليه بأنّنا لا نستطيع أن نتحدّث لأنّك تقول فوراً: لا تغتابوا!

وكان المرحوم السيّد عبد الهادي الشيرازي[2] أيضاً كالحاج حسين القمي رحمه الله

---

(١) سقط هنا من القلم شيء، ولعلّه بمعنى: إن عائلتي في العراق وأنا في مشهد وأحتاج إلى مبلغ يؤمن نفقة وصولي إليهم.

(٢) أحد مراجع التقليد في النجف الأشرف.

ملتزماً بترك الغيبة والمنع منها، وكنّا نقول في أول الأمر: إنّ هذا مجرد قول، ولا يوجد مثل هذا الشخص الذي يملك مثل هذا الالتزام، ولكن عندما عاشرناه واختلطنا معه رأينا أنّ ذلك أمر ممكن، وغير مستحيل.

إنّ ما عند معاوية ويزيد بالفعل موجود عندنا بالقوّة

إنّ ما صدر من معاوية ويزيد بالفعل موجود عندنا بالقوة. فلا نغترّ بأنفسنا كثيراً؛ إذ لم يأت هؤلاء من جهنم بينما جئنا نحن من الجنة... إلى الله الملجأ وبه المستعاذ.

لزوم الاحتياط في فتن آخر الزمان

سؤال: نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال عن فتن آخر الزمان: إنّ تشخيص التكليف في ذلك الزمان متعسّر، فماذا علينا نحن أن نعمل؟

الجواب: إذا كان الحصول على التكليف متعسّر، فإنّ الاحتياط غير متعسّر، فيجب التوقف والاحتياط. إنّ سفك دماء الناس، وهتك أعراضهم وتدمير أموالهم ودينهم ليس لعباً. ولقد تمّت الحجّة علينا.

أشكال قتل الحق؟!

لو كنّا نحن بدل خلفاء بني أمية وبني العباس الذين غصبوا الخلافة من أهلها، وكانت لدينا القدرة، ولم يكن هناك مانع يمنعنا من قمع أعدائنا، وقد تهيأت لنا الظروف والقدرة والإمكانيات التي تهيأت لهم، أفلا نعمل مثل عملهم؟! والآن ماذا نفعل؟! ألا نعمل على قتل الحق؟!

نسأل الله سبحانه وتعالى ألا يعرّضنا لمثل هذا الامتحان، وإذا تعرّضنا لمثله فنسأله عزّ وجلّ أيضاً أن يحفظنا.

فالإنسان في مقام الامتحان إمّا أن يكون مثل سلمان رضي الله عنه فيصبح في أعلى عليين، أو يكون مثل يزيد ومعاوية من الهالكين، وفي أسفل السافلين.

وجوب الهجرة إلى بلاد الإيمان

يمكن للإنسان أن يعيش في بلاد الكفر، مع كونه مخالفاً في إيمانه واعتقاده للأنظمة والحكومات التي تفتقر إلى الدين أو العقل، أو كليهما، ويكون مع هذا منتظراً للفرج.

ولكن من كان يريد عبادة الله عزّ وجلّ والمحافظة على إيمانه، وكان هذا الأمر يتوقّف على نقل مكان سكناه من تلك البلاد إلى بلاد الإيمان، فيجب عليه عندئذ ـ إذا كان الانتقال ممكناً بالنسبة له ـ الهجرة إلى بلاد الإيمان، لحفظ إيمانه وإيمان أهل بيته وإلاّ فإنّه يكون ظالماً ومقصراً في حق نفسه وحق عائلته.

واجبنا العمل بالتكليف وترك التدبير لمالك التدبير

لماذا لا ننتهي عن ظلم أنفسنا وإلحاق الأذى بها؟! فلعلّنا لا نملك الأهلية لنيل ما نطلبه من الله عزّ وجلّ، ولعله لو أعطانا ما نطلبه فسندوس عندئذ على كل شيء، أو تكسر رجلنا ونعجز عن مواصلة الطريق! نحن لسنا أرباباً ولا مدبّرين، تدبير الأمر بيد الغير، فالواجب علينا هو العمل بتكليفنا وترك التدبير.

حيرة الإنسان المنحرف عن الصراط

حقاً إنّ الإنسان إذا ضلّ أو انحرف عن صراط المعرفة المستقيم، فسيكون حاله كالنحلة التي انفصلت عن ملكتها، فلا يبقى لها هدوء ولا استقرار، بل تكون في حيرة مستمرة، وتضطر للدخول في ثقوب الحشرات الأخرى لتكون طعمة لهذه الحشرة أو

تلك.

كيف حوّلنا نعمة الله نقمة على أنفسنا

وهل نسمح نحن البشر بأن ننتفع من هذا النعم التي وهبها لنا الله سبحانه، أو التي صنعها البشر، ونعيش براحة في ظلها؟! أم نحوّل نعم الله لأنفسنا نقمة؟!

والمسلمون لا يفعلون كذلك باعتبارهم مسلمين، بل يفعلون ذلك من جهة حيوانيتهم أو بشريتهم، لا انطلاقاً من إنسانيتهم أو كونهم مسلمين، وكل واحد منهم يرمي ذنبه في رقبة غيره. أليسوا من البشر أولئك الذين يعيشون في القرى المحرومة ويتقوّتون بالخبز اليابس؟! و الإنسان الذي يشبعه قرص الخبز اليابس أو يستطيع الحياة مقتصراً على الخضار واللبن والجبن، فعلام كل هذا الحرص والطمع على الدنيا ومال الدنيا؟! ومن هو الذي استمر ملكاً على عرش مملكته إلى الأبد؟ والله تعالى هو الذي يفعل هذه الأشياء ليعلم البشر أنّ هذه الأشياء ليست من عند أنفسهم، بل إن الأمور بيد غيرهم.

على خدّام إمام الزمان (عج) أن يعملوا بتكاليفهم

يجب علينا نحن أهل العلم أن نعمل بتكاليفنا على كلّ حال. ويجب على خدّام إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف عامّة أن يعملوا بتكاليفهم، فمن يشعر [مثلاً] بالإقبال على المطالعة فليطالع [وإن كان إقباله على تكليف آخر فكذلك، وهكذا....] لكن يجب العمل بالتكليف على أية حال بالإضافة إلى التوسل، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1].

(١) الأنعام: ٤٣.

الله تعالى يرسل ابتلاءاته: ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ لكي يتضرّعوا، أي أنّه يريد التضرّع والابتهال من العبد، وهذا هو مطلوبة، ﴿تَضَرَّعُوا﴾،ونقيض ذلك ومقابله هو الذين: ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

إننا لا نعتبر أنفسنا مرضى وإلاّ فالعلاج سهل

إننا لا نعتبر أنفسنا مرضى وإلاّ فالعلاج سهل. جاء في الرواية: إنّ الإمام الحسين عليه السلام همس في أذن رجل شيئاً، وما إن افترق عنه حتى ابيضّ شعر رأس ذلك الرجل.

ومع أنّنا نعدّ أنفسنا في عداد عبّاد الرحمن، ولكنّنا غافلون عن أنّ جميع أعضاء الإنسان وجوارحه، ستشهد عليه يوم القيامة، في جميع ما أتى من أعمال: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

واليوم البشر يحاول استرجاع صوت داود عليه السلام، ولكنّه غافل عن أنّ الملائكة تلتقط صوراً عما يقوم به من أعمال، بل إنّهم يسجّلون صوته وأقواله أيضاً.

طلب الجاه أم العمل بالتكليف؟

لا ينبغي أن نتأذّى من الكلام البذيء والإهانات التي تصدر ضدّنا من بعض الفاقدين للأهلية، أو أن تتراخى هممنا ونضعف عن مواصلة السير نحو هدفنا. والجلوس في الدار مع العمل بالتكليف لا ضير فيه، بينما الشهرة الباطلة، والسرور في حالة العمل بخلاف التكليف والوظيفة الشرعية هو الخطر، وهو الموجب للأسى والقلق.

---

(١) يس: ٦٥.

فلو دخل العالم المعروف والوجيه مجلساً ما فلم يُؤبه به ولم يُراع حقه «فمع أنّه لا ينبغي أن يكون الأمر كذلك»، لكن لو شعر بالأسى لذلك، فعليه أن يخاطب نفسه بأنّك لست سوى ذلك الطالب البسيط في السابق، وهذه حالات وعوارض ظاهرية قابلة للتغيير.

التقوى معيار قبول الأعمال

إنّ العُجب والكبر والحسد من موانع قبول الأعمال؛ لأنّ الله سبحانه يقول: ﴿**إنّما يتقبّل الله من المتقين**﴾[1].

وقبول عمل كل فرد من الإنسان متناسبٌ مع درجته من التقوى.

العمل بالواضحات والاحتياط في المشتبهات

يا ليتنا أدركنا أنّ الحل بالنسبة لنا ينحصر في شيء واحد، وهو أن نشخّص التكليف الإلهي، ونعلم ما الذي يجب علينا فعله، وما الذي يجب تركه. فإذا علمنا فالحمد لله، وإذا لم نعلم فيجب علينا أن نعلم أنّ الإنسان الجاهل بما عليه أن يعمل أو يترك يجب عليه الاحتياط. وفي هذه الصورة، أي صورة عدم العلم بالتكليف الواقعي فعدم علمنا لا يكفي كحجة لنا وعذر عند الله تعالى. فلو احتجنا للنظارات [لتقوية البصر] ولم تتيسر لنا أفلا يجب علينا أن نحتاط باستعمال العصا أثناء المشي؟! وهل عدم العلم بالتكليف يكون عذراً لتركنا الأخذ بعصا الاحتياط، وإلقائنا أنفسنا في حفر الطريق. وبناء عليه فمع التمكّن من الاحتياط لا مشكلة لدينا من ناحية العمل، ولو تركنا الاحتياط في هذه الصورة فلن نكون معذورين.

---

(١) المائدة: ٢٧.

أن يكون الإنسان مظلوماً أفضل من أن يكون ظالماً

سؤال: إذا تعرض الإنسان لهجوم من شخص ما واحتمل أو قطع بأن يؤدي هذا الهجوم إلى قتله إن لم يدافع عن نفسه، فهل يجوز في هذه الصورة دفع المهاجم أو قتله؟

الجواب: إذا كان متمكّناً من الهروب فيجب عليه الإفلات. في البداية قُتل العم الأكبر للبشر «هابيل» بيد أخيه «قابيل»، وقتل ابن ملجم اللعين أفضل الأوصياء، بل أفضل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

نسأل الله أن لا يبتلينا بالضلالة، وإذا ـ لا سمح الله ـ اُبتلينا بذلك فنسأله أن لا يجعلنا مضلّين للآخرين، وإذا صرنا مضلّين فنسأله ألا يستمر إضلالنا البشر إلى يوم القيامة. مَن الذي يقدر أن يجيب عن كل هؤلاء الناس الذين أضلّهم هذان الرجلان [وأبعداهم] عن طريق القرآن والعترة؟!

إذا دار الأمر بين أن يكون الإنسان ظالماً أو يكون مظلوماً فـ«**أقدموا على الله مظلومين ولا تقدّموا عليه ظالمين**».

عاقبة الظلم والمعصية

أيها السيّد العزيز لا تظلم؛ لأنّ «**الملك يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم**».

إنّك لن تستطيع الاستمرار في ظلمك، واليهود عندما ينفردون بالمسلمين في زاوية ما فإنّهم ينهالون عليهم بالضرب والشتم والأذى، ولكنّنا يجب أن نعلم أنّنا لا نستطيع أن نظلم دائماً. والمعصية أيضاً هي ظلم للنفس، والمعصية تشبه أن يشرف المرء على شفا بئر عمقه ألف متر قائلاً بمقدوري إلقاء نفسي بالبئر، ويتصوّر أنّ المعصية أمر بسيط ولكن ما هي عاقبة ذلك ونتيجته؟ فلطالما أوصلت المعاصي أُناساً إلى دركات جهنم

وأسفل سافلين.

اجتناب جميع الذنوب مقدّمة لنيل درجات الكمال واليقين

لا يكفي الورع عن المحرّمات وحده للوصول إلى درجات الكمال واليقين قطعاً وليس الورع عن الموبقات السبع من الكبائر فقط كالشرك وقتل النفس.... الخ، بل ولا حتى مجرد الورع عن المحرمات الأربعين المذكورة في كتاب عيون أخبار الرضاعليه السلام[1]، بل [حتى] النظرة الشزرة التي تؤدي إلى إيذاء المؤمن أو إهانته حرام كما تحرم البسمة في وجوه أهل المعاصي التي تؤدي إلى تشجيعهم على الذنوب وعلى هذا فيجب على من يريد نيل درجات الكمال واليقين اجتناب هذا النوع من الذنوب أيضاً.

إنّ الله لا يسمح بأن يصل اضطرارنا إلى درجة بيع الدين

يستفاد من آية ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾[2] بضميمة الآيات التي نهت آدمعليه السلام عن الأكل من الشجرة[3]، أنّ الشيء الذي نهانا الله تعالى عنه أو أمرنا بالانتهاء عنه لا نحتاج إليه، وأنّا لا نجوع ولا نعطش ولا نهلك بتركه، بل على العكس من ذلك فإنّ مصلحتنا في تركه.

وعليه فيجب أن نعلم أنّ الله تعالى لم يضطرّنا إلى أن نكون ممن يبيع دينه، ولا يضطرّنا إلى ذلك.

(١) عيون أخبار الرضا ١٢٦/٢، بحار الأنوار ٣٥٨/١٠.

(٢) طه: ١١٨.

(٣) انظر: البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩ و ٢٠ و٢٢.

والصبر الأعلى من الصبر اللازم والممدوح للفقراء هو صبر الأغنياء. وهو صبر على الطاعة، وصبر عن المعصيّة، وصبر عن توجيه الإهانة والسباب، وصبر على تحمّلها من الآخرين وفي المخاصمات... الخ، وهو صبر لازم لهم.

جميع الابتلاءات هي باختيارنا وإرادتنا

الهداية العامة مقدّرة للبشر، وكل إنسان له قابلية للصلاح. ومع وجود الأدلة التي بأيدينا فالحجّة قد تمّت علينا، وقد حلّ بنا البلاء، ومن المتيقّن أيضاً أنّ هذا البلاء هو نتيجة أعمالنا، كما صرّح الله تبارك وتعالى بذلك في القرآن الشريف بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[١].

وعلى هذا فإنّنا نستطيع استكشاف عظمة ذنوبنا بقدر عظمة البلاء، وعلاوة على هذا البلاء والابتلاء فإنّنا سنقدّم إلى المحكمة للاستجواب في يوم القيامة أيضاً، فهل الشخص الذي قتل ألف نفس ستمحى ذنوبه بمجرّد قتله؟! وهل ستتبدّل جميع سيئاته إلى حسنات بعد قتله؟! ولن يُقبل هناك العذر الذي تلوكه الألسن «إنّنا نفعل ما فعله الآخرون»؛ لأنّ أهل الدنيا والكفّار هم الأكثرية باستمرار [ولا يصح لنا التعلل والاعتذار بما يفعله الكفار وأهل الدنيا]. وعلى هذا فجميع الابتلاءات إنما تأتي بإرادتنا واختيارنا أي بما أنّنا قد تركنا طاعة الله سبحانه بإرادتنا واخترنا معصيته فلابدّ أن ننال هذه المصائب والابتلاءات جزاءً لأعمالنا.

الحرب ضد الله وأوليائه

إنّ الحرب ضدّ الله وأهل البيت عليهم السلام وأولياء الله تشبه أن يقف الإنسان على فوهة

---

(١) الرعد:١١.

بئر عمقه ألف متر ويرمي نفسه فيه، إنّ الحرب ضد الله وأوليائه له عواقب سيئة جداً بخلاف الذنوب الشخصية حيث يمكن أن يندم الإنسان ويرجع.

ليس لنا وجوه بيضاء عند أولياء الدين

يبدو كأنّ الكفّار قد زرعوا في قلوبنا الخوف من الأنبياء والأئمةعليهم السلام والعلماء على دنيانا، ونحن غافلون أنّ هؤلاء هم أساتذتنا وخبراؤنا وعلماؤنا، وأنّ الكفّار هم السبب في منعنا من دينانا وآخرتنا.

لقد فصّلنا من عند أنفسنا: هذا ليس واجباً، وهذا ليس حراماً، وتركنا الواجب وفعلنا الحرام، وها قد تورطنا في مخالب الذئاب، بل لم نكتفِ بترك الواجب وفعل الحرام، ولذا ليس لنا وجوه بيضاء في صفحات أعمالنا عند أولياء الدين.

أليس إيذاء المسلمين وهتك حرمتهم من الذنوب الكبيرة؟! إن إذلال المؤمنين من المحرّمات التي ربما لم يذكر اسمها بين الكبائر، ولكن الله يعلم كم لها من عقوبة. لقد شُبِّه في الرواية قلب المؤمن بالكعبة[1]،فهل يجوز كسر قلب المؤمن وإدماؤه، أو إهانة المؤمن البريء في مجلس من غير ذنب وبلا سبب، وإراقة ماء وجهه، والقضاء على جاهه وماله... الخ، ثم لا تكون هذه الأعمال من الكبائر؟!

وطبعاً قد يكون الإتيان بمثل هذه الأعمال أحياناً في محلِّه، ولا إشكال في ذلك ولكن كيف بالإتيان بمثل هذا العمل من غير سبب؟!

---

(١) انظر حول هذا الحق وحرمة المؤمن: مستدرك الوسائل ٩/٠ ٤و٤٥و٤٦و٣٤٣، بحار الأنوار ٧/٣٢٣، ٧١/٦٤ ١٦/٦٥، ٧١/٢٢٧، الخصال ١/٢٧١، روضة الواعظين ٢/٢٩٣و٣٨٦، شرح نهج البلاغة ١٨/٢٧٨، فقه الرضا: ٣٣٥، المؤمن:٤٢، مجموعة ورّام ١/٥٢، مشكاة الأنوار: ٧٨و٨٣و١٩٣.

الفرار إلى الله من المعاصي

ألا يجب علينا الآن، بعد أن أدركنا أنّا وقعنا في مخالب الذئاب، بسبب ترك الواجبات وفعل المحرّمات، وعدم مراعاة الحلال والحرام والأوامر الإلهية، ألا يجب علينا أن نعلم ما الذي يجب علينا فعله؟

إنّ طريق النجاة هو بالفرار إلى الله سبحانه والرجوع إليه: ﴿فَفِرّوا إِلى الله﴾[١] واللجوء إلى أولياء الله؛ لأنّه ما لم يشأ قلم التكوين والإرادة التكوينية لله عزّ وجلّ فليس ثمة من قدرة مهما عظمت تتمكن من إلحاق الضرر بنا، بل حتى إنّ الإنسان عاجز عن إتيان المحرّمات أو نيل المقامات والمناصب المحرّمة من دون إذن تكويني من الله عزّ وجلّ. فجميع هؤلاء الظالمين يريدون ممارسة الظلم، وهم إنّما يقدرون عليه لأنّ الله لم يقدّر ويقضي بمنعهم منه. أفلا يجب علينا مع كل هذه المصائب التي طالتنا جميعاً أن يفكر أحدنا في الآخر؟! وكم هي أعمالنا بعيدة عن الخير والسعادة؟ وكم من المناسب أن تُعقد مجالس ختم ﴿أَمَّنْ يُجيبَ﴾[٢] من أجل قضاء حوائجنا أيضاً، وهل يكون ختم من غير توبة؟! وهل يكون فيه فائدة لمثل حالنا؟!

تشخيص التكليف نور في قلب المؤمن

هل وجدنا طريق الله وعبوديته له حتى نسير فيه؟! إنّ تشخيص التكليف نور في قلب المؤمن. وعندما يعمل الإنسان بتكليفه يكون السجن والتعذيب بالنسبة إليه أمراً سهلاً ويسيراً، بينما جلوس الإنسان في داره مرتاحاً في حالة عدم عمله بالتكليف يكون

---

(١) الذاريات: ٥٠.

(٢) النمل: ٦٢.

أمراً صعباً وعسيراً!

ثمرة العمل بقطعيات المذهب

إذا عملنا بما هو قطعي ويقيني في الدين فإنّنا ندرك ـ عند النوم وعند محاسبة النفس ـ الأعمال التي أتينا بها وكان إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف راضياً عنّا قطعاً بسببها، والأعمال التي ارتكبناها ولم يكن عنّا راضياً قطعاً بسببها، وإذا ما عمل الإنسان بقطعيات المذهب ـ لا بظنّيّات التقليد إلاّ في موارد الضرورة ـ وعمل بالاحتياط مع تيسّره، فإنّه لا يندم وإن فرض بعد ذلك علمه بعدم أهلية المرجع الذي كان يقلّده وبطلان تقليده؛ لأنّه في هذه الحالة كأنّه عمل بفتوى جميع المراجع.

كلّ ما نصاب به من البلاء فهو بسبب اعوجاجنا

قال أحد الأصدقاء في أحد المجالس: إنّه قد هطل المطر غزيراً في أحد الأماكن ممّا أدّى إلى جريان السيول، فكان سبباً في إتلاف البذر والمزارع.

فقال الأستاذ [الشيخ بهجت] مدّ ظلّه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[١].

«**إن كل ما يحدث هو بسبب قامتنا المعوجّة**»[٢] ما لم نكن سيئين وخارجين عن الاستقامة، فلن ينزل بنا السوء، لكننا نتصرف بنحو يتحول فيه مطر الرحمة إلى نقمة وعذاب لنا.

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) مضمون شطر بيت شعر فارسي.

لا تخوِّفنا أيها الزاهد

هنالك شعر تركي يقول ما مضمونه: أيّها الزاهد لا تخوِّفْنا بوجود جهنم والنيران، وأنّهم سيأخذوننا إلى ذلك المكان، بل إنّ الذين يحترقون هناك يحملون حطبهم معهم من هنا ليحترقوا، وإلا [فلو لم يحتطبوا ما احتطبوه هنا فهم في راحة [وأمان]، فنحن مرتاحون.

وقد جاء في الرواية: إن المؤمن والكافر يقولان بعد الرحيل من هذا العالم: يا ليتنا متنا قبل هذا ! يقول المؤمن ذلك [تشوقاً] للوصول إلى مقامات الجنة ودرجاتها، ويقول الكافر ذلك [تحسّراً] فلعله كان قد تحمل ذنوباً أقلّ، فتقِلُّ عقوبته بذلك.

مطاردة العقاب الإلهي للظالم

في تاريخ ١٣٦٤/٧/١٦ هجري شمسي كان بدء الدراسة في الحوزة بعد التعطيل الصيفي، وتشرّفت بزيارة سماحة الأستاذ [الشيخ بهجت] مدّ ظلّه، وأردت الحديث معه حول بعض الجيران الذين كانوا يؤذوننا منذ أشهر، وأشكو إليه حالهم، وأطلب منه الدعاء ليخلّصنا الله تعالى من شرّهم.

وقبل أن أبدأ بالحديث حول هذا الموضوع، قال الأستاذ مدّ ظلّه ابتداءً: من المعلوم أنّ أحداً لا يستطيع ظلم الآخرين؛ لأنّ المظلوم له ملجأ ووليّ، كما يمدّ الظالم فهو أيضاً يمدّ المظلوم ليواجه ظلم الظالم، وبناءً على هذا فلا يوجد في العالم ظلم لا يُتلافى ويُنتقم فيه من الظالم.

وبناءً على هذا فالظلم بدون التلافي والانتقام من الظالم غير مقدور، ولا يتعلّق التكليف أيضاً بأمر غير مقدور. وعليه فلا يكون محرّماً، والذي يحصل [في الواقع] إنّما هو صورة الظلم فحسب لا واقع الظلم، والظلم الواقعي غير مقدور، إذن لن يكون

حراماً، فهل سمعتم من أحد مثل هذه الفتوى أنّ الظلم غير حرام؟![١].

التحذير من حبائل الشيطان

علينا ألا نغتر، فالإنسان في خطر إلى حين اقتراب لحظات الموت ومادام الشيطان حيّاً، وإلى الله الملجأ.

«إلهي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً»[٢].

لو أُوكل الإنسان إلى نفسه طرفة عين لانفصل عن الله ولقام الشيطان بعمله وغرّر به [ويكون حال الإنسان عندئذ] كحال الطفل الذي يُفصل عن أُمّه وأبيه.... وإذا ما انقطع الإنسان عن المبدأ طرفة عين جذبه الشيطان إلى نفسه [وقام باقتناصه]، ونعوذ بالله أن نُخْدَع فلا ندري هل شربنا ماءً أم سمّاً، لأنّ من يريد أن يخدع الإنسان يقدّم له الماء أولاً، ثم يعطيه الحلوى ثانياً، ثم يعطيه شيئاً آخر، ويأكل هو منه مقداراً ما أيضاً بحيث يصوّر له أنّ بقيّة الطعام خال من السم، وبهذا فسوف لن يبقى لديه أي منشأ للشك.

---

(١) مراد الشيخ دام ظله أن هذه الفتوى بأنّ الظلم حرام لا موضوع لها؛ لأنّ الظلم هو سلب حق الآخرين، وهذا لا يتحقق واقعاً في الدنيا؛ لأنّ كل سلب حق للآخرين الله تعالى يتلافاه وينتقم من الظالم، وبالتالي يصل للمظلوم حقه. إذن الظالم وإن أقدم على الظلم وقصده لكنّه عاجز عن تحقيقه؛ لأن ما سيناله من حق المظلوم سيؤدي مقابله فالذي يتحقق منه إذن هو الصورة الظاهرية للظلم لا واقعه. وقد يتوهم الظالم والمظلوم كلاهما أن الظلم قد حصل، لكنّ الواقع خلاف ذلك؛ لأنّ السنّة الإلهية التكوينية لا تسمح بظلم لا يُنتقم منه ولو بشكل من الأشكال، فإذا كان الظالم عاجزاً عن إيصال ظلم بلا مقابل أو انتقام فهو عاجز عن الظلم الواقعي. إذن لا يكون مكلفاً بترك الظلم ولا يكون حراماً عليه؛ لأنّ التكليف مشروط بالقدرة وهو عاجز عنه. وبالطبع فليس مراد الشيخ واقعاً أن ما قام به الظالم ليس محرماً وأنّه ليس ظلماً بحسب حكم الشرع وإنّما مراده الإلفات إلى عجز الظالم وإلى عدم إفلاته من القصاص الإلهي وإنّ حق المظلوم لن يفوت عند الله تعالى. «المترجم».

(٢) إقبال الأعمال ٧٥/١ و ٣٠٦ و ٣٣٩.

يا ليتنا نلتفت إلى خراب أوضاعنا

كيف نتصرف وسط هذه الأحزاب المختلفة لكي نبقى محافظين على ديننا، ولا نميل إلى هذه الجماعة أو تلك من أجل الأمور الدنيوية؟

والويل لنا إذا اتضح أنّنا لسنا من أهل الدين؛ لأنّ كل ظلم ومعصية موجودة بالفعل عند الآخرين هي موجودة عندنا بالقوّة.

ونسأل الله أن لا تتهيأ لنا الظروف التي تهيأت لهم، وأن لا نُبتلى بامتحاناتهم.

ونسأل الله أن يوفقنا وينبِّهنا حين يضعنا في الابتلاء والاختبار، لكيلا نرى الحسن قبيحاً والقبيح حسناً. فقد كان عيسى عليه السلام يهرب من الأحمق، وهو الشخص الذي لا يفهم، ولا يفهم أنّه لا يفهم. نحن في حالة خراب ونسأل الله أن ندرك أنّنا كذلك، لنفكر في الإصلاح والعلاج.

الدين هو الذي يضمن دنيا الإنسان

حتى لو أردنا الوضع الدنيوي الأفضل، فهو إنّما يتحقّق بالكون مع الإمام الحسين عليه السلام أيضاً لا مع يزيد. ولكن الإنسان يطلب السعادة والراحة، وكلّما نال درجة منها طلب الدرجات الأعلى، فلا استقرار له حتى يصل إلى النفس المطمئنة. لكنّه جاهل أو غافل بأنّ امتلاك وسائل الراحة والرفاه أمر آخر غير تحقق الراحة والرفاه واطمئنان القلب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

أي أنّ الوسيلة الوحيدة لاطمئنان القلب هي ذكر الله. ولكنّنا نركن ونعتمد على الأسباب، ونغفل عن مسبب الأسباب. في حين أنّ الله تعالى يقول: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

(١) الرعد: ٢٨.

جَميعاً﴾[1].

اللهم إلاّ إذا زال الإنسان نفسه «**أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك**»[2].

ولم نتعرّض للامتحان لكي يتبين هل نحن مع الحسين عليه السلام أو مع يزيد.

(١) البقرة: ١٦٥.

(٢) بحار الأنوار ٣٦/٦٧ و ٦٤، ٢٧١/٧١، عدّة الداعي: ٣١٤، عوالي اللآلي ١١٨/٤، مجموعة ورّام ٥٩/١، كنز العمال ٤٣١/٤.



الفصل الرابع:

في ذكر الله





الغنى والاطمئنان في ذكر الله

أهل ذكر الله يعلمون ماذا يحدث عند ذكره سبحانه، إلى درجة يصبح معها الذاكر هو نفسه [وفانياً في المذكور] «ومن ذكره صرت [كأني] هو» كما يقول الله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ﴾[1]. ويقول أيضاً: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[2].

وتفيد الآية الشريفة: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3] بحسب الحصر المستفاد من تقديم ما حقّه التأخير، أن سبب اطمئنان القلوب ينحصر بذكر الله. وقد ذُكر من بين الأسماء اسم «الله» على الخصوص. ويا لها من آية عجيبة تتصف بالجامعية والمانعية!

وبناءً على هذا هل نستطيع أن ـ ندّعي نحن الفاقدين للطمأنينة ـ أنّنا ذاكرون لله؟! وهل من الممكن أن يكون جميع العلماء والفضلاء قد أخطأوا في ادّعاء مثل هذه المطالب؟! وهل من الممكن أن يقع كل هذا الخطأ من العقلاء في الأمور التكوينيّة؟! وهل يمكن لعاقل أن يخلع ملابسه في المسجد بدل الحمّام؟! أو أن يصلّي في الحمّام بدل المسجد؟! وأن يقول في اللبن: ما أطيب هذا المرق؟! أو يقول في المرق: ما أطيب هذا اللبن؟! هل من الممكن أن تصدر من العقلاء مثل هذه الأخطاء في الأمور التكوينيّة؟! فإذا لم يكن ذلك ممكناً، فالمشاهدات والحالات التي يدّعيها هؤلاء في

---

(١) القصص:٨٨.

(٢) السجدة:١٧.

(٣) الرعد:٢٨.

مراتب الشهود والمعرفة إذن ليست خطأ، بل هي واقعية. ونحن المحرومون من مثل حالاتهم ومشاهداتهم لا ينبغي لنا أن ننكرها.

ذكر الله سبحانه على كلّ حال

جاء في كتاب «الكافي» نقلاً عن الإمام الصادقعليه السلام قوله: «**ثلاث لا تطيقها هذه الأمّة... وذكر الله على كل حال**»[١].

ويقول في رواية أُخرى: «**لا أقول سبحان الله والحمد لله، وإن كان ذكراً، ولكن ذكره عند حلاله وحرامه**»[٢].

معاني ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

تشير جملة ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ في قوله تعالى:﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣] إلى التخلية، وجملة ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي ذكر العبد الله تشير إلى التحلية، وقد جاء في الرواية: «**لذكر الله العبد أكبر من غير ذكره [أو] من ذكر غيره**»[٤] بإضافة المصدر إلى الفاعل، أي: ذكر العبد لله من غير ذكره أو من غير ذكر غيره له أكبر.

---

(١) من لا يحضره الفقية ٣٥٨/٤، وسائل الشيعة ٢٧/١٢، ٢٥٤/١٥، بحار الأنوار ٣٩٥/٧١.

(٢) راجع: أصول الكافي ١٤٥/٢، وسائل الشيعة ٢٥٥/١٥، بحار الأنوار ٣٤/٧٢و٣٥.

(٣) العنكبوت:٤٥.

(٤) في تفسير القمي ١٥٠/٢، وسائل الشيعة٣٧٤/٢٧، مستدرك الوسائل ٨٠/٣، بحار الأنوار ٢٠٦/٧٩ نقلاً عن الإمام الباقرعليه السلام في تفسير آية: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أنّه قال:«**ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم إيّاه، ألا ترى أنّه يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾**».

وقد جاء في بعض الروايات عبارة «ذكر الله»[١]، مقابل «ذكر الناس» أي أنّ «ذكر الله أكبر من ذكر الناس».

وبناءً على هذا، فإنّ كلّ من يذكر الناس ويخاف منهم، أو يحبّهم، أو يلجأ إليهم أو يفرّ منهم، فهو ليس في حالة ذكرٍ لله.

لم يتم التركيز في الصلاة والعبادات على ذكر الله والتوجّه إليه بل الحرص على عدم «التوجّه إلى غيره تعالى»، فهو [الذي يحقق] التوجّه إليه؛ لأن العبد إذا قطع توجهه إلى غير الله وارتباطه به، فسيتحقق ارتباطه بالله تعالى عندئذ بشكل تلقائي.

ويمكن أن يكون في ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ إشارة إلى التعرّض[٢] لآيات الأنفس في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾[٣]، في مقابل آيات الآفاق ﴿فِي الآفَاقِ﴾[٤]، من أجل الاستدلال على الوجود الغيبي للواجب، وإن كان وجود النفس من آيات الآفاق، ومن الموجودات الخارجية أيضاً، نظير الشمس والقمر والسحاب والمطر والكواكب والأرض والسماء.

وإذا كان ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ بمعنى ذكر العبد لله[٥]، فالمقصود الذكر القلبي.

وأفضل الألفاظ في مقام لفظ الحكاية عن ذلك الذكر القلبي من بين جميع الأسماء الحسنى هو لفظ الجلالة (الله)، بل يمكن أن يقال بحسب اللغة: إنّ ذكر الله في

---

(١) في هذه الصورة يكون المصدر مضافاً إلى المفعول، أي ذكر العبد لله أكبر من ذكر الناس.

(٢) إشارة لحديث: «**إنّ لربّكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها**» انظر: بحار الأنوار ٢٣١/٦٨، ٣٥٢/٨١، ٩٥/٨٧.

(٣) فصّلت: ٥٣.

(٤) فصّلت: ٥٣.

(٥) بناءً على إضافة المصدر إلى المفعول.

الآية الشريفة هو من قبيل إضافة المصدر إلى المفعول، والمذكور إلى الذكر حيث أن لفظ الجلالة (الله) يحكي عنه.

إذا قلّت النعمة فاعلموا أنّنا لم نشكر

إنّ سبب جميع هذه الابتلاءات والمصائب النازلة علينا هو عدم شكرنا النعم وكفراننا إياها؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1]. فالشكر يوجب ازدياد النعم، فإن لم تشكروا فلا تتوقعّوا ذلك.

وعليه فإن افتقدنا زيادة النعم، فعلينا أن نعلم من غير شك أنّنا لم نكن شاكرين؛ لأن زيادة النعم معلول لعلةٍ وهي الشكر. فإذا انتفى ذلك المعلول، أي زيادة النعم، فسببه انتفاء العلة، وهي الشكر.

والشكر له معنى واسع، والمقصود منه طاعة الله، وليس مجرد قول (الحمد لله) باللسان، وإن كان هذا القول من مراتب الشكر، فطاعة الله شكر له تعالى. وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ يعني لئن أطعتم لأزيدنّكم، ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ أي لئن عصيتم وخالفتم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

فشكر النعمة بمعنى طاعة الله هو الذي يوجب زيادة النعم، وكفران النعمة هو بمعنى عصيان الله أيضاً، ويوجب حلول العذاب من قبله سبحانه. إذن كلّما نزل على رؤوسنا البلاء والمصائب والعذاب فلنعلم أننا نحن الذين مهّدنا أسبابه، إمّا بترك الواجبات، أو بارتكاب المحرمات، أو بترك المستحب الشديد والمؤكّد جداً، أو بإتيان الشبهات.

---

(١) إبراهيم: ٧.

وإذا علمنا الآن أننا بحسب الظاهر لسنا من تاركي الواجبات، ولا من فاعلي الحرام فلنا أن نطير فرحاً لذلك.

عندما تطمئن القلوب بذكر الله

إذا اطمئن قلب الإنسان بذكر الله فحينئذٍ يتوجّه إليه خطاب: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[١]، وقد جاء في الرواية الشريفة أنّ المخاطب بها هو سيّد الشهداء عليه السلام[٢].

ذكر الله لا حدّ له

لكلّ عمل خير حدّ مطلوب إذا تجاوزه انقلب إلى ضدّه: يعني إذا أتى به المرء دون الحدّ المطلوب عُدّ مقصّراً أو قاصراً، وإذا أتى بأكثر منه ابتُلي بالمشقّة، إلى أن يصل إلى الحد الذي يكون معه غير ممكن ولا مقدور للبشر كالصلاة، فإنّ بدن الإنسان لا طاقة له على كثرة أداء الصلاة، أو أنّها تزاحم خيرات أُخرى فتتسبب في فواتها، بنحو لا يستطيع الإنسان أن يأتي بمثلها لو مضى وقتها. وعلى هذا النحو جميع الخيرات والطاعات إلاّ «ذكر الله» حيث لا حدّ له كما ورد ذلك في الرواية[٣].

وطبعاً ليس المقصود بذكر الله هو الذكر اللساني؛ لأنّ أعضاء الإنسان تصاب بسببه أيضاً بالملل والضعف والعجز، بل ذكر الله الذي لا حدّ له هو الأعم من الذكر القلبي واللساني بل والبدني أيضاً؛ لأنّ جميع الطاعات وما يرُضي الله تعالى هي ذكر له

---

(١) الفجر:٢٧.

(٢) راجع: بحار الأنوار ٩٣/٢، ٢١٨/٤٤و٣١٩، تأويل الآيات: ٧٦٩، تفسير القمي ٤٢٢/٢.

(٣) جاء في الرواية المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام: **«ما من شيء إلاّ وله حدّ ينتهي إليه إلاّ الذكر فليس له حدّ ينتهي إليه»**.

أصول الكافي ٤٩٨/٢، وسائل الشيعة ١٥٤/٧، عدّة الداعي: ٢٤٨.

سبحانه، وهذا النحو من الذكر يجتمع مع جميع الطاعات ويتحقق معها، كقضاء الحوائج وأداء الواجبات، بل وإتيان المستحبات التي هي عند أهلها ذكر لله، بل ترك المكروهات والمحرّمات ذكر لله أيضاً، وقد جاء في ذلك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من أشدّ ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً**». ثم قال: «**لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر وإن كان منه، ولكن ذكر الله عند ما أحلّ وحرّم**»[1]. أي الذكر القلبي المحض.

فهل سبحان الله [ونحوها] أشدّ تذكيراً بالله واقعاً؟ أم كلمة يوسف عليه السلام حيث يقول: ﴿**مَعَاذَ اللَّه إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[2]. فالأمر كان منتهياً [لولا ذلك] حيث يقول القرآن: ﴿**وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّه**﴾[3]، فهل كان جميع هذا باختياره أم الله تعالى هو الذي حفظه؟ ماذا الذي قام به؟ فهل قام بشيء أكثر من أنّه رأى برهان ربّه؟ وطبعاً فإنّه قد أتى بآلاف الأعمال قطعاً قبل هذا حتى استطاع أن يحصل على أسباب برهان ربّه في أوقات الخلوة، وليتمكن من رؤية برهان الرب في ذلك الظرف الحسّاس.

الذِكر أعلى كمال للبشر

الذِكر أعلى كمال للبشر، ولابدّ أنّكم تتساءلون: كيف يكون الذِكر أعلى كمال للبشر؟! وما هو الفرق بين كمال الذين يقولون يا الله وبين أولئك الذين لا ينطقون بها؟!

---

(١) أصول الكافي ٨٠/٢، وسائل الشيعة ٢٥٢/١٥، بحار الأنوار ٢٠٤/٦٨، ١٦٣/٩٠.

(٢) يوسف:٢٣.

(٣) يوسف:٢٤.

اذكروني أذكركم

سؤال: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[(١)]؟

الجواب: ذُكر في بعض التفاسير أنّ معناها: اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة[(٢)].

وجاء في الروايات الشارحة: أنا مع عبدي إذا ذكرني، فمن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، ومَن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأٍ خير منه[(٣)].

ومعنى «ذكرني في ملأ» أي جعلَ ملأً من الناس ينتفعون بذكر الله تعالى، كما انتفع هو أيضاً بهذا الذكر.

ومعنى «ذكرتُه في ملأٍ» [أي ملأ] نافعين بذكري له (أي أذكره في ملأ أفضل من البشر الذين ذكرني فيهم) بنحو ينتفع من ذكري إياه فيهم.

رؤية الأغيار مانعة عن ذكر الله

هناك رواية عجيبة رأيتها في كتاب «غرر الحكم» على ما أظن، يمكن الاستفادة منها أنّ الإنسان الغافل عن ذكر الله مشغول بذكر عمرو وبكر[(٤)].

فإذن المقصود من الأغيار المانعين عن ذكر الله هم هؤلاء الناس حتى الصالحون

---

(١) البقرة: ١٥٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٣٤١/١، مجمع الزوائد: ١٤٩/١٠، المعجم الصغير للطبراني: ٩٢/٢، كنز العمال: ٨٧٤/١٥، الدر المنثور: ١٤٩/١.

(٣) مستدرك الوسائل: ٢٩٧/٥ و٢٩٨، أصول الكافي: ٤٩٨/٢، وسائل الشيعة: ١٥٩/٧، شرح نهج البلاغة: ١٥٤/١٠، عدّة الداعي: ٢٤٨.

(٤) لم أجد هذه الرواية بهذا النص في كتاب غرر الحكم، ولكن مضمونها مطابق لمضمون الآية ٣٦من سورة الزخرف، وما في غرر الحكم في ص١٩٠ هو: «**من اشتغل بذكر الناس قطعه الله سبحانه عن ذكره**».

منهم، وطبعاً يوجد بعض منهم من يُعدّ ذكره ذكراً لله، بل من أسبابه وشروطه و«يزيُد الذاكر تنويراً»[1]. فهل من الممكن أن يكون المقصود ممن «يذكركم الله رؤيتُه» هو رؤية الناسي لله الذي هو في تضادّ مع ذكر الله؟ كلا، [بل من كان] رؤيته وذكره لله يزيد في ذكر الإنسان الله قهراً، فالذاكر لله هو الذي تذكر رؤيته بالله لا الناسي له تعالى.

(١) الكافي ٣٩/١، بحار الأنوار ٢٠٣/١، ٣٣١/١٤، ٣٢٢/٦٧، ١٨٩/٧١، ١٤٩/٧٤.



الفصل الخامس:

حول الصلاة والصوم





حول الاهتمام بالصلاة

اعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك، عليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها، وبالإقبال بالكل إليه تعالى فيها وعندئذ لا تفوتكم السعادة إن شاء الله. وفقنا الله وإياكم لمراضيه، وجنّبنا سخطه بمحمد وآله الطاهرين صلواته عليهم أجمعين.

لذّة الصلاة أعظم من كلّ لذّة

جاء في الرواية أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قال: «**حُبِّب إليَّ من دنياكم: الطيب والنساء وجعل قرّة عيني في الصلاة**»[1].

إن جميع اللذّات الروحية ـ وما هو مطلوب تكويناً بنحو الحلال من اللذّات الموجودة في الطيب أو النساء، بل أكثر منها وأرقى بمراتب [كله] ـ موجود في الصلاة.

ولكن الطفل القليل الإدراك لا يأبه للذّة الحجلة والعرس، وهو لا يشعر بهكذا لذة بل الحجلة بالنسبة له قفص وسجن، ويكون فيها كالسجين لا يملك حرية الحركة.

فالذي يمثل اللذة بالنسبة له هو الركض واللعب، فهو يحبّ الدراجة ويتلذّذ بها حيث ينتقل بها من مكان إلى آخر، واللعب في الأزقة والشوارع بالنسبة له ألذّ من الحجلة والعرس.

وأمرنا نحن كذلك أيضاً إذ نتلذذ بتناول ماء اللحم بينما المُدمِن على الترياك

---

(١) أصول الكافي ٨٣/٢، وسائل الشيعة ٨٣/١، بحار الأنوار ١٥٥/٨، ٢٥٣/٦٧.

[والمخدرات] يجده ألذّ من أي شيء آخر كما يدّعون. وجميع اللذائذ روحية، وإلاّ فإنّ الجبل بعظمته كلّها في جهالة من هذه اللذائذ الروحية، وقد جاء في الرواية: «**تنعّموا بعبادتي في الدنيا فإنّكم تتنعمون بها في الآخرة**»[1].

التلذّذ بالصلاة من مختصّات الإنسان الكامل

في كلام الله يُسمع الصوت من كل حدب وصوب، واللذة والتنعم الحاصلان من ذلك أعظم بكثير من لذّة الأكل والشرب، وقد جاء في رواية للإمام الصادق عليه السلام حول آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[2]: «**لازلت أكرِّرها حتى سمعتها من قائلها**»[3].

إنّ الأكل والنوم، والاهتمام ببعض الشؤون الحيوانية الأخرى، قد نزلت بنا إلى أسفل من درجة بعض الحيوانات، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾[4].

والله تعالى يعلم الأعمال العجيبة التي يمارسها النَّحل، في حين نحن البشر، ومع ادّعائنا بأنّنا أشرف المخلوقات، من غير المعلوم أنّنا نستطيع إنجازها. يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**حُبِّب إليَّ من دنياكم: النساء والطِّيب، وجُعل قرّة عيني في الصلاة**»[5].

---

(١) وسائل الشيعة ٤٤٢/١، ١٤٤/٢، بحار الأنوار ١٤١/٧٣، ٢١١/٧٩، الخصال ١٦٥/١. وراجع أيضاً: مسند أحمد ١٢٨/٣، ١٩٩، ٢٨٥.

(٢) الفاتحة: ٥.

(٣) انظر بهذا المضمون: مفتاح الفلاح: ٣٧٢، فلاح السائل: ١٠٧، بحار الأنوار ٥٨/٤٧، ٨/ ٢٤٧، مستدرك الوسائل ١٠٦/٤.

(٤) النحل: ٦٨.

(٥) وسائل الشيعة ١/ ٤٤٢، ٢/ ١٤٤، بحار الأنوار ١٤١/٧٣، ٢١١/٧٩، الخصال: ١٦٥.

وكلّ واحدة من هذه المذكورات لها محبوبية ولذّة تكوينية، ولكن اللذّة الحاصلة من الصلاة هي أكثر من اللذّة الحاصلة من النساء والطيب. لكن ماذا نعمل وذائقتنا مالحة ومرّة، ولهذا ترى أحدنا همّه الفراغ من صلاته والانتهاء منها! وبعض أنواع الفراشات والنحل تطلب الرائحة الطيبة أيضاً، والانتفاع من الجنس المخالف مشترك بين الحيوانات كذلك، ولكن التلذّذ من الصلاة هي من مختصّات الإنسان الكامل.

ترك العمل شوقاً إلى الصلاة

سؤال: جاء في أوصاف المؤمن في إحدى الروايات: «**وصلاة في شغل**»[١] فما معنى هذه العبارة؟

الجواب: أي أنه يصلّي صلاته في وقتها حتى حين انشغاله بالعمل.

سؤال: و ما الميزة التي يمكن أن تكون للمؤمن من ذلك؟

الجواب: أي أنّه لا ينصرف عن صلاته بسبب عمله[٢]. وطبعاً فإنّ هذا يحتاج إلى صارفٍ قوي، يجعله يترك السوق وحرارته والعمل في وقت الصلاة. وإن كان الآخرون يأتون بالصلاة أيضاً، ولكن بعد تأخيرها عن أوّل وقتها، ومن دون حرصٍ على إدراك فضيلة أوّل الوقت، مما يسبب خسارتهم هذه الفضيلة.

الصلاة أفضل أوقات الملاقاة والحضور

الصلاة هي أرقى أوقات الملاقاة والاستحضار والحضور بين يدي الله عزّ وجلّ وكم الناس مختلفون في درجات قوس الصعود والنزول فيما بينهم.

---

(١) أصول الكافي ٢٣١/٢، وسائل الشيعة ١٨٧/١٥، بحار الأنوار ٢٧١/٦٤و٢٩٤.

(٢) إشارة إلى الآية ٣٧ من سورة النور.

إن غاية جعل الصلاة هي تحقيق الخضوع والخشوع بجميع مراتبهما، ولكن كم هو الاختلاف شاسع بين صلاة وحال الشخص الذي هو حقيقة مصلّي وحاضر، وبين صلاة وحال الشخص الذي يؤدّي نفس حركات المصلّي ويكون [مجرد] شبيه للمصلّي.

وطبعاً فإنّ صلاة مثل هذا الشخص تُسقط التكليف والعقاب عنه، ولكن لن يكون لها آثار وخواص الصلاة الحقيقية.

ونحن نأتي بما يشبه الصلاة، وما يكون صورة لها، وفائدة ذلك إسقاط التكليف فقط، بخلاف صلاة سلمان رحمه الله التي لها جميع الآثار والخواص في تنوير القلب.

لذّة العبادة وخاصة الصلاة

ورد في الحديث القدسي: «**تنعّموا بعبادتي في الدنيا، فإنّكم تتنعّمون بها في الآخرة**»[1]. يعني تلذّذوا بالعبادة.

وهذا الحديث أعلى درجة من الرواية التي نقلها الشيخ رحمه الله من أنّ الصلاة ترفع الجوع والعطش، لأنّه يفيد الدوام والاستمرار.

أهمية الصلاة

لا يوجد كتاب فقهي يوازي كتاب الصلاة في كثرة أبحاثه، إلى حدّ أنّ كتابي (الألفية) و(النفلية)[2] كُتبا حولها، وقد جاء في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: «**واعلم أنّ**

---

(١) أصول الكافي ٨٣/٢، وسائل الشيعة ٨٣/١، بحار الأنوار ١٥٥/٨، ٢٥٣/٦٧.

(٢) الكتابان للشهيد الأول رحمه الله، يشتمل الأول على ألف واجب من الأحكام الواجبة للصلاة، ويشتمل الثاني على ثلاثة آلاف حكم من الأحكام غير الواجبة في الصلاة.

كلّ شيء من عملك تبعٌ لصلاتك»[١].

وقد شاهدنا بعض العلماء الكبار كيف كانت تتغيّر أحوالهم بنحو عجيب وغريب في الصلاة، بنحو «تشعر» كأنّ الواحد منهم لن يخرج من الصلاة.

بين الصلاة والولاية

لم أرَ في فضل الصلاة فعلاً رواية أبلغ وأليق من هذه الرواية: «**الصلاة معراج المؤمن**»[٢].

وتوجد لدنيا رواية أخرى أيضاً تقول: «**لو يعلم المصلّي ما يغشاه من جلال الله ما انفتل من صلاته**»[٣].

كما يُعلم من حديث: «**كلّ شيء من عملك تبعٌ لصلاتك**»[٤] أنّ الصلاة أعلى درجة من كل الأعمال العبادية.

ولكن يستفاد من حديث: «**لم يُنادَ بشيء كما نُودي بالولاية**»[٥] أنّ الولاية أعلى درجة من العبادات الخمس، فما هي علّة ذلك؟ فهل ذلك باعتبار أنّ الولاية من الأصول

(١) نهج البلاغة: ٣٨٣، وسائل الشيعة ١٦١/٤، بحار الأنوار ٥٨١/٣٣، ٣٩٢/٧٤، ١٤/٨٠ و٢٣.

(٢) بحار الأنوار ٧٩/ ٢٤٧و٣٠٣، ٣٥٥/٨١.

(٣) هذه العبارة مأخوذة من روايتين:

الأولى: «**لو يعلم المصلّي ما في هذه الصلاة ما انفتل**» الكافي ٢٦٥/٣، وسائل الشيعة ٣٢/٤، أو مأخوذة من رواية «**لو يعلم المصلّي من يناجي ما انفتل**» من لا يحضره الفقيه ٢١٠/١، وسائل الشيعة ٣٣/٤ ٢٨٩/٧.

والثانية: «لو يعلم المصلّي ما يغشاه من جلال الله ما سرّه أن يرفع رأسه من سجوده» مستدرك الوسائل ٨٠/٣ بحار الأنوار ١٠/ ١١٠، الخصال ٢/ ٦٣٢.

(٤) نهج البلاغة: ٣٨٣، وسائل الشيعة ١٦١/٤، بحار الأنوار ٣٣/ ٥٨١، ٧٤/ ٣٩٢، ١٤/٨٠.

(٥) أصول الكافي ١٨/٢و٢١، وسائل الشيعة ١٧/١، بحار الأنوار ٣٣٢/٥.

والعقائد، والصلاة من الفروع؟ أو باعتبار تلازم الولاية مع ما يحصل عليه المؤمن المصلّي من الصلوات؟

أهمية الصلاة في أوّل وقتها

يقول الشيخ مصباح: «كان آية الله بهجت ينقل عن المرحوم القاضي أنّه قال: إذا أدّى أحدٌ صلاته الواجبة في أوّل وقتها ولم يصل إلى مقامات رفيعة فليلعنّي ! أو برواية أُخرى: فليبصق في وجهي».

فهنالك سر عظيم في أوّل الوقت وهنالك فرق بين ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾[(١)] وبين ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾[(٢)].

وإذا اهتمّ المصلي بالصلاة وتقيّد في أدائها في أوّل وقتها، فإنّ هذا العمل في حدّ ذاته له آثار كثيرة حتّى وإن لم يُصلِّها بحضور القلب[(٣)].

الصلاة في أول وقتها ضمان للمعيشة

كان بعض العلماء يؤمّن معيشة أولاده في المستقبل من خلال إيصائهم بالصلاة في أوّل الوقت أو بصلاة الليل.

الصلاة أعظم لذّات الدنيا

جاء في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «حبّب إليّ من دنياكم: الطيب والنساء

(١) البقرة: ٢٣٨.

(٢)البقرة: ٤٢.

(٣) در محضر بزرگان: في محضر الأولياء، محسن غرويان: ٩٩.

وجعل قرّة عيني في الصلاة»[١].

ويمكن الاستفادة من هذا الحديث بأنّ أعظم لذّة وسرور في الدنيا بحسب الظاهر هي الطيب والنساء، ولا عدل لهما، والقلوب متوجهة إليهما.

ولكن قال البعض حول جملة: «**وجعل قرة عيني في الصلاة**»: إنّ فيها عدولاً[٢].

ولكن الأمر ليس كذلك، بل لعلّه إشارة إلى أنّ الصلاة أيضاً تشتمل على لذات شبيهة بلذة الطيب والنساء، أي أنّ لذّة الصلاة هي أعلى بدرجات من لذّة الطيب والنساء، وقد جاء في الحديث القدسي: «**تنعّموا بعبادتي في الدنيا، فإنّكم تتنعمون بها في الآخرة**»[٣].

ومعنى «تنعّموا» أي تلذّذوا.

من آثار الصلاة والعمل على أساس التقوى

يستفاد من الآية الشريفة: ﴿**إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾[٤] أنّه «لا صلاة لمن لا يتناهى عن الفحشاء والمنكر»[٥].

سؤال: هل يمكن استفادة ما استنتجتموه من الآية المتقدمة بعكس النقيض من قوله تعالى أيضاً: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[٦]؟

---

(١) وسائل الشيعة ٤٤٢/١، ١٤٤/٢، بحار الأنوار ١٤١/٧٣، ٢١١/٧٩، الخصال ١٦٥/١، وراجع أيضاً: مسند أحمد ١٢٨/٣، ١٩٩، ٢٨٥.

(٢) انظر: الخصال ١٦٥/١، بحار الأنوار ٢١١/٧٩، نقله الشيخ الصدوق عن بعض الملحدين.

(٣) أصول الكافي ٨٣/٢، وسائل الشيعة ٨٣/١، بحار الأنوار ١٥٥/٨، ٢٥٣/٦٧.

(٤) العنكبوت:٤٥.

(٥) قريب منه: مستدرك الوسائل ١١٤/٤، بحار الأنوار ٢٩٣/٦٧، ٢٦٣/٨١.

(٦) المائدة:٢٧.

الجواب: يظهر من هذه الآية أنّ العمل المقبول هو العمل القائم على أساس التقوى فقط، لا أنّ جميع أعمال الشخص المتّقي بما أنّه متّقي مقبولة، وإن صدرت منه لا على أساس التقوى.

بواسطة المجاهدة نستفيد من القرآن والصلاة بنحو أفضل

يمكن الاستفادة من آية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1] بحسب الظاهر أنّ الهداية الإلهية وجهاد العبد لكل منهما مراتب ودرجات، وأنّ كل درجة من جهاد العبد وسعيه يتعقّبها درجة من الهداية الإلهية.

ومن موارد العمل بالوظيفة والتكليف أيضاً، أن نتلو القرآن على وجهه بأشكال المجاهدات [ومراتبها] بنحو نستفيد من كل تلاوة غير ما استفدناه من التلاوة السابقة وفي الصلاة أيضاً أن نستفيد في كل صلاة شيئاً آخر غير ما استفدناه سابقاً، لا أن نعيد للتكرار فقط، من غير زيادة أو نقيصة، بل إنّ الأمر بالنسبة لنا هو هكذا صورة لا سيرةً.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ أي لنفهّمهم الأمور التي في نفس القرآن والسنّة، لا الأمور التي في غيرهما، والدليل على ذلك أنّكم تفهمون شيئاً جديداً في كل مرّة تقرأونه وتتدبّرون فيه غير الشيء الذي تفهمونه في المرّة السابقة.

والصلاة أيضاً كذلك، فإنّكم تفهمون منها في كلّ مرّة شيئاً، غير الذي كنتم فهمتوه من قبل، وإلاّ فإنّ الإنسان عندما يصلّي الصلاة الأولى، فإنّ بقية الصلوات تكرار لها فهل أُمرنا بإتيان الصلاة دون أن نعرف لماذا أُمرنا بها؟ وهل [المطلوب فقط] أن نكرر ما عرفناه وقرأناه مرّة أخرى، بل نعيده في اليوم والليلة خمس مرّات؟!

---

(١) العنكبوت:٦٩.

إنّه لأمر عجيب! بل [إنّه تعالى] يريد إفهامكم أنّ في كلّ صلاة تأتون بها انتبهوا لتنالوا أمراً ولتفهموا شيئاً جديداً لم تكونوا قد فهمتوه في المرة السابقة، والأمر كذلك في تلاوة السور والآيات القرآنية أيضاً، أي تحصل في كل مرّة على شيء غير ما كنت قد حصلت عليه في المرة السابقة.

مراجعات حول الصلاة

سؤال: نرجو أن تبيّنوا لنا جملة مختصرة [نافعة] وبليغة حول الصلاة لتكون نصب أعيننا.

الجواب: باسمه تعالى: من البيانات العالية في فضيلة الصلاة يقع في المرتبة العليا الكلام المعروف عن المعصوم عليه السلام: «**الصلاة معراج المؤمن**»، وقد ذكروه عليهم السلام للذين يمتلكون اليقين بصدق هذا البيان، ويستمرون في طلب هذا المقام العالي، ولم يتجاوزوا اليقينيات.

سؤال: ما الذي نفعله لكي نؤدّي الواجبات الإلهية وخاصة الصلاة بخشوع؟

الجواب: التوسل الحقيقي بإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه في أول الصلاة من أجل تأدية العمل بالتمام [والكمال] المطلق.

سؤال: ما الذي يجب فعله لتحصيل حضور القلب وتركيز الذهن في الصلاة؟

الجواب: باسمه تعالى: في اللحظة التي تلتفت فيها لا تنصرف [وتشرد بذهنك] باختيارك.

سؤال: ماذا نعمل لنفي الخواطر؟

الجواب: من عرفه تعالى واستأنس به يقال له: «انصرف لضرورياتك» ولا يقال له:

«لماذا لا تفارقه» «**لو علم المصلي ما يغشاه من جلال الله ما انفتل عن صلاته**».

حول الصيام

جاء في الرواية: «**للصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه**»[1] وطبعاً هذا إن لم يتدارك ما فاته من الطعام عند الفطور والسحور.

قال أحد الصائمين في مسجد الكوفة بعد مضي اثني عشر يوماً من شهر رمضان: لم أشعر بالجوع إلى الآن، فلم يكن الصوم يسبب له الجوع! مع أنّ البعض يسعى وراء الأطعمة اللذيذة.

ورد في الروايات حول كمية الأكل أنه: «إذا جعت فكُل»[2].

وإذا كان الإنسان جائعاً فإنّه يستلذّ حتى بالخبز وحده بلا إدام، ولذة الطعام يعرفها الصائمون.

الثواب الخاص للصوم

جاء في الحديث القدسي: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»[3]. أي أنّ الله تعالى يعطي ثوابه بلا واسطة، إضافة إلى ما ذكر له من ثواب في الكتاب والسنّة.

﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾[4] أي أنه غير قابل للوصف والتوصيف.

---

(١) الكافي ٦٥/٤، من لا يحضره الفقيه ٧٦/٢، وسائل الشيعة ٣٩٧/١٠، بحار الأنوار ٣٨٠/٩٣.

(٢) مستدرك الوسائل ٢٨٤/١، ٤٦٦/١٦، بحار الأنوار ٢٦٠/٥٦، فقه الرضا: ٣٤٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٧٥/٢، تهذيب الأحكام ١٥٢/٤، وسائل الشيعة ٤٠٠/١٠، بحار الأنوار ٢٥٥/٩٣ ح٦ ٢٥٨/٩٣ ح٢٥.

(٤) السجدة: ١٧.



الفصل السادس:

حول الثقلين
القرآن وأهل البيت عليهم السلام





الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة

يجب على الإنسان أن يسعى في دنياه أن تكون جميع حركاته وأفعاله وأقواله وفقاً للصراط المستقيم، وأن لا ينحرف عنه. والكون على الصراط المستقيم يعني أن نجعل النبيّ صلى الله عليه وآله والوصيّ عليه السلام أمامنا ثم نتبعهما.

والصراط المستقيم صراطان يجب طيّهما: أحدهما في الدنيا، والثاني في الآخرة. وإذا ما استطعنا اليوم المشي بصورة صحيحة على الصراط في الدنيا، فإنّنا نستطيع غداً العبور على صراط الآخرة فوق جهنم أيضاً.

وعبارة «كتاب الله وعترتي» الواردة في حديث الثقلين هي نفسها عبارة «كتاب الله وسنّتي»؛ لأنّ السنّة الواقعية لرسول الله صلى الله عليه وآله هي عند العترة.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن نعتبر العترة هي واسطة الفيض في جميع النعم وأن نتوسل بهم، وأن نعمل بما نعلم «سواء حصلنا عليه عن طريق الاجتهاد أو التقليد»، و إلاّ فسوف نندم، وأن لا نقدم على ما لا نعلم، وإلاّ فسوف نندم أيضاً. بل يجب الاحتياط والتوقّف في مواقع الشك والشبهة، حتى نسأل أهل العلم عنها، والعمل بالاحتياط لن يجرّ ندماً.

استحالة التفكيك بين القرآن والعترة

قال المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري: «لقد ترك العامّة العترة جانباً بينما ترك الخاصّة القرآن».

ومعنى هذا الكلام أنّ كلتا الطائفتين قد تركتا القرآن والعترة معاً؛ لأنّ القرآن والعترة متلازمان، وفي عقيدتي إذا ضيّع شخص أحدهما فقد ضيّع الآخر أيضاً؛ لأنّ لهما هوهوية واتّحاداً، كما قال الرسول الأكرمﷺ: «**إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[١].

التمسك بالثقلين عامل وحدة المسلمين

إنّ حديث التمسّك بالثقلين[٢] هو عامل وحدة المسلمين ورافع للاختلاف بينهم وخاصّة إذا التفتنا إلى ذيل حديث الثقلين القائل: «**فإنّي سألت الله في ذلك فاستجاب لي**»[٣].

وبناءً على هذا يُعلم من وجود جميع هذه الاختلافات بين المسلمين، أنّه لم يتم التمسّك الحقيقي بالثقلين، وأنّ أساس الاختلاف هو [موقف] «**حسبنا كتاب الله**»[٤]. وإنّ كان هذا الكلام قد صدر كذباً؛ لأنّ نصف آيات القرآن تتعلّق بالعترة ومودّتهم واتّباعهم، اللهمّ إلاّ إذا محونا هذه الآيات من القرآن أو غطّيناها لكي لا ترى!

ومع تواتر هذا الحديث بين العامّة والخاصة فقد حاول أهل السنّة بكل جدّ أن

---

(١) مسند أحمد ١٤/٣، وانظر أيضاً: مسند أحمد ٢٧/٣و٥٩، مجمع الزوائد ١٦٣/٩، مسند ابن جعد: ٣٩٧ منتخب مسند عبد بن حميد:١٠٨، الخصائص للنسائي:٩٣، مسند أبي يعلى ٢٩٧/٢و٣٧٦، المعجم الصغير للطبراني ١٣١/١.

(٢) مسند أحمد ١٤/٣و٢٧و٥٩، مجمع الزوائد ١٦٣/٩، مسند ابن جعد:٣٩٧، منتخب مسند عبد بن حميد: ١٠٨، الخصائص للنسائي: ٩٣، مسند أبي يعلى ٢٩٧/٢و٣٧٦، المعجم الصغير للطبراني ١٣١/١.

(٣) قريب منه: شواهد التنزل ١٩١/١، الميزان ٤١١/٤، أصول الكافي ٢٠٩/١و٢٨٧.

(٤) بحار الأنوار ٤٧٣/٢٢و٤٧٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٥/٢، ٥١/٦، ٤٩/١١، ٨٧/١٢.

يدّعوا أنّ لفظ الحديث هو «سنّتي» بدل من «عترتي».

ونقول: إذا كان لفظ الحديث «سنّتي» فأنتم أيضاً لا تعملون بالسنّة، بل أنتم من أهل القياس؛ لأنّكم لو كنتم عملتم بالقرآن والسنّة وتمسّكتم بهما لارتفع الخلاف بينكم وزال، وحينئذٍ فما هذا الاختلاف بينكم؟! ولهذا فإنّ العامّة ينقلون عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّهن بالنار إلاّ احدة**».

فسُئل: من هي الفرقة الناجية؟

فقال ﷺ: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[1].

ونقول: بناءً على هذا فلن يكون هناك أي اختلاف بين الأصحاب ولابد، فهل الأمر كذلك حقّاً؟! إذن فالجن هم الذين أشعلوا حرب صفين، والقتال الذي وقع فيها كان بين طائفتين من الجنّ؟!

وعلى هذا فالذين تخلّوا عن العترة ليس لهم قرآن حقيقي، بل الذي لديهم هو صورة القرآن فقط، ومن هنا فإنّ الكفّار يستطيعون أخذه منهم بسهولة، ولقد خطط الكفار وتعاهدوا على أخذ القرآن من أيدي المسلمين، ومن أجل هذا العمل يريدون أولاً حذف الآيات المتعلّقة بلعن اليهود والنصارى نظير قوله تعالى: ﴿**وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**﴾[2]، أو أن يضعوا في أيدي المسلمين قرآناً غير عربي، ومجرد ترجمة للقرآن وترجمة القرآن ليست قرآناً.

---

(١) مجمع الزوائد ١٨٩/١، مستدرك الحاكم ١٢٩/١، المعجم الأوسط للطبراني ١٣٧/٥، لسان الميزان لابن حجر ٢٩١/٣، ٥٦/٦.

(٢) المائدة: ٦٤.

الحياة الحقيقة هي التمسك بالقرآن وأهل البيت (عليهم السلام)

حتى بناء على نقل العامّة ورواياتهم فإنّ الأئمةعليهم السلام عندهم باطن النبوّة، والتمسّك بالقرآن وأهل البيتعليهم السلام لا يتطلب الانتحار [وليس شاقّاً إلى هذه الدرجة]، بل نقتل أنفسنا في الأعمال الأخرى [من الطاعات والأمور المقربة لله عزّ وجلّ]، فهنا [في اتباع القرآن وأهل البيت] الحياة.

طواف العشق حول القرآن وأهل البيت (عليهم السلام)

ليتنا نجد في قلوبنا عشقاً لمجموع القرآن والعترة لكي نستطيع أولاً: أن ندرك تفرّد القرآن والعترة والخصوصية الحاصلة من الجمع بينهما.

وثانياً: التوجّه إليهما معاً في مقام الاتّباع والعمل، والطواف بعشق حول هذين المحورين، والعلم بأنّهما اللائقين للعشق أكثر من أي معشوق آخر.

ولقد كان يوسفعليه السلام: جماله في نفسه أعلى من جماله في بدنه، وجماله النفساني أعظم من جماله الجسماني، وكلّ نبيّ أو وصيّ نبيّ جمالُه النفساني أعظم من جمال يوسف الجسماني.

فهل عبارة ﴿**قَطَّعْنَ أَيْدِيهُنَّ**﴾[1]- أي كون النساء قد قطّعن أيديهن حين رأين يوسفعليه السلام - كذب أم صدق؟ وهل [الإخبار عنه] بأنّه: «هو في باطنه أحسن منه في ظاهره»، كذب؟ إضافة إلى ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[2] فلقد أُخفي الجمال الواقعي ليوسفعليه السلام، وقد ورد أيضاً: «**أُعطي يوسف شطر الحسن، والنصف الآخر**

---

(١) يوسف: ٣١ و ٥٠.

(٢) الإسراء: ٨٥

لباقي الناس...»[١].

ولكن علياً عليه السلام كان يقول: «**لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً**»[٢] أي لم أزدد يقيناً كما لو كشف الغطاء لكم وتيقنتم.

لماذا لا نستفيد من القرآن والعترة ؟

إذا كنا لا ننتفع من القرآن فالسبب هو ضعف يقيننا، ولذا فإنّ أحوالنا لن تتغيّر حتى إذا رأينا الإمام عليه السلام، كحال البعض الذين كانوا في زمان حضور الأئمة عليهم السلام، كمثل ذلك الشخص الذي قال للإمام الجواد عليه السلام: أظنّك سكران. فقال له الإمام عليه السلام: «**اللهمّ إن كنت تعلم أنّي أمسيت لك صائماً فأذقه طعم الحديد، وذلّ الأسر**» فما أسرع أن هلك ذلك الشخص[٣].

إنّ الإمام عليه السلام والقرآن يختلفان عن كتاب رستم وأسفنديار! فهل نحن من أهل القرآن أم لا؟ نقضي العمر ونحن ندعو بتعجيل فرج الإمام عليه السلام فحذار أن لا نكون منهم.

ماذا تقول آية: ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى....**﴾[٤]؟ هل الأمور التي تذكرها الآية هي من باب فرض المحال وخلاف الواقع؟ أم أنّها تريد أن تقول إنّ أهل القرآن يستطيعون أن يأتوا بكل هذه الأعمال بواسطة القرآن ؟

---

(١) قصص الأنبياء للجزائري: ١٦، الخرائج والجرائح ١٠٤٦/٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٠/ ١٥٣، ١٣٤/٤٦، ٦٤/ ٧٣.

(٣) راجع: أصول الكافي ٤٩٦/١، بحار الأنوار ٦٢/٥٠، مناقب ابن شهر آشوب ٣٩٧/٤.

(٤) الرعد: ٣١.

نقل عن الجاحظ وهو أحد علماء العامة قوله: إنّي قرأت الخطبة الفلانية لأمير المؤمنين عليه السلام أربعين مرّة، وكنت أستفيد منها في كل مرة شيئاً جديداً.

والقرآن أيضاً كذلك، فإنّ الإنسان يستطيع من خلال مطالعة القرآن، والتأمل والتدبرّ في آياته، أن يستفيد أشياء جديدة لم يكن قد توصل إليها قبل ذلك.

إحدى علائم اتّحاد أهل البيت (عليهم السلام) مع القرآن

أهل البيت عليهم السلام هم عديل القرآن، بل هم متّحدون معه.

وإحدى علائم اتّحادهم معه هي أنّ كلماتهم عموماً تشبه كلام القرآن، غير أنّ التحدّي والإعجاز الموجود في القرآن غير موجود في كلماتهم، وكلامهم «**دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق**» مثل نهج البلاغة، وخاصة بعض خطبه التي تشبه القرآن حقيقة، والصحيفة السجادية والأدعية المتيقّن صدورها عن أهل البيت عليهم السلام أيضاً كأنّها القرآن بنفسه، وكذلك الخطب المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام.

من حقوق الثقلين

من العجب أن يُولَى الاهتمام للشخصيات وخطاباتها ويتم تسجيل تلك الخطب بينما لا نُولِي مثل هذا الاهتمام للقرآن الذي هو بين أيدينا! وكلّنا يعلم أنّنا مقصّرون في حقّ القرآن، وأنّه ليس لدينا معرفة بالقرآن والعترة التي هي عديل القرآن وفي نفس درجته؛ إذ إنّهما: «**لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض**»[1].

لماذا لا نهتم بكلمات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وكلمات عترته عليهم السلام المدوّنة في الكتب؟!

---

(١) راجع: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل:١٥، مسند أحمد ١٤/٣، ١٧، ٢٦، ٥٩، ١٨٢.

لماذا لا نذهب - نحن الشيعة - في كل يوم إلى منبر أمير المؤمنين عليه السلام وأئمة الهدى ورسول الله صلى الله عليه وآله، ونصغي إلى ما قالوه من حكم وآداب ومعارف، الطافحة بها كلماتهم إلى ما شاء الله؟! لماذا لا نطالع في كل يوم أحاديث أهل البيت عليهم السلام، أو ندرسها ونتباحث بها؟!

أهمية حمل القرآن وحفظه
واختلاف درجات التوجّه للقرآن والعترة

الله يعلم كم لحفظ القرآن من مدخلية في الاستفادة منه بصفته معدناً ومنبعاً للرحمة الإلهية، وهل من الممكن أن نجد تعبيراً أعلى من هذا الكلام: «**مَن ختم** [قرأ أو حفظ] **القرآن فكأنّما أُدرجت النبوّة بين جنبيه، ولكنّه** [إلاّ أنّه] **لا يُوحى إليه**»[1].

أي أنّ القرآن يوصل غير الأنبياء إلى غاية كمالهم. ولكنّنا لا نستفيد من القرآن كما يجب وينبغي، والمسلمون أيضاً في غاية الاختلاف في شأن أهل البيت عليهم السلام.

وقد نقل عن أفراد كثيرين ممن زار أضرحة الأئمة عليهم السلام أنّهم سلّموا عليهم وسمعوا جواب السلام ينبعث من الضريح، أو أنّهم قد تحدّثوا مع الأئمة عليهم السلام.

والمقصود من هذا الكلام: كما أنّ الناس مختلفون في شأن عِدل القرآن «أهل البيت عليهم السلام» على مراتب ودرجات متفاوتة، فكذلك هم مختلفون في شأن القرآن.

يقول أحدهم: لقد ختمت القرآن مرّتين أو ثلاثة خلال شهرين أو ثلاثة، فوجدت أنّي أحفظ القرآن بأجمعه، مع أني لم أكن حتى قاصداً لحفظه، بل صرت بحيث أستطيع تمييز آيات القرآن من بين أسطر كتب التفاسير.

---

(١) أصول الكافي ٦٠٤/٢، وسائل الشيعة ١٨١/٦و١٩١، ٨٣٥/٤، ٨٤٤ مجمع البيان ٤٥/١، تفسير ابن كثير ٣٢٩/١، غريب الحديث ٣٧١/٢.

لم يعبد أمير المؤمنين (عليه السلام) صنماً قط

من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام أنّه لم يعبد صنماً قط، ولهذا يقول أهل السنة عند ذكره: كرّم الله وجهه، هذا مضافاً إلى نيله فضيلة مباشرة تحطيم الأصنام بيده.

والله يعلم كيف سيكون الأمر صعباً على من كان يعبد الأصنام دهراً طويلاً ويتوسّل إليها لو أمر بتكسيرها؟ وكيف سيمتنع من ذلك؟!

ماذا نعمل لنحظى بالمعرفة النورانية بالأئمة (عليهم السلام)؟

المراد من جملة: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِه﴾ في الآية الشريفة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِه﴾[1] هو الشخص الذي لا يعرف الأئمة عليهم السلام.

ولكن ماذا يجب علينا أن نفعله لنحظى بالمعرفة النوارنية للأئمة عليهم السلام؟

لنقرأ ونطلب بعد كل صلاة: «**اللهمّ عرّفني نفسك**»[2].

التعظيم عليه وإليه غير التعظيم له

تعظيم تربة كربلاء والسجود عليها تعظيم عليها لا تعظيم لها [وسجدة عليها لا سجدة لها]، وتعظيم ضريح النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام هو كاستقبال الكعبة

---

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) ومقصوده قراءة الدعاء التالي: «**اللهمّ عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك اللهمّ عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حُجّتك، اللهمّ عرّفني حُجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حُجّتك ضللتُ عن ديني**». راجع: أصول الكافي ٣٣٧/١، بحار الأنوار ١٤٦/٥٢، ٣٢٦/٩٢.

وتعظيمها، وهو تعظيم إليها لا تعظيم لها. ومع هذه الحالة فإنّ بعض الفرق الإسلامية تراهم أحاطوا بضريح رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وأقاموا سوراً دونه [ليمنعوا الناس من ذلك التعظيم المباح بل الحسن] !

وجوب مودّة ذي القربى

قيل لأحد علماء العامّة: إنّ اختلافنا معكم هو حول صحابة النبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، بينما وجوب مودّة ومحبّة أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ موضع اتّفاق الفريقين. وعلى هذا نقول: إذا كان الصحابة يودّون ويحبّون أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ واقعاً فنحن نوافقكم في احترامهم. وإذا لم تكن عندهم المودّة والمحبّة لأهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ حقيقة، وكانوا مخالفين لهم، فيجب عليكم أن تكونوا مثلنا في مخالفة كل من لا يحمل المودّة لذي القربى.

القرآن موجود ربوبي ومن عالم النور

نحن الشيعة الذين نعتقد أنّ القرآن عِدل أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ، وأهل البيت عِدل القرآن، ولا يوجد بينهما افتراق،أفلا يمكننا آخر الأمر الانتفاع معنوياً وجسمياً بالنظر إلى القرآن وأهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ ؟!

أفلا نعلم أنّ القرآن ليس كسائر الكتب؟! وكأنّ القرآن موجود ربوبي ظهر من عالم النور والروحانية في عالم الأجسام والأعراض، بدليل أنّ ثمة أشياء تظهر منه أو تُرى مما لا يُرى من الأجسام والأعراض. وعلى هذا، فيجب أن نفهم على نحو اليقين أنّ النظر إلى القرآن ليس مثل النظر إلى سائر الكتب.

من أين نطلب الكمال مع وجود القرآن بأيدينا؟!

لقد أعطانا الله تعالى نعماً عظيمة! فلم تُعطَ أُمّة وشعب مثل هذا القرآن الذي له

جميع هذه الخواص والآثار! نعمة بمثل هذه العظمة قد أعطيت لنا، ولكننا [لم ننتفع بها] وكأننا لم نعطها، وكأن هذا الكتاب لا يمنح الإنسان التكامل، فنطلب الكمال في الذهاب إلى الخانقات والزوايا[1].

لقد وصل الأمر بالأمّة التي تمتلك القرآن أن حُرِمت من العترة عِدل القرآن وشريكه منذ نزول القرآن إلى الوقت الحاضر! هذه العترة التي ـ وبناءً على الروايات الكثيرة ـ قال الرسول الأكرمﷺ عنها [وعن القرآن]: «**إنّي سألت ربّي أن لا يفرّق بينهما ففعل**»[2]. وقال أيضاً: «**إنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**»[3].

نعم، ففيما يرتبط بفهم القرآن وشرحه والعمل به [علينا البحث دوماً عن العترة والرجوع إليها لأن] العترة موجودة حيث وجد القرآن.

النظر في المصحف

جاء في الرواية: «**النظر إلى الكعبة عبادة، والنظر إلى الوالدين عبادة، والنظر في المصحف من غير قراءة عبادة، والنظر إلى وجه العالم عبادة، والنظر إلى آل محمد**عليهم السلام **عبادة**»[4].

إنّ النظر المستمر إلى القرآن هو دواء لأوجاع العين، والظاهر أن النظر إلى

(١) الخانقاه والزوايا: المكان الخاص بالصوفيين يجتمعون فيه لممارسة أذكارهم وطقوسهم الأخرى التي تتفاوت في قربها من الشرع وعدمه بحسب اختلاف فرقهم.

(٢) راجع: ينابيع المودّة١/ ١١٦، الغدير ٨٠/٣، شواهد التنزيل ١٩١/١، الميزان ٣٧٨/٣، ٤١١/٤، أصول الكافي ١/ ٢٠٩، ٢٨٧.

(٣) راجع: ينابيع المودّة١/ ١١٦، الغدير ٨٠/٣، شواهد التنزيل ١٩١/١، الميزان ٣٧٨/٣، ٤١١/٤، أصول الكافي ١/ ٢٠٩، ٢٨٧.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٢٠٥/٢، بحار الأنوار ٦٥/٩٦، وانظر أيضاً: وسائل الشيعة ٣١٢/١٢، ٢٦٤/١٣.

المصحف هو الذي يترتب عليه هذا الأثر، وأمّا قراءة القرآن من غير المصحف فهو خارج عن محلّ الرواية.

بين الصلاة والولاية

لم أرَ في فضل الصلاة فعلاً رواية أبلغ وأليق من هذه الرواية: «**الصلاة معراج المؤمن**»[١].

وتوجد لدينا رواية أخرى أيضاً تقول: «**لو يعلم المصلّي ما يغشاه من جلال الله ما انفتل من صلاته**»[٢].

كما يُعلم من حديث: «**كلّ شيء من عملك تبعٌ لصلاتك**»[٣] أنّ الصلاة أعلى درجة من كل الأعمال العبادية.

ولكن يستفاد من حديث: «**لم يُنادَ بشيء كما نُودي بالولاية**»[٤] أنّ الولاية أعلى درجة من العبادات الخمس، فما هي علّة ذلك؟ فهل ذلك باعتبار أنّ الولاية من الأصول والعقائد، والصلاة من الفروع؟ أو باعتبار تلازم الولاية مع ما يحصل عليه المؤمن المصلّي من الصلوات؟

---

(١) بحار الأنوار ٧٩/ ٢٤٧و٣٠٣، ٣٥٥/٨١.

(٢) هذه العبارة مأخوذة من روايتين:

الأولى: «**لو يعلم المصلّي ما في هذه الصلاة ما انفتل**» الكافي ٢٦٥/٣، وسائل الشيعة ٣٢/٤، أو مأخوذة من رواية «**لو يعلم المصلّي من يناجي ما انفتل**» من لا يحضره الفقيه ٢١٠/١، وسائل الشيعة ٣٣/٤ ٢٨٩/٧. والثانية: «**لو يعلم المصلّي ما يغشاه من جلال الله ما سرّه أن يرفع رأسه من سجوده**» مستدرك الوسائل ٨٠/٣، بحار الأنوار ١٠/ ١١٠، الخصال ٢/ ٦٣٢.

(٣) نهج البلاغة: ٣٨٣، وسائل الشيعة ١٦١/٤، بحار الأنوار ٣٣/ ٥٨١، ٧٤/ ٣٩٢، ١٤/٨٠.

(٤) أصول الكافي ١٨/٢و٢١، وسائل الشيعة ١٧/١، بحار الأنوار ٣٣٢/٥.

المنقول من فضائل أهل البيت (عليهم السلام) أقلّ من الواقع

قيل: إنّ الأصل في معجزات أهل البيت عليهم السلام على التكذيب. وإن كانت الأحاديث والنقليات والأقوال حول الأئمة عليهم السلام دون الحقيقة والواقع، وأنّ حقيقة مقامهم ومنزلتهم هو فوق جميع ما قيل أو يقال عنهم، لأنّهم عليهم السلام قالوا: **«نزّلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم مهما بلغ»**[(١)].

وفي مناقب الخوارزمي نقل عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله رواية في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **«لولا ما وقع للمسيح عليه السلام لقلتُ فيك يا علي كلاماً ما مررتَ بأحدٍ إلاّ وسجد لك»**[(٢)].

التوسّل بالقرآن في الدعاء

ورد في إحدى الروايات ـ ولا أعلم الآن في أي كتاب نُقلت ـ: **«خُذ من القرآن ما شئت لما شئت»**[(٣)].

---

(١) قريب منه: بحار الأنوار ٢٧٩/٢٥، ٣٨٣، ٢٨٩، ٦٨/٤٧ و١٤٨، الاحتجاج ٤٣٨/٢، بصائر الدرجات: ٢٤١.

(٢) **«لولا أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصاري في عيسى بن مريم لقلتُ فيك قولاً لا تمرّ بملأ من الناس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة»**. مصادر هذه الرواية في كتب أهل السنة: مجمع الزوائد ١٣١/٩، المعجم الكبير ٣٢٠/١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨/ ٢٨٢، شواهد التنزيل ٢٣٣/٢، مناقب الخوارزمي:١٢٩، ينابيع المودة ٢٠٠/١، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٣.
وأمّا مصادر هذه الرواية في كتب الشيعة فانظر: الخصال: ٥٥٧، أمالي الصدوق:١٥٦، ٧٠٩، روضة الواعظين:١١٢، خاتمة المستدرك ٣٣٠/٤، كتاب سليم بن قيس:٤١٢، الغارات ٦٢/١و٦٤، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفي ٢٤٩/١، ٤٥٩، ٤٩٤، ٢/ ٦١٥، المسترشد:٦٣٤، شرح الأخبار ٤١١/٢، الإرشاد ١/ ١١٧و١٦٥، الاختصاص: ١٥٠.

(٣) وردت هذه العبارة في رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام: **«في القرآن شفاء من كل داء»** انظر: مستدرك الوسائل ٩٨/٢، بحار الأنوار ٢٦٢/٥٩، ١٧٦/٨٩و٢٠٢، فقه الرضا:٣٤٢، مكارم الأخلاق: ٣٦٣.

ويستفاد من هذا الحديث أنّ التوسّل بالقرآن وحمله وفهمه وقراءته مفيد لنجاة عموم الناس فضلاً عن خواصّهم.

روايات العامة حول الأئمة الاثني عشر والمنزلة الخاصة لعلي (عليه السلام)

روي عشرون حديثاً عن عشرين صحابياً أنّ النبيّ صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «**الخلفاء بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش**»[١].

وقد روى هذا الحديث أيضاً أبو بكر وعمر وعثمان. كما ورد في طريقين: أحدهما عن أبي بكر مباشرة أنّ رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «**منزلة علي منّي كمنزلتي من ربّي**»[٢]. وقد نقل هذا الحديث في كتاب «الصواعق المحرقة» أيضاً.

ومن المستحسن أن تجمع هذه الكتب التي نقلت هذا الحديث ليصل إلى حدّ التواتر. وهذا الحديث أعلى من حديث المنزلة[٣] بلحاظ المتن، وإن كان حديث المنزلة من ناحية السند أعلى منه ومتواتراً.

مقام ومنزلة أهل البيت (عليهم السلام) عند العامة

يوجد في روايات العامة أعلى المقامات لأهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ.

القرآن والعترة مأمن المؤمنين

إنّ الهداية العامة للخلق مقرّرة من قبل الله تعالى، وكل شخص له قابلية الإصلاح

---

(١) مسند أحمد ٨٧/٥ ـ ١٠٨، صحيح مسلم ٣/٦و٤.....

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ٥٤٠/٣، الكشف الحثيث: ٢٢٩، لسان الميزان لابن حجر ١٦١/٥، وانظر: المسترشد: ٢٩٣، مناقب آل أبي طالب ٢٦٠/٢ بحار الأنوار ٢٩٨/٣٨.

(٣) المراد به حديث رسول صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لعلي عَلَيْهِالسَّلَامُ: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**».

ولكنّنا لا نفكر بالمأمن، ومع أنّنا في حال النزول فإنّنا قاصدو الصعود [وندّعيه ونطلبه] ونشعر بالرضى عن أنفسنا مع ابتلائنا بالمعاصي واستصغارها وعدم الاستغفار منها. ومأمننا و ملجؤنا هو القرآن وعديله وهو العترة.

سيروا على خطى المعصومين (عليهم السلام)

كان هنالك عظماء تحسب كل من تراه منهم وحيد زمانه في التبحّر والإحاطة العلمية ولا يوجد في العالم سواه، ولكن مع هذا فثمّة آخرون ما أن يمسّهم الاضطرار حتى يتوجّهون مباشرة إلى قصر السلطنة ويصيرون من أتباع البلاط، لا يرون لأنفسهم حاجزاً عن ذلك.

وطبعاً نحن لا نقول كونوا معصومين، وليكن لكم مقام المعصومين عليهم السلام، وادّعوا النبوّة والإمامة، بل نقول: سيروا على خطى المعصومين عليهم السلام لا على خطى غيرهم ولازموا العلماء وكونوا متنوّرين دائماً، وليكن اهتمامكم بالموضوعات المفيدة العلمية والحيوية.

كل بلاء يصيبنا هو بسبب ابتعادنا عن أهل البيت (عليهم السلام)

كل بلاء يصيبنا هو بسبب ابتعادنا عن أهل البيت عليهم السلام والروايات المأثورة عنهم.

إن جميع هذه الابتلاءات النازلة علينا ـ وهي كثيرة أيضاً ـ كان بسبب أنّنا رفضنا منذ اليوم الأول من نصّبه الله تعالى والنبيّ صلى الله عليه وآله حاكماً علينا! وعندما وصل خبر سلب قرط من أذن امرأة مسلمة، أو خلخال من ساق امرأة ذمية إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان عندي ملوماً**»[1].

(١) نهج البلاغة: ٦٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٤/٢، بحار الأنوار ٦٤/٣٤، الكافي ٤/٥.

توفيق الزيارة من الجذب والانجذاب ولا علاقة له بالمال

إنّ توفيق الزيارة لا علاقة له بامتلاك المال، إذ كما تحترق الفراشة بضوء الشمع [أثناء دورانها حوله وانجذابها إليه] فهل ثمة تردد في كون المعصومين عليهم السلام في منزلة الشمع والضوء بالنسبة لنا وفي كوننا كالفراشات بالنسبة لهم؟ فلماذا إذن نجد أنّ البعض يشاهد المعصومين عليهم السلام، أو يسمع **جواب** سلامهم، أو يتحدّث مع صاحب القبر ويأخذ منه **الجواب**، ونحن لسنا كذلك؟!

لقد رؤيت وسُمعت العجائب والغرائب من كرامات ومعجزات المشاهد المشرفة والأضرحة المباركة، وإذا لم يكن هذا النوع من العلاقة وأبواب النور والرحمة مفتوحة في وجوه أهل الإيمان، لتركونا على ما نحن فيه، وذهبوا وغابوا عنّا بشكل مطلق، مع تأكيدهم على الدعوة للتوجّه للعترة والتمسك بهم. ويتبيّن من ذلك أنّ في مشاهدة القرآن والعترة ثمة جاذبية، فلو توفرنا على اللياقة لذهبنا للزيارة. وأن يكون الإنسان فراشة حول هذا الشمع لا يرتبط بامتلاكه المال أو فقدانه، بل هو ناتج عن جذب المحبّة وانجذابها، ولا حاجة للمظاهر، ولا فرق عندهم بين صاحب الأموال وعديمها.

نعمة وجود حرم الإمام الرضا (عليه السلام) في إيران

إنّ الحرم المطهّر للإمام الرضا عليه السلام نعمة كبيرة وثمينة للإيرانيين، ولا يعلم عظمتها إلاّ الله سبحانه، إلى حدّ أنّ الإمام الجواد عليه السلام يقول: «**زيارة أبي أفضل من زيارة الحسين عليه السلام، لأنّ الحسين عليه السلام يزوره العامّة والخاصّة وأبي لا يزوره إلاّ الخاصّة**»[1].

---

(١) نقلاً بالمعنى، راجع: الكافي ٥٨٤/٤، من لا يحضره الفقيه ٥٨٢/٢، التهذيب ٨٤/٦، وسائل الشيعة ٥٦٢/١٤ ←

ولذا فإنّ الكرامات التي تظهر من ضريح الإمام الرضا عليه السلام هي أكثر من الكرامات الظاهرة من ضريح الإمام الحسين عليه السلام، ولهذا ينبغي للإيرانيين أن يغتنموا نعمة وجود حرم الإمام الرضا عليه السلام حيث قد تهيأت لهم فرصة زيارته.

ابتعادنا عن نهج علي (عليه السلام)

ما هي علّة البشر التي تمنعهم من الهدوء والراحة وتدعهم في حالة حرب مستمرة بعضهم مع بعض على الحكم والرئاسة والجاه؟! ونحن لا ندرك سوى أنّ الملك الدنيوي غير باقٍ بل سيزول [عاجلا أم آجلاً]. ماذا كانت سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في ملبسه ومأكله فترة رئاسته وحكومته الظاهرية؟!

لقد كانت حلواه التمر اليابس الذي يقطّعه قطعاً صغاراً ويرميه في اللبن الحامض لتذهب حموضته ويصير حلواً، ثم يتناوله مع الخبز اليابس (الذي هو خبز الشعير أيضاً) ويقول: لعلّ هنالك من لا يجد هذا الطعام.

ولكنّنا لم نسر في هذا النهج، ولقد فعل الكفار ما فعلوا، وأنزلوا على رؤوسنا ما أنزلوا.

خرق العادات بواسطة القرآن

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾[1].

بحار الأنوار ٣٨/٩٩، عيون أخبار الرضا ٢٦١/٢، كامل الزيارات: ٣٠٦.

(١) الرعد: ٣١.

فهل جواب **﴿لَوْ﴾** غير القول «لكان هذا القرآن»؟! بل من المقطوع به أن **جواب** لو المقدر هو هذا (أي ولو أن قرآنا سيرت به الجبال... لكان هذا القرآن)، وجملة **﴿بَلْ لِلَّه الأَمْرُ جَمِيعاً﴾**[1] إشارة أيضاً إلى أن إعجاز القرآن لا يختص بخوارق العادات المذكورة هذه، بل هو **﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾**[2]. ولكن [قد يسأل] بأيّ دليل تنسب خوارق العادات إلى القرآن؟ **والجواب** بدليل نفس القرآن الذي هو بنفسه إعجاز ومن قبيل خرق العادة؛ لأنّ «كلّ إناء ينضح بما فيه».

ولو رأينا القرآن بصورته الواقعيّة لتبيّن لنا (تبصرنا) وتمييزنا [بين الأمور المتشابهة] أو عدمه، وكوننا ملتزمين بالقرآن والعترة أو غير ملتزمين بها، وهل العامة [واقعاً] ملتزمون بالقرآن ونحن ملتزمون بالعترة أم لا؟

شدة مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) رغم عظمة معاناتهم

حقاً إنّ أحداث العالم تدعو للاعتبار، إذ نجد أنّ أهل البيت(ع) [يتعرضون لهذه الأوضاع] مع ما هم عليه من المقامات والكمالات، فهم [من السموّ] بدرجة لا يقاس بهم جميع العالم...و الله يعلم مدى عظمتهم وما هي حقيقة أحوالهم. لكن مع هذا نجد مع الأسف أن الفرد العادي يعيش في هذه الدنيا أكثر منهم عزّةً.

إنّ أدنى رقم نقلته الروايات عن عدد أفراد الجيش الذي حارب سيد الشهداء(ع) هو ثلاثون ألفاً. وقد كان الإمام الحسين(ع) أولى بالحياة منهم جميعاً، فهل يكون صبرهم وحلمهم وتحمّلهم لكل هذه المصائب، مع كل تلك العظمة والجلال والعزة

---

(١) الرعد: ٣١.

(٢) النحل: ٨٩.

أمراً قابلاً للتحمل أو التعقل.

وحده النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لا يحق له أن يعيّن الخليفة من بعده

لماذا يحقّ لجميع الخلفاء والحكّام والسلاطين تعيين خلفاء من بعدهم، وقد فعلوا ذلك، كما أوصت عائشة الخليفة بقولها: «**لا تدع أُمّة محمد بلا راعٍ**»[1]. ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحقّ له تعيين خليفة بعده؟!

تواضع علي بن جعفر في مقابل الإمام الجواد (عليه السلام)

كان علي بن جعفر يتواضع للإمام عليه السلام مع أنّه يعتبر في عمر جد الإمام الجواد عليه السلام إضافة إلى أنّه كان عمّه أيضاً.

فكان يراعي معه شؤون الاحترام والأدب، وربما أخذ نعلي الإمام ليضعها قدامه حين يريد الخروج، وعندما اعتُرِض عليه قال: إنّ الله تعالى لم يرني أهلاً لهذا المقام[2] مع كبر سنّي[3].

من لوازم العمل بحديث الثقلين تقليد أهل البيت (عليهم السلام)

إنّ ثبوت حديث الثقلين قطعي، ومرجعنا ـ نحن المسلمين ـ بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو الثقلان (القرآن والعترة)، فعلينا جميعاً أن نأخذ فتوانا في الأحكام الشرعية من العترة، علينا جميعاً تقليد أهل البيت عليهم السلام، علينا أن نسأل العترة عليهم السلام عمّا نُبتلى به في أحكامنا (من الوضوء ونحوه وكيفيّة الصلاة والحج والصيام... الخ)، و إلاّ

---

(١) الإمامة والسياسة ٢٨/١ و٤٢، الغدير ٥/ ٣٦٢، ١٠/١٠.

(٢) مقام الإمامة.

(٣) راجع أصول الكافي ٣٢٢/١، بحار الأنوار ٢٦٦/٤٧، ٣٦/٥٠.

لم نكن عاملين بحديث الثقلين، ولا يهمنا كيف كان الصحابة، ولا أن نسيء القول في شيوخهم، فكلٌّ مسؤولٌ عن عمل نفسه أمام الله سبحانه، وصاحب العمل هو الذي سيحاكم على عمله، ولا علاقة له بالآخرين.

وبالجملة يجب علينا أن نحبّ من أحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وأن نعادي من يعاديهم.

القرآن صانع الأنبياء (عليهم السلام)

القرآن كتاب يصنع الأنبياء؛ لأنّ الأنبياء على نوعين:

النوع الأول: الأنبياء الذين تكون نبوّتهم بتعيين من الله تبارك وتعالى.

والنوع الثاني: الأنبياء الكماليون، وهم الأشخاص الذين ينالون كمالات الأنبياء بسبب الإيمان والعمل بالأوامر القرآنية.

وعلى هذا الأساس فالقرآن يربّي الأنبياء الكماليون ويصنعهم.

وبالطبع فإن من يمتلك الأهلية واللياقة يتعلم بإذن الله [وينتفع من كل أحد] حتى من الجدران والأبواب.

أما الفاقد للأهلية فلا يؤثر فيه أي كلام، كما لم يؤثر كلام النبي صلى الله عليه وآله في أبي جهل [وقد علم كل أحد] كم من الفتن أثارها بعد وفاة محمد صلى الله عليه وآله أشخاص تتلمذوا لديه وفي مدرسة القرآن الكريم.

سهولة حفظ القرآن ولزوم تكرار قراءة القرآن للحافظين

إنّ حفظ القرآن سهل جداً، ولا يحتاج أيضاً إلى التكرار: «سهّل الله حفظه لأمّته صلى الله عليه وآله» ولكنّ إبقاءه والمحافظة عليه يحاج إلى التكرار؛ لأنّه صلى الله عليه وآله قال: «**تعاهدوا**

هذا القرآن فإنّه وحشي»[١].

والمؤكد أن حافظ القرآن لو اقتصر على قراءة أقل من جزء يومياً فإنّه سيكون في معرض النسيان، بينما قراءة أكثر من جزء في اليوم فيه تعب.

الكرامات القرآنيّة

لو كنّا من أهل البصيرة لعرفنا قدر كلام الله تبارك وتعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾**[٢]، ولكننا آثرنا الجلوس هكذا وغلبت علينا أهواؤنا، فنحن نرى أمثال هذه الكرامات والمعجزات القرآنية مستحيلة كاستحالة الدور والتسلسل.

لقد التقيت شخصاً ـ ولم أكن أعرف أنّه صاحب هذه الكرامة، وإنّما اطلعت على ذلك بعد موته ـ وكان يرتّب بعض الآيات ـ ولم أعرف هل علّمه أحد ذلك أم كان يعرف ذلك بنفسه ـ بنحو معيّن ثم يطلب أي فاكهة يريد وإن لم يكن أو أن فصلها فتحضر له. حتى إنّ أحدهم قال: إن هذا الشخص قد أتى في إحدى المرات بخوخٍ في غير فصله.

إنّ أعظم النعم الإلهية والكتب السماوية والغيبية هو هذا القرآن، ولكن كيف علينا التعاطي معه لكي نتمكن من الانتفاع منه؟

---

(١) ميزان الحكمة ٣/٢٣ ٢٥، مستدرك الحاكم ١/٥٥٣، مجمع الزوائد ٧/١٦٩، المعجم الكبير للطبراني ١٠/١٣٧، كنز العمال ١/٦١٧، مجمع البيان ١/٣٦..

(٢) الرعد: ٣١.

أدنى المعرفة في معرفة الإمام (عليه السلام)

إن أدنى المعرفة كافية في معرفة الإمام‌عليه السلام والاعتقاد به، وهي أن نعتقد فقط أنّه إمام مفترض الطاعة ووصي النبيّ‌صلى الله عليه وآله، ولو لم نكن نعرف اسمه، أو لا نعرف مثلاً أنه هو الذي حارب معاوية أو مروان أو طلحة. وكذا لا يجب معرفة ترتيبهم، وأنّ هذا الإمام هل هو الرابع أو الخامس مثلاً. نسأل الله التوفيق للإتيان بما يريدون منّا إتيانه ولترك ما يريدون منا تركه.

الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) مرآة جمال الحقّ

يقول الله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، أي ادع الناس إلى الله تعالى باللطف وبأسلوب هادئ، بالحكمة والمنطق، أو بالموعظة الحسنة والكلام الطيب.

ويقول أيضاً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[2].

والنبيّ الأكرم‌صلى الله عليه وآله هو مَظهر صفة الرحمة الخاصة للحق تبارك وتعالى: فهو ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3]، وهو مرآة جمال الحق حيث ظهر فيه نور الرحمة وشع منه للآخرين، دون أن يكون ذلك له بالذات، فهو كالمرآة التي تعكس نور الشمس على الأشياء الأخرى، فالمنعكس في الحقيقة نور الشمس لا نور المرآة.

والله تبارك وتعالى يخاطب نبيّه قائلاً: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) التوبة: ١٢٨.

مُؤْمِنِينَ﴾(١).

ويقول أيضاً: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾(٢).

أي هل تريد أن تزهق نفسك من المشقة والتعب، فتقضي عليها من شدة رحمتك ورأفتك بالمؤمنين في سبيل هدايتهم وإرشادهم.

الاحتياط هو في اختيار مذهب الإمامية

إنّ الاختلاف بيننا وبين العامة في الفروع لا يستحق الذكر، ولا ينبغي أن يكون سبباً لإثارة النزاع، بل الاختلاف بيننا وبينهم هو في الأصول. ومع هذا كله فمودّة ذوي القربى أمر منصوص في القرآن بصراحة. ونحن نتبع القرآن، وعليه فكل من يعتقد بمودّة ذوي القربى ويتصف به، فنحن نقبله ونرتضيه، وكل من لا يودّ ذوي القربى فنحن لا نقبله ولا نرتضيه.

وعلى هذا الأساس فإنّ الاختلاف بيننا وبينهم في الإمامة يمكن حلّه بتحكيم القرآن. وأمّا في الفروع فقد اخترنا نحن مذهب أهل البيت عليهم السلام بدليل حديث الثقلين المتواتر، ويجب على العامة أيضاً الالتزام بهذا. وقد كان المرحوم الشيخ جواد البلاغي يقول: «الاحتياط للجاهل هو في اختيار مذهب الإمامية».

وفي الحقيقة فإن أهل البيت عليهم السلام قد بيّنوا لنا الاحتياط، وفتحوا طريق الاحتياط في سبيل إدراك الأحكام الواقعية.

(١) الشعراء: ٣.

(٢) فاطر: ٨.

استضيئوا من معدن النور

قال أحد الطّلاب: أريد التشرّف لزيارة الإمام الرضاعليه السلام في مدينة مشهد في شهر رمضان؟

فقال الأستاذ مدّ ظلّه: خير مشهدٍ تشهدون، واسعوا هناك أن تستضيئوا من معدن النور، واستخرجوا معدن النور.

بواسطة مجاهدة النفس نستفيد من القرآن والصلاة بنحو أفضل

يمكن الاستفادة من آية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1] بحسب الظاهر أنّ الهداية الإلهية وجهاد العبد لكل منهما مراتب ودرجات، وأنّ كل درجة من جهاد العبد وسعيه يتعقّبها درجة من الهداية الإلهية.

ومن موارد العمل بالوظيفة والتكليف أيضاً، أن نتلو القرآن على وجهه بأشكال المجاهدات [ومراتبها] بنحو نستفيد من كل تلاوة غير ما استفدناه من التلاوة السابقة وفي الصلاة أيضاً أن نستفيد في كل صلاة شيئاً آخر غير ما استفدناه سابقاً، لا أن نعيد للتكرار فقط، من غير زيادة أو نقيصة، بل إنّ الأمر بالنسبة لنا هو هكذا صورة لا سيرةً.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ أي لنفهّمهم الأمور التي في نفس القرآن والسنّة، لا الأمور التي في غيرهما، والدليل على ذلك أنّكم تفهمون شيئاً جديداً في كل مرّة تقرأونه وتتدّبرون فيه غير الشيء الذي تفهمونه في المرّة السابقة. والصلاة أيضاً كذلك، فإنّكم تفهمون منها في كلّ مرّة شيئاً، غير الذي كنتم فهمتوه من قبل، وإلاّ فإنّ الإنسان عندما يصلّي الصلاة الأولى، فإنّ بقية الصلوات تكرار لها، فهل أُمرنا بإتيان الصلاة دون أن نعرف لماذا أُمرنا

(١) العنكبوت:٦٩.

بها؟ وهل [المطلوب فقط] أن نكرر ما عرفناه وقرأناه مرّة أخرى، بل نعيده في اليوم والليلة خمس مرّات؟! إنّه لأمر عجيب! بل [إنّه تعالى] يريد إفهامكم أنّ في كلّ صلاة تأتون بها انتبهوا لتنالوا أمراً ولتفهموا شيئاً جديدا لم تكونوا قد فهمتموه في المرة السابقة، والأمر كذلك في تلاوة السور والآيات القرآنية أيضاً، أي أحصل في كل مرّة على شيء غير ما كنت قد حصلت عليه في المرة السابقة.

الصلوات تمحي الذنوب

ورد في كتاب جامع الأخبار ـ الذي وقع الاختلاف في اسم مؤلّفه ـ الرواية التالية: «**من صلّى عليَّ مرّة لم يبق من ذنوبه ذرّة**»[1].

سؤال: هل يمكن إثبات هذه الرواية ونتيجتها بأخبار «من بلغ»[2] ؟

الجواب: إنّ ثبوت الثواب في الصلاة على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله معلوم، ولا يُحتاج في إثباته إلى أخبار «مَن بلغ».

فضيلة قراءة القرآن وتلاوته في المنزل

ورد في إحدى الروايات: إنّ البيوت التي يُتلى فيها القرآن «**تضيء لأهل السماء كما يضيء النجم** [الكوكب الدريّ] **لأهل الأرض**»[3].

---

(١) جامع الأخبار: ٥٩، وراجع أيضاً: مستدرك الوسائل ٣٣٤/٥، بحار الأنوار ٦٣/٩١.

(٢) راجع: أصول الكافي ٦٧/٢، وسائل الشيعة ٨٠/١، بحار الأنوار ٢٥٦/٢.

(٣) قريب منه: أصول الكافي ٢١٠/٢، من لا يحضره الفقيه ٤٧٣/١، التهذيب ١٢٢/٢، وسائل الشيعة ١٢٢/٢، ٢٩٤/٨/٥، ١٥٨، بحار الأنوار ١٥٣/٨٤، إرشاد القلوب ٩٢/١، إعلام الدين: ٢٦٢، ثواب الأعمال: ٤٢ روضة الواعظين ٣٢١/٢، المقنعة: ١٢٠، وفي جميعها «**إنّ البيوت التي يصلّى فيها بالليل بتلاوة القرآن تضيء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض**».

وفي السابق كانت ترتفع من المنازل أصوات تلاوة القرآن، وقد جاء في حالات أصحاب سيد الشهداءعليه السلام في ليلة عاشوراء أنّهم كانوا «**لهم دويّ كدويّ النحل**»[(١)].

كما ورد أنّهم كانوا «**ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد**»[(٢)].

وجاء في خطبة همام [عن أمير المؤمنينعليه السلام] في عدّ صفات المتقين: «**أما الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن، يرتلونه ترتيلاً...**»[(٣)].

عجائب القرآن

جاء في رواية حول أوصاف القرآن: «**لا تفنى عجائبه**»[(٤)].

وكذلك ورد في الآية الشريفة: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾[(٥)].

وماذا بعد هذا التعبير؟! إن من يتتبع هذا المطلب من أنّ القرآن «تبيان كل شيء» يرى العجائب والغرائب، ولكن مع الأسف نحن ضعفاء، ونخاف إن تفألنا بالقرآن أن ينزل علينا البلاء! ولا نعلم أنّه إن لم ينزل علينا هذا البلاء، فسوف يحل بنا بلاء آخر أسوأ منه.

---

(١) بحار الأنوار ٣٩٣/٤٤، اللهوف: ٩١.

(٢) بحار الأنوار ٣٩٣/٤٤، اللهوف: ٩١.

(٣) لقد نقل الشيخ دام ظلّه عبارة خطبة همام بالمعنى وبتغيير ما، لكنّنا أثبتنا النص الدقيق لما قاله أمير المؤمنينعليه السلام في عدّ صفات المتقين بالرجوع إلى المصادر. راجع: وسائل الشيعة ١٧٢/٦، مستدرك الوسائل ٢٤٠/٤، بحار الأنوار٣١٥/٦٤و٣٤١، ١٩٤/٦٥، ٢٨/٧٥، أمالي الصدوق:٥٧٠، تحف العقول: ١٥٩ صفات الشيعة:١٨، كتاب سليم: ٨٤٩، كنز الفوائد ٩٠/١. وراجع أيضاً: بحار الأنوار ٧٣/٧٥، إعلام الدين:١٣٨.

(٤) بحار الأنوار ٢٨٤/٢، ٢٧/٨٩، الاحتجاج ٢٦١/١، إرشاد القلوب ٨/١، إعلام الدين: ١٠٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٨٨/١، غرر الحكم: ١١٠، ١١١، كشف اليقين: ١٨٩، نهج البلاغة: ٦١.

(٥) النحل: ٨٩

تعلم القرآن والعمل به.....

إنّ تكليفنا هو أن نسعى في تعليم القرآن وتعلّمه وتلاوته والعمل به. إنّنا نضع القرآن على رؤوسنا في ليالي الإحياء[١]، ولكنّنا في مقام العمل نضع آيات الحجاب والغيبة والكذب و﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[٢] و﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[٣] و﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾[٤] تحت أقدامنا.

واظبوا على زيارة الزهراء (عليها السلام)

قال أحدهم: قيل لي في عالم المنام: قل للناس أن يواظبوا على زيارة الزهراء عليها السلام من أجل رفع الصعوبات وحلّ المشاكل. شخصياً لم أفهم تفسير هذا المنام، اللهمّ إلاّ أن يقال: إنّ الزهراء عليها السلام قُتلت في سبيل الناس الذين هم في هذا العصر، وعلى هذا فإنّ البلاء يرتفع عمّن لم يُرد ذلك اليوم[٥] ولم يَرْضَ به؛ لأنّ زيارتها عليها السلام تكشف عن التولّي، وأنّه [هذا الزائر] لم يكن في ذلك اليوم موجوداً حتى يظهر ولاءه، فهو يواظب على التوسّل والدعاء والزيارة بهذا الاعتقاد، لذا يكون خارجاً عمن يشملهم البلاء.

مودّة أهل البيت (عليهم السلام) نافعة حتى للكفّار

إنّ مودّة ومحبّة أهل البيت عليهم السلام تنفع حتى الكافر أيضاً.

---

(١) في الدعاء المعروف لليالي القدر يتم فيه التوسل مع نشر القرآن على الرأس.

(٢) المطففين:١.

(٣) الإسراء: ٢٣.

(٤) الإسراء: ٣٧، لقمان: ١٨.

(٥) اليوم الذي وقع فيه الظلم على الزهراء عليها السلام.

وقد كُتبَ في أعلى الطاق الذهبي لضريح أمير المؤمنين عليه السلام: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أجتمع الناس على حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام لما خلق الله النار**»[1].

وجاء أيضاً في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**فاستزدتُهُ فزاد لي مُحبِّي المحبِّين**».

ومن المقطوع به أنّ الكافر المحبّ لعلي وأهل بيته عليهم السلام يختلف عن الكافر غير المحب في العذاب، وإن كان الكفّار [من ناحية استحقاق العذاب] يستحقّون العذاب والخلود في النار جميعاً، ولكن [هل يصل هذا الاستحقاق إلى مرحلة الفعلية والتحقيق بالنسبة للكافر المحبّ لعلي عليه السلام؟] وهل فعلية العذاب ثابتة للمحبّين أيضاً؟!

الشيعة أولاد فاطمة (عليها السلام)

إنّ جميع الشيعة بمنزلة أولاد فاطمة عليها السلام، ولكن الله يعلم ما هي الأعمال التي نرتكبها مما قد يسبب عدم رضاها عليها السلام عنّا وعن أعمالنا.

روحانية مخيّم سيد الشهداء (عليه السلام)

من الأمكنة ذات الصفاء والروحانية العالية مخيّم سيّد الشهداء عليه السلام في كربلاء فقد شُوهدت روحانية عالية في ساحته التي كانت تحيط بها العمارات سابقاً.

(١) راجع: بحار الأنوار ٢٤٨/٣٩و٢٤٩و٣٠٥، إرشاد القلوب ٢٣٤/٢، بشارة المصطفى: ٧٥، تأويل الآيات: ٤٨٦، العدد القوية:٢٠٢، عوالي اللآلي ٨٦/٤، كشف الغمة ٩٩/١، كشف اليقين: ٢٢٥، نهج الحق: ٢٥٩.

الأئمة (عليهم السلام) والشعر

الآية الكريمة: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾[١] خاصة بالنبيّ صلى الله عليه وآله لتفيد أنّ القرآن الذي جاء به ليس شعراً، وإلاّ فقد ورد عن الأئمة الأطهار عليهم السلام شعر في الجملة[٢]، وقد أنشد الإمام الحسين عليه السلام الشعر في بعض المواقع والمناسبات[٣].

مراعاة التوجّه في تلاوة القرآن

يقول أحد السادة من أهل تبريز وهو ممن حاز الكمالات العالية ـ ومن جملة كمالاته أنّه كان يقرأ في اليوم صفحة أو ورقة واحدة من القرآن ـ: لقد مَنّ الله تعالى عليَّ بنعمتين اثنتين: أولاهما: توفيق البكاء في عزاء سيّد الشهداء عليه السلام، والثانية: أنّني لم أقرأ القرآن بكسل.

وهذا في اعتقادي كلام جليل. فالقرآن الكريم عظيم إلى درجة يقول عنه الباري تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾[٤]، فهل من الصحيح، مع كل ما أولانا به الله تعالى من اهتمام، أن نتلو القرآن من غير حضور قلب وتدبّر؟! ونقرأه ـ نعوذ بالله ـ مثل قراءة من لا يؤمن بالقرآن، ونكتفي بمجرّد لقلقة اللسان؟! في حين قد جاء في الرواية: «أنا جليس من ذكرني»[٥]، القرآن نفسه يُسِّر للذكر، وجُعِل الذاكر بالقرآن

(١) يس: ٦٩.

(٢) انظر: وسائل الشيعة٧/٤٠٤ح ٩٦٩٦و٩٦٩٧، مستدرك الوسائل ٦/١٠٠ح٦٥٣١، وانظر أيضاً: وسائل الشيعة ١٤/٥٩٧ باب ١٠٥، مستدرك الوسائل ١٠/٣٨٧باب ٨٤.

(٣) انظر: اللهوف:٧٤، ٧٥، ٨١، ٩٨، ١١٩.

(٤) القمر: ١٧.

(٥) أصول الكافي ٢/٤٩٦، من لا يحضره الفقيه ١/٢٨، وسائل الشيعة ١/٣١١، ٧/١٤٩و ١٦٢.

ذاكراً له سبحانه ومتوجّهاً إليه، نظير شخصين يتحدّثان، فكلاهما يشاركان في الحديث. وهذا المطلب رفيع للغاية، فإذن نحن لا نقرأ القرآن [القراءة الحقيقية وإلاّ لظهرت آثار ذلك].

لقد توفرت لنا نعم بهذه العظمة، فلم يتوفرّ لأمّة [أخرى] من الأمم نعمٌ يكون لها مثل هذه الآثار والخواص.

زيارة أي واحد من المشاهد المشرّفة هي زيارة للجميع

أعتقد أنّ الإنسان في طوافه في أحد المشاهد المشرّفة يكون كمن قد زار جميع المشاهد في جميع الأماكن، وهو ينتفع بذلك؛ إذ إنّهم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] ولا يمكن قياسهم مع الآخرين، وبمقدورنا أينما كنّا التوسّل بأي واحد منهم، فقد ورد في زيارة سيّد الشهداء عليه السلام السلام على جميع الأئمة، بل والأنبياء عليهم السلام: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن أراد تخفيف حدّة عطش لقائهم في وجوده، فليتشرّف بزيارة مشاهدهم المشرّفة، فإنّها بمنزلة لقائهم ولقاء الإمام الغائب عجل الله فرجه، فهم في كل مكان حاضرون وناظرون، ومن يتوجّه إلى أحدهم يكون كمن توجّه لجميعهم وزارهم والتقى معهم.

بالإضافة إلى أنّهم قالوا: أصلحوا أنفسكم، وحينئذٍ سنأتي بأنفسنا إليكم، ولن تضطروا للمجيء إلينا عندئذ.

والطريق الآخر هو التوسّل بالقرآن، فهم شركاء القرآن، بل لهم عينيّة مع القرآن وإن كان أكثر المسلمين يعتقدون بالقرآن، لكن دون أن يعتقدوا بإمامة أهل البيت.

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

وطبعاً فإنّه ليس عجيباً أن يكون أكثر المسلمين على خطأ؛ لأننّا نعلم بأنّ أكثر متديني العالم مسيحيون، وهم يقولون ببطلان القرآن. وعلى هذا فالأكثرية ليست ميزان الأفضّليّة.

وفي التوسّل بالقرآن اطمئنان للنفوس أيضاً: «**النظر إلى المصحف عبادة**»[١].

كما يحصل هذا الاطمئنان النفسي والسكينة أيضاً لأولئك الذين تكتحل أبصارهم بالنظر إلى شمائل إمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف.

محبّة أهل البيت (عليهم السلام) أعظم العبادات والطاعات

سؤال: هنالك مجموعة من الروايات في الكافي مفادها أنّ محبّة أهل البيت عليهم السلام لا تنفع من دون عمل وعبودية لله عزّ وجلّ، وأنّه ليس لله تعالى قرابة مع أحد، وميزان القرب والبعد والثواب والعقاب هو طاعة الله أو معصيته[٢]، فكيف نفسّر هذه الروايات؟

الجواب: إنّ رؤية رواية واحدة من غير النظر إلى الأدلّة الأخرى مثل ذهاب المدعي وحده إلى القاضي من دون مدعى عليه أو شهود! ومحبة أهل البيت عليهم السلام وولايتهم بنفسه أحد الأعمال، وهو واجب، بل من أعظم الطاعات والواجبات إلى حدّ أنّهم عليهم السلام قالوا: «**لم يُنادَ بشيء كما نودي بالولاية**»[٣].

وطبعاً فإنّ الصلاة والصيام والزكاة والحج واجبات أيضاً، وكلّما كانت منزلة المحبّة أكبر كلّما كان أثرها في باقي الأعمال أكبر. وقد جاء في القرآن الشريف: ﴿إلاّ

(١) مستدرك الوسائل ٢٦٨/٤، بحار الأنوار ٢٠٤/١، كشف الغمة ٢٦٨/٢.

(٢) الكافي ٧٤/٢ ح٣، ١١/٨، وانظر أيضاً: الكافي ٣٠٠/٢، وسائل الشيعة ٩٣/١، بحار الأنوار ٢٩/٢، ١٧٩/٦٨، ٢٢٥/٦٩، الأمالي للطوسي: ٣٧٠.

(٣) الكافي ١٨/٢ و٢١، وسائل الشيعة ١٧/١، بحار الأنوار ٣٢٩/٦٥ و٣٣٢.

الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[١].

فلو كان هناك شيء آخر أكثر نفعاً للناس من مودّة أهل البيتعليهم السلام لذكره، ولكننا وللأسف نحب أهل البيتعليهم السلام ولسنا على نهجهم ومذهبهم، ولذا فنحن لا نصلّي مثلهم، ولا نحج مثلهم [ولا نقتدي بهم في سائر أعمالنا].... الخ.

إعجاز الأدعية الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)

إنّ المرتبة الأولى في الالتزام بسنخ أدعية أهل البيتعليهم السلام هي [شكل من أشكال] مجالستهم والأنس بهم. والويل لنا إذا سخرنا من هذا الكلام. والأدعية المأثورة كافية وحدها في إثبات صدق حديثهم وأحقّية منهجهم ومسلكهم. فكلماتهم هي «دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق». ولو جُمعت أنواع كلماتهم (خطاباتهم، خطبهم دعواتهم) فكل واحد منها كافٍ في إثبات أحقِيتهم وأحقِية مذهبهم ونهجهم.

جواب «حسبنا كتاب الله»

نقول في جواب العامّة الذين قالوا: «حسبنا كتاب الله» وتركوا العترة جانباً: ألا توجد في قرآنكم هذه الآية الشريفة: **﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**[٢]، والآية الشريفة: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾**[٣]؟!

ثم أليست توجد في قرآنكم أيضاً الآية الشريفة: **﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى**

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الشورى:٢٣.

(٣) الحشر: ٧.

تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[١].

اللهمّ إلاّ إذا غطّيتم أعينكم بأيديكم فلم تميزوا الحقّ من الباطل عندئذ. وإذا صحّ قول القائل «حسبنا كتاب الله» فإنّ أهل البيت والعترة هم شيء واحد معٍ كتاب الله بدليل نفس كتاب الله.

نعم، لقد ذهب الحق بمقولة «حسبنا كتاب الله»، وإنّ هذه الكلمة حسنة [عندهم] حيث لا تضر بأعمالهم وتصرفاتهم، فإذا كانت نتيجة عملهم حسنة فهو المطلوب، أما إن كانت سيئة فإنّهم يقولون: لا علم لنا بالغيب..

لماذا لم تقم [منذ البداية] بالعمل [الواضح] الذي ليس فيه إذا وإذا؟!

المعجزة الخالدة

إنّ من مختصّات الإسلام هو امتلاكه معجزة خالدة وهي القرآن، فهي موجودة في كل زمان ومكان، وفي متناول الجميع. بخلاف معجزة موسى عليه السلام ومعجزة عيسى عليه السلام التي جرت على أيديهما فقط، وفي عصرهما دون باقي العصور، وليست هي الآن في متناول أيدي أتباعهما.

السيد بحر العلوم (رحمه الله) وقاضي مكة

دخل المرحوم السيّد بحر العلوم في مكّة مكتبة أحد القضاة السنّة وقال له: ما الذي تحتويه هذه المكتبة من كتب؟ فأجابه: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ﴾[٢].

فسأله السيد: هل يوجد عندكم الكتاب الفلاني؟ فقال: لا. وهكذا كرّر الطلب إلى

(١) الحجرات:٩.

(٢) الزخرف: ٧١.

سبعة كتب ليردّ على كلامه [في ادعائه إحاطة مكتبته] وصاحب المكتبة يقول له: لا يوجد عندي، ثم طلب منه كتاباً فجاءه به.

فأخذ السيّد الكتاب وقلّب عدّة أوراق ثم وضع علامة، ثم قلّب أوراقاً أُخرى ووضع علامة أُخرى، وهكذا إلى آخر الكتاب وكأنّه كان يحيط علماً بجميع محتويات الكتاب.

وعندما ذهب السيّد فتح ذلك الشخص الكتاب، وقرأ الأوراق التي وضع السيّد علاماته عليها، فوجد فيها الروايات والنصوص التي تدل على خلافة الإمام علي عليه السلام [للنبي صلى الله عليه وآله مباشرة].

وكانت النتيجة أنه عندما أدركت الوفاة ذلك القاضي السنّي أوصى أن يغسّله السيّد بحر العلوم رحمه الله، مما يعني أنّه يريد أن يغسَّل على مذهب السيد ومسلكه، ومن هنا يعلم أنّه كان قد استبصر واعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام.

الإمام الجواد (عليه السلام) قتيل العلم والمعرفة

لقد قُتِل الإمام الجواد عليه السلام في سبيل العلم؛ لأنّه لو [لم يعلن علمه] وقال: لست عالماً، لتركوه وشأنه، وهو لم يكن مستعدّاً لإظهار علمه تقية، ولكنّهم أجبروه على إظهاره وإجابة مسائلهم، فكان نفس إظهاره العلم والفضل سبباً في حسدهم له وحقدهم عليه وعداوتهم له، مما انتهى أخيراً بقتله عليه السلام. وفي الحقيقة لقد قتلوا العلم والفضل بقتله.

ابن حنبل وامتناعه عن لعن يزيد

لقد كان ابن حنبل يتكلّف شدة التقدس والاحتياط، ولذا لم يرتضِ يزيد بسبب

واقعة الحرّة[1]، ولكنّه لم يعلم بأنّ هذه القضية [واقعة الحرة] كانت نتيجة لمقتل سيّد الشهداءعليه السلام؛ ولذا [عندما] سأله ولده: «أتلعنه؟» قال في جوابه: «وهل رأيت أباك يلعن أحداً؟!»

وهذا مع أنّ الله سبحانه يلعن الظالمين في القرآن في مواضع عديدة! فهل تعلم أنّ يزيد كان ظالماً أم لا؟ [إذا كنت] تقول: لا أدري أنّه ظالم؛ فهذا يعني أنّ واقعة الحرّة كان فيها مصلحة أيضاً!

آثار الكوثر

يقال: إنّ جميع أبناء الأئمة المدفونين في قم هم من الشيعة الاثني عشرية، بينما يمكن أن يكون أبناء الأئمة المدفونون في أماكن أخرى من الزيدية أو ممن لا يقول بالإمامة، وإن كنّا مكلّفين باحترام الجميع لانتسابهم إلى الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله، ولذا حجب الإمام العسكريعليه السلام شخصاً عن لقائه بسبب عدم احترامه لأحد أبناء الأئمة، مع أنّه كان مقصّراً في حق إمام زمانه، وقال له: إنّ هذا الكلام لا يليق بك.

إنّ إحدى كرامات الشيعة هي قبور ومزارات أبناء الأئمة، ولهذا لا ينبغي الغفلة عن زيارتهم فنحرم أنفسنا باختيارنا. لاحظوا إلى أيّ حدّ وصل تأثير الكوثر! أينما أطلقت بصرك وجدت أثراً باقياً لها! إنّ بعض الأشخاص ينذرون للسيّدة نفيسة المدفونة في مصر، ويتوصلون إلى قضاء حوائجهم بذلك.

---

(١) عندما ثار أهل المدينة على يزيد لعنه الله وجّه إليهم مسلم بن عقبة فقتل جمعاً كبيراً، منهم سبعمائة من المهاجرين والأنصار وقراء القرآن، ثم استباح المدينة ثلاثة أيام قتلاً ونهباً وانتهاكاً. ويقال: إنه ولدت ألف امرأة تلك السنة أطفالاً لم يُعرف آباؤهم ثم أخذ البيعة ممن بقي منهم على أنهم عبيد رقّ ليزيد. وعرفت هذه الواقعة بواقعة الحرة نسبة إلى المكان الذي وقعت فيه المعركة، وهي أرض قرب المدينة تسمى الحرة.

محمد بن الحنفية قتيل العلم والمعرفة

الله يعلم مقدار ابتعاد الناس عن العلم والنور والأمور المعنوية. عندما تكلّم محمد بن الحنفيّة في مجلس سليمان بن عبد الملك، وكشف عن بعض مكنون علمه، رأى سليمان أنّ ابن الحنفية من الكاملين وصاحب علم كثير، ووجوده ضار بالنسبة للخليفة ومن الممكن أن يلتفّ الناس حوله، ولهذا أرسل خلفه من يسقيه السمّ بمجرّد خروجه من المجلس. والسبب هو أنه كان عالماً! فلو لم يكن عالماً من أهل الكمال بل كان جاهلاً لما تعرضوا له بشيء.

وجوب إحياء آثار أهل البيت (عليهم السلام) وعلماء الدين

جاء في كتاب الخلاصة للعلاّمة الحلّي رحمه الله أنّه كتب كتاباً في شرح الأخبار شرح فيه جميع الأخبار، فهل وُفّق تلاميذه لاستنساخ هذا الكتاب؟ وهل العلاّمة ممن يصح أن لا يُعتنى بكتبه؟! لقد تلفت بعض آثارنا الحيوية والأساسية والبعض الآخر في طريقه إلى التلف. وذلك في الوقت الذي نرى فيه كتب الضلال تُنشر بطباعة أنيقة وتصل إلى المشتري بأسعار رخيصة.

نسألك اللّهمّ أن تكرمنا بتوفيق إحياء ونشر آثار أهل البيت عليهم السلام وعلماء الدين وليس للتوفيق علاقة بالثروة ورأس المال، فكم من أصحاب الأموال محرومون من مثل هذه التوفيقات.

سعة رحمة أهل البيت

لقد قام ابن زيد الشهيد سلام الله عليه بإنقاذ ابن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك من الموت، مع أنّ ابن هشام من بني مروان، وهم الذين قتلوا زيداً رحمه الله، ومع كل

ذلك فقد قال له [معللاً إنقاذه إياه وحمايته له]: لست أنت من قتل أبي!

الله يعلم عظم سعة رحمة أهل البيتعليهم السلام، فرحمتهم تبع للرحمة الإلهية الواسعة! ومع هذا فإنّ مخالفيهم غير مستعدّين للسماح لهم حتى بمجرد بيان الحلال والحرام.

وعندما وصل خبر استشهاد يحيى بن زيد سلام الله عليهما إلى الإمام الصادقعليه السلام حزن جداً وبكى عليه وقال: رحم الله ابن عمّي يحيى وألحقه بآبائه وأجداده.

مضايف زوّار كربلاء

تنتشر المضايف في العراق عندما نخرج من المدن في وسط الطرق والقرى الواقعة على المفترقات، حيث تمتّد المضايف بين كل فرسخ أو فرسخين.

ويأتي أصحاب هذه المضايف ليقفوا في طريق الزوّار والمسافرين ويدعوهم للمضيف، ولا يدعونهم يتحركون من أماكنهم ما لم يتناولوا وجبة طعام من غداء أو عشاء.

وكان كل شيخ من شيوخ قبائل العرب يقيم مضيفاً له صغيراً أو كبيراً بحسب قدرته واستطاعته، يقول أحد الأشخاص: كان لعمّي مضيف في العشّار و البصرة، وكان يحتفظ في المضيف بمائة «طغار» من الرز ـ بحسب الوزن المتداول عندهم ـ لإطعام الزوّار، وإذا لم يتيسر لديه في بعض السنين سوى ثمانين طغاراً مثلاً فقد كان يقترض عشرين طغاراً أخرى لتتم المائة لديه.

فلو كانت تتم مساعدة الفقراء بهذا النحو في جميع بلاد المسلمين، فهل كانت دعاية الشيوعيين في الدفاع عن طبقة الفقراء والعمال ستجد لها مجالاً مفتوحاً في الدول الإسلامية وبلاد المسلمين؟! إنّهم يريدون السيطرة على أموال الأغنياء بحجّة نصرة الطبقة الفقيرة، وقد حدث هذا وسيطروا بالفعل على أموالهم.

مقام السيدة المعصومة (عليها السلام)

ليست السيّدة المعصومة عليها السلام مثل الأولاد العاديين الآخرين للأئمة [الذين لا يمتلكون ميزة خاصة] لكي نقتصر عند زيارتها على تلاوة الزيارة المطلقة الواردة عند زيارة أولاد المعصومين، بل لها زيارة خاصة، فقد وردت الرواية أنّ: «**من زارها وجبت له الجنّة**»[1]، وهذه كلمة عظيمة جداً.

نقل أنّه عندما كان الإمام الكاظم عليه السلام في المدينة جاءه شخص في مسألة ولم يكن عليه السلام حينها في الدار، وكانت السيدة المعصومة طفلة في وقتها، فطلبت من السائل أن يكتب **سؤاله** وأجابت هي عنه. وعندما رجع الإمام عليه السلام إلى الدار قصّت له أمّها ما جرى، فقال عليه السلام: «**بأبي هي وأمي حكمت بما حكم الله**».

إنّ هؤلاء لم يكونوا أشخاصاً عاديين، والله يعلم ما هي [عظمة] شخصيات هذه العائلة، وقد ذكرت لهم جميع هذه الكرامات. إذن ماذا يقول أولئك الذين [لا يعتقدون بهذه الكرامات] ويرون أنّ أمثال هذه الكرامات حتى للنبيّ صلى الله عليه وآله هي مجرّد خرافات لا أكثر! أو ماذا سيقول ذلك الشخص الذي كان يقول ـ نعوذ بالله ـ: «عصاي خير من محمد!» أو ماذا سيقول ذلك الحارس الذي يقف إلى جانب ضريح النبي صلى الله عليه وآله ويقول للناس: قبّلوا يدي بدل تقبيل الضريح!

الحبيب الذي اشتاق إلى لقاء حبيبه

ورد حول علي الأكبر عليه السلام أن الإمام الحسين عليه السلام قال لأمه ليلى في لحظة وداعه ليذهب إلى ساحة القتال: «**دعيه فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه!**»

---

(١) بحار الأنوار ٣١٧/٤٨، ٢٦٧/٩٩.

كما نقرأ في بعض الأدعية خطاباً لحضرة الحقّ تبارك وتعالى: «يا حبيب من لا حبيب له»[(١)].

صلاة أبي بكر وتناقض روايات عائشة حولها

هل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر بإمامة الصلاة بدله، وعيّنه كنائب له، ثم عاد فاتجه بنفسه إلى المسجد؟ أم لم يكن ثمّة أمر أصلاً، وأنّه إنّما كان مجيء أبي بكر للصلاة من عند نفسه؟

لقد نقلت عائشة هذه الواقعة بثلاثة أنحاء:

١ـ كل الناس اقتدوا بأبي بكر، واقتدى أبو بكر بالنبيّ صلى الله عليه وآله[(٢)].

٢ـ كل الناس اقتدوا بالنبيّ صلى الله عليه وآله بما فيهم أبي بكر[(٣)].

٣ـ كل الناس اقتدوا بأبي بكر بما فيهم النبيّ صلى الله عليه وآله[(٤)].

فسألوها: إنّ هذه النقولات مختلفة فيما بينها، ولا يمكن أن تكون هذه الواقعة قد حدثت بأنحاء ثلاثة!

فقالت: وما يدريني، فبعضهم نقل القضية بهذا النحو، وبعضهم نقلها بنحو آخر وبعض نقلها بنحو ثالث[(٥)].

نعم هذا قول سيّدة أهل الرواية في خصوص واقعة واحدة ظاهرة ومحسوسة.

---

(١) بحار الأنوار ٣٩١/٩١، البلد الأمين:٤٠٧، مصباح الكفعمي: ٢٥٤، ٣٥١، المقام الأسنى: ٨٩.

(٢) صحيح البخاري ١٦٢/١، ١٦٧، ١٧٥، السنن الكبرى للبيهقي ٨١/٢، ٣٠٤.

(٣) راجع صحيح البخاري ١٦٧/١، ١٧٤، السنن الكبرى للبيهقي ٩٤/٣.

(٤) راجع صحيح البخاري ١٢٢/٤، سنن ابن ماجة ٣٩٠/١، ١٥٢/٨، فتح الباري ١٣٠/٢.

(٥) راجع فتح الباري ١٣٠/٢.

نقد رواية العامة عن أبي طالب (عليه السلام)

أُوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بعد وفاة أبي طالب وخديجة عليهما السلام أنّ [أُخرج إذ] لا ناصر لك في مكّة[١]. وقد اضطرّ أبو طالب عليه السلام لكتمان إسلامه عن الآخرين من أجل حفظ حياة النبيّ صلى الله عليه وآله[٢]. والعامّة لا يعتقدون بإسلام أبي طالب، بينما إسلام عمرو بن العاص مقبولٌ عندهم مع كل سوابقه ولواحقه.

كثرة الكرامات في المشاهد المشرّفة وقبور أولاد الأئمة (عليهم السلام)

إذا أراد شخص أن يجمع الكرامات التي وقعت في المشاهد المشرّفة وقبور أولاد الأئمة في عصره لاستطاع أن يؤلّف في ذلك كتاباً.

مداراة أمير المؤمنين وسيّد الشهداء عليهما السلام لأعدائهم

عندما سيطر جيش معاوية في معركة صفين على الماء منعوا علياً عليه السلام وأصحابه منه، ولكن عندما سيطر عليّ عليه السلام وأصحابه على الماء لم يمنع معاوية وأصحابه منه[٣] فهل شُوهد أو سُمِعَ مَن يعطي الماء لأعدائه في ساحة المعركة؟!

في الحرب العالمية الأولى، وفي عهد الحكومة القيصرية في روسيا لم يكن يرجع أي من الجنود الذين أُرسلوا إلى القتال مع ألمانيا.

وفي إحدى المرّات، وعندما كان القطار غاصاً بالشباب الذين يرسلون إلى ساحات الحرب مع ألمانيا نامت أمهات الجنود على السكة الحديدية لمنع حركة القطار، فجاء

---

(١) أصول الكافي ٤٤٩/١، بحار الأنوار ١٤/١٩، ١٣٧/٣٥، إيمان أبي طالب: ٨٣.

(٢) راجع وسائل الشيعة ٢٣١/١٦، بحار الأنوار ١١٤/٣٥، إيمان أبي طالب: ١١٩.

(٣) شرح نهج البلاغة ٣١٩/٣، بحار الأنوار ٤٣٨/٣٢، وقعة صفين: ١٦٢.

الأمر من موسكو بدهس الأمهات وعبور القطار على أجسادهن.

ومن المتعارف في الحرب وحين الهجوم أن يضعوا الحراس حذراً من هرب الجنود من المعركة، ولكن الإمام الحسين عليه السلام قال لأصحابه في ليلة عاشوراء: «**أنتم في حلٍّ من بيعتي**»[١]، وهؤلاء القوم لا يريدون غيري، ومن أراد الذهاب فليذهب.

لقد كان عدد جيش الحسين عليه السلام في ليلة عاشوراء ألف مقاتل تقريباً، فانسلّوا في ليلة عاشوراء كل عشرة عشرة، بعضهم ودّع الإمام الحسين عليه السلام وبعضهم لم يودّع وابتعدوا عن ساحة القتال، وذهبوا في حال سبيلهم[٢].

كما أمر الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل عليه السلام أيضا بأن يتعامل مع أصحابه بالرأفة، ولعلّ هذا كان هو السبب في قتل مسلم واستشهاده، لأنّه لم يؤذن له بالحرب وإلاّ فإنّه لم يكن في دار الإمارة ومقر ابن زياد أكثر من عشرين شخصاً، وكان مسلم قادراً على محاصرتهم.

اختلاف المسح مع الغسل

ذهب مجموعة من علماء الشيعة من إيران لمناظرة علماء مكة والمدينة، ولدى دخولهم بادرهم أولئك بالقول: كيف نناظر من لا يفرّق بين المسح والغسل؟

ونقول: ومن أين نعلم أنّكم أنتم فرقتم بين الغسل والمسح؟! فأبو داود نقل في سننه[٣] رواية حول الوضوء تطابق وضوء الإمامية.

---

(١) بحار الأنوار ١١/١٤٩، ٤٤/٣١٥، ٤٥/٩٠، أمالي الصدوق: ١٥٤، قصص الأنبياء: ٣٦.

(٢) يمكن الاستفادة من بعض العبارات الواردة في المصادر أعلاه أنّ جيش الإمام الحسين عليه السلام قد فارقه ليلة عاشوراء: «**فأمّا عسكره ففارقوه، وأمّا أهله الأدنون فأبوا وقالوا لا نفارقك**».

(٣) انظر: سنن أبي داود ١/٣٣ح ١١٢ـ ١١٥.

الخليل بن أحمد وكلامه حول أمير المؤمنين (عليه السلام)

سُئل الخليل بن أحمد[١] ـ وهو من الأشخاص المقبولين عند الشيعة والسنّة ـ وكان من الشيعة المخلصين لأمير المؤمنين عليه السلام، وأنا على يقين أنّه كان من الشيعة، رضوان الله تعالى عليه: ما الدليل على أنّ علياً عليه السلام إمام الكل في الكل؟

فقال في الجواب: «افتقار الكُلِ إليه في الكُلّ، استغناؤه عن الكلّ في الكلِ، ودليل على أنّه إمام الكلّ في الكلِ»[٢].

العلاقة الاستثنائية لبعض الأصحاب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين (عليه السلام)

يمكن القول أنّ من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من كان يحمل تجاه النبي صلى الله عليه وآله محبة وارتباطاً غير عاديين، فمثلاً عندما وصل أبو ذر رضوان الله تعالى عليه إلى الماء في الصحراء قال: لا أشرب ما لم يشرب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك يُلاحظ بين أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من كانت له علاقة استثنائية مع صاحب الولاية، ممّن بقوا معه على خط الاستقامة إلى آخر لحظات الموت والشهادة، من أمثال ميثم التمار رضوان الله تعالى عليه.

عناية الإمام الرضا (عليه السلام) بزوّاره

لقد شُوهد وسُمِعَ عن أشخاص في المشاهد المشرفة عندما يسلّمون على الإمام صاحب الضريح يسمعون جواب سلامهم.

---

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (؟ـ١٧٥) أحد أئمة اللغة والنحو، صاحب كتاب «العني».

(٢) مقدّمة كتاب ترتيب العين: ٢٨ بتفاوت يسير.

قال شخص: في كل وقت أذهب فيه إلى مشهد لزيارة الإمام الرضا عليه السلام (ولعلّه لا يزور إلاّ مرة واحدة في السنة) وفي كل مرة في الزيارة الأولى، وبالرغم من ازدحام الناس حول الضريح، فإن الطريق ينفتح أمامي إلى الضريح وأقترب إليه وأزوره، وكان الإمام الرضا عليه السلام يعطيني نفقات زيارتي ومقداراً إضافياً من المال لشراء الهدايا أيضاً.

وفي البيت الذي كنّا فيه في مشهد كانت هناك امرأة علوية من الذرية الطاهرة تقول: في كل مرة أذهب فيها لزيارة الحرم ينفتح أمامي الطريق لاستلام الضريح.

كيفية تصرّف أمير المؤمنين (عليه السلام) ومعاوية في بيت المال

يمكننا أن نعلم أحقّيّتهم أو عدم أحقّيّتهم (الخلفاء والصحابة) من طريقة عملهم كتصرّف أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية في بيت المال مثلاً فإنّ أسلوب معاوية في التصرّف وتقسيم بيت المال كان عجيباً إلى حدّ أنّ ابن الزبير كتب إلى عبد الله بن عمر يقول له: «إنّ معاوية قد استأثر ببيت المال» فحتى ابن الزبير على ما هو عليه لم يرض أن يكون كمعاوية أو يزيد في التصرّف ببيت المال.

ولعلّ هناك سراً في تقسيم أمير المؤمنين عليه السلام أموال بيت المال بالسوية؛ لأنّه لو كان يعمل وفقاً لما تقتضية المصلحة، فإنّ الآخرين سيسيئون استغلال ذلك حين متابعته ولهذا كان عليه السلام يكنس بيت المال ثم يصلّي فيه، وكان أحياناً يقسم ما في بيت المال أسبوعياً بدلاً من القيام بذلك شهرياً[1].

وحينما سُئل عن ذلك وقالوا له: لقد أعطيتنا قبل أيام، قال عليه السلام: لستُ خازناً لأموالكم، فكان إذا وصل المال إلى مقدار يكفي لأحياء الكوفة السبعة يقوم بتوزيعه

(١) بناء المقالة: ٢٣٠، وراجع أيضاً وسائل الشيعة ١٠٩/٥، بحار الأنوار ٣٨٣/٨٨، الغارات ٣٣/١.

ولا يحتفظ به!

فهذه هي طريقة أمير المؤمنين عليه السلام في التصرّف ببيت المال.

وأمّا نحن فإذا قنعنا باجتناب الحرام واكتفينا بالحلال، وفرقنا في أعمالنا بين الحلال والحرام، ولم نكن أسخياء مثل معاوية، فنعطي مثلاً مائة ألف إلى الأعزة ومن يهمنا أمره، بينما نحرم الآخرين، فهذا حسن بالنسبة لنا.

اعتراف العامّة بوفاة الزهراء (عليها السلام) غاضبة على الشيخين

يعترف العامّة بأنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت غير راضية عن الشيخين حين وفاتها فقد جاء في صحيح البخاري: «فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتى توفيت»[(١)].

وقد جاء كذلك في رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله نقلها البخاري في صحيحه أنّه قال: «**إنّ فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني**»[(٢)].

إنّ علينا أن نفكّر في كتابة كتاب حول الاعتقادات الحقّة التي نعتقد بها، ونعمل على أساسها، ونتمسك بها بثبات ويقين، حتى لو تخلى عنها جميع الناس.

حول فدك

السؤال: هل يمكن الاستفادة من جملة «**كانت بأيدينا فدك**»[(٣)] أنّ يد أهل

(١) صحيح البخاري ٨٢/٥، وراجع أيضاً ٣/٨.

(٢) صحيح البخاري ٢١٠/٤و٢١٩.

(٣) نهج البلاغة: ٤١٦، بحار الأنوار: ٢٩ / ٣٥٠ و ٦٢٢، ٣٣ / ٤٧٣، ٤٠ / ٣٤٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦ / ٢٠٨.

البيت عليهم السلام كانت أمارة على ملكيتها؟

الجواب: المستفاد من هذه الجملة أنّ يد الطرف المقابل هي يد عدوانية، وأنهم قد أخذوها عنوة من أهل البيت عليهم السلام، وأما ملكيتهم لفدك فيمكن إثباتها من مكان آخر وفي أدلة أخرى.

بالإضافة إلى أن كون فدك كانت في يد أهل البيت عليهم السلام هو محلّ اتفاق الفريقين فهل يجب أن نسأل أهل التوراة والإنجيل هل ورّث الأنبياء عليهم السلام أم لا؟

ومع هذا فإنّ العامة يقولون: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إنا معاشر الأنبياء لا نورّث**»[1] أي أنّ جميع الأنبياء كانوا لا يورّثون، لا خصوص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومع أنّ المسلمين والكفار متفقون على أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أعلم من الجميع، وقد أمر بنفسه باحترام المعاهدات والعمل بها، وأوصى بأداء حقوق الناس وديونهم [فلو لم تكن فدك ملكاً له] فهل يمكن أن يترك أمر فدك ولا يبين لذريته أنها ليست من ماله وإنما هي لبيت المال، هل كان يمكن أن يسكت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك ويترك أهل بيته حطباً لجهنم؟!

تأكيد الزهراء (عليها السلام) على دفنها ليلاً و...

إنّ علّة تأكيد الزهراء عليها السلام في وصيّتها المهمة لعلي عليه السلام: «**ادفنّي ليلاً**»[2] وإنّي غير راضية أن يحضر تشييع جنازتي من ظلمني، فإن كنت لا تقدر على ذلك أوصيت إلى الزبير؛ لأنّه من أقربائي أيضاً، و يمكنه القيام بذلك. علة ذلك كلّه هو أنها أرادت إظهار

---

(١) فتح الباري لابن حجر: ٦/١٢، عون المعبود للعظيم آبادي: ١٣٥/٨، وراجع: شرح نهج البلاغة: ٢١٤/١٦ فيض القدير: ١٦٦/٢، تفسير القرطبي: ٨١/١١، تفسير ابن كثير: ١١٧/٣ و ٣٧٠.

(٢) مستدرك الوسائل ٢٩٠/٢و٣٠٥، بحار الأنوار ١٧٩/٤٣، ١٨٥/١٠٠.

عدم رضاها عن الجهاز الحاكم، ورفضها له، وأن تعلن صرخة مخالفتها لهم ليبقى صداها مدوّياً إلى يوم القيامة.

وهي تبيّن مدى الظلم الذي وقع عليها، وثانياً إحراق الثاني لباب بيتها بالنار مع أنّهم قالوا له: «إنّ فيها فاطمة!» فقال: «وإن»[١].

وصية الزهراء (عليها السلام) بدفنها ليلاً

إنّ إيصاء الزهراء عليها السلام عند احتضارها مع كل تلك المظلوميّة بأن تدفن ليلاً[٢] تصرف عجيب نظير أعمال الأنبياء عليهم السلام؛ لأنّه عمل يصدر ممن نُوزِع وغُلِب وقُتِل واستشهد، ورأى جميع هذه الابتلاءات. ومع هذه الحال، يجد طريقاً لِيَظهَر بمظهر المنتصر، وإراءة الآخرين نصره.

فوصيتها عليها السلام بأن تدفن ليلاً بلا تشييع عمل يشبه عمل الأنبياء ومعاجزهم، وهو طريق يعجز فكر البشر عن فهمه.

ولو خطر ببال الحكومة والخلافة أنّ الزهراء عليها السلام ستقدم على عملٍ كهذا، لدخلت دارها ومنعت من هذا التدبير.

لكن بعد الدفن لم يتبق لديها غير نبش قبرها عليها السلام، وهذا ممّا سيمنعهم منه أمير المؤمنين عليه السلام، وعليه فلن يكون بمقدورهم القيام بشيء.

---

(١) بحار الأنوار ٣٥٦/٢٨.

(٢) بحار الأنوار ١٩٢/٤٩، إقبال الأعمال: ٦٢٣، عيون أخبار الرضا١٨٧/٢، نهج الحقّ: ٢٧٠، مسالة حول حديث«نحن معاشر الأنبياء لا نورّث»:٢٨.

مدّة حياة الزهراء بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)

نقل أبو الفرج الأصفهاني ـ الذي كان زيدي المذهب ـ في كتابه مقاتل الطالبيين أقوالاً مختلفة في وفاة فاطمة الزهراءعليها السلام، آخرها أنّها توفيت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بستة أشهر، وأولها أنّها توفيت بعده بأربعين يوماً، أي في الثامن من ربيع الثاني تقريباً[1]. وذهب إلى ذلك أيضاً المرحوم الشربياني[2].

وكأنّه كما ظل قبر الزهراءعليها السلام مجهولاً، فكذلك زمان وفاتها يجب أن يبقى مجهولاً. وطبعاً من المحتمل أن تكون علّة مجهولية زمان وفاتها هي عدم تصدّي أهل العلم والدقة لتدوين الوقائع التاريخية، لهذا وقع الاختلاف أيضاً بين الشيعة والسنّة في تاريخ ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعلى كل حال فقد اختلف في مدّة حياة الصدّيقة الطاهرةعليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، هل كان ٤٥ يوماً أو ٧٥ يوماً أو ٩٥ يوماً.

وكتب المرحوم النوري: إنّ شبهاً كبيراً بين ٧٥و٩٥ في رسم الخط الكوفي، لهذا فإنّ رواية إلى «٧٥» يوماً[3] قابلة للجمع والتطابق مع رواية ٣ جمادي الآخرة[4] والمراد فيها رواية الـ«٩٥» يوماً نفسها.

أضف إلى ذلك أنّه من البعيد أن يقع الخطأ في عبارة ٣ جمادى الآخرة، ولعلّ

---

(١) راجع حول هذا الموضوع من مصادر الخاصة: الذكرى:٧٣، الحبل المتين:٧٦، كشف الغطاء ١٢/١، بصائر الدرجات: ١٧٣، أصول الكافي ٢٤١/١و٤٥٨، الكافي٢٢٨/٣، وراجع من مصادر العامة: فتح الباري ٣٧٨/٨، الطبقات الكبرى ٢٨/٨، تاريخ مدينة دمشق ١٥٩/٣.

(٢) أحد الآيات العظام من علماء السلف في النجف الأشرف.

(٣) راجع: بحار الأنوار ٩/٤٣، دلائل الإمامة ٩و٤٥، وانظر أيضاً: المناقب لابن شهر آشوب ٣٥٦/٣.

(٤) راجع: بحار الأنوار ٩/٤٣و١٧٠، دلائل الإمامة: ٩و٤٥، وانظر أيضاً: المناقب لابن شهر أشوب ٣٥٦/٣.

الزهراءعليها السلام كانت هذه المدّة (الفترة الزمنية بين ٧٥-٩٥) على فراش المرض، أو أنّ الراوي نقلها خطأً وكتب العدد ٧٥ بدل العدد٩٥، بينما لا يتصوّر الخطأ مطلقاً في ٣ جمادى الثاني.

وعلى كل حال، فإنّ المرحوم الميرزا حسين النائيني كان يرجّح رواية الـ«٩٥» يوماً أيضاً، وكان يعقد مجالس العزاء في ٣ جمادى الآخرة، بينما كان السيّد أبو الحسن الأصفهاني يعقد مجالس العزاء في الفاطمية الأولى، أي طبقاً لرواية الـ«٧٥» يوماً.

وكانت بعض بيوت مراجع النجف وعلمائها، ومنها بيت السيّد بحر العلوم، تعقد مجالس العزاء في أيام الفاطمية لمدّة عشرة أيام كعشرة محرم.

مقام ومنزلة الزهراء (عليها السلام) والأمور المختصّة بها

مع أنّ الروايات الواردة عن الزهراءعليها السلام أقلّ عدداً ممّا ورد عن بقيّة المعصومينعليهم السلام، ولكن فاطمة الزهراءعليها السلام صاحبة مصحف[1]، كما أنّ الروايات القليلة المروية عنها ذات أهمية عظيمة.

ومن هذه الروايات أنّ امرأة جاءت إليهاعليها السلام وسألتها عن مسألة، ثم اعتذرت المرأة لما سببته لها من إزعاج. فأجابتهاعليها السلام -بما معناه - إنّ أجر المعلّم وثوابه كمن يصعد قمة جبل فيكافأ على ذلك بكيس كبير من الذهب[2].

كما أنّ الأعمال التي قامت بها أو التي أمرت بها عجيبة أيضاً. ومنها ما أوصت به

---

(١) انظر أصول الكافي ٢٣٨/١، بصائر الدرجات: ١٥٠.

(٢) ولفظ جواب الزهراءعليها السلام: «هاتي وسلي عمّا بدا لك، أرأيت من أُكتريَ يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراه مائة ألف دينار، يثقل عليه !» ثم قالتعليها السلام: «اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل عليّ»، راجع: مستدرك الوسائل ٣١٧/١٧ بحار الأنوار ٣/٢، تفسير الإمام العسكريعليه السلام: ٣٤٠، منية المريد: ١١٤.

الإمام علي عليه السلام أن يغسّلها من وراء ثوبها، وأن يدفنها ليلاً، وأن لا يحضر أشخاص معينون في تشييع جنازتها[١]، وكذلك التابوت الذي أمرت أن يُصنع لها، بحيث لا يظهر بدنها بأي نحوٍ من الأنحاء[٢]، وكذلك صنع المسبحة التى تحتوي على أربع وثلاثين خرزة أو مائة خرزة، لتستمر على ذكر ذلك الله حتى أثناء أداء وظائف البيت[٣] وكذلك جوابها كالأسد لأبي بكر حين قالت له: «أترث أباك ولا أرث أبي؟! أين أنت من قوله تعالى:﴿وورّث سليمانُ داودَ﴾[٤]»[٥].

بعض كرامات ومكارم أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)

لقد انتصرت فاطمة الزهراء عليها السلام ولا زالت من خلال وصيتها بأن تدفن في الليل سراً. وبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام خطبت زينب عليها السلام وهي في الأسر خطبة من الشجاعة بمكان وكأنّها هي الجالسة على عرش السلطنة. والإمام السجاد عليه السلام مع ما هو عليه حين الأسر والأغلال في يديه والجامعة في عنقه، يعطي السائل مقداراً أشبه بصدقات الملوك.

نحن نمتلك مثل هؤلاء العظماء من الرجال والنساء، وكلّ ما لدينا فهو منهم، ومع ذلك فنحن في حالة وكأنّ لا أحد من هؤلاء عندنا.

---

(١) راجع: وسائل الشيعة ١٥٩/٣، مستدرك الوسائل ١٣٤/٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ٣٠٤، ٣١٦، ٣٣٩، ٤٧٧.

(٢) راجع: وسائل الشيعة ٢٢٠/٣، مستدرك الوسائل ٣٥٨/٢، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، بحار الأنوار ١٨٩/٤٣، ٢٥٠/٧٨، ٢٥٥، ٢٥٦.

(٣) راجع: من لا يحضره الفقيه ٣٢٠/١، وسائل الشيعة ٤٤٦/٦، مفتاح الفلاح: ٢٧٦، مكارم الأخلاق: ٢٨٠.

(٤) النمل: ١٦.

(٥) الصراط المستقيم ٢٨٣/٢، وانظر أيضاً شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥١/١٦و٢٥٧.

بين أبي حنيفة والأعمش ورواية في فضل علي (عليه السلام)

ذهب أبو حنيفة لعيادة الأعمش ـ والأعمش بلحاظ رواية الحديث أسبق بكثير وأفضل من أبي حنيفة، كما أنّ أبا حنيفة لم يكن من المضطلعين بالعربية، وإن كان أكثر مهارة في القياس، ولكنّه على كل حال لا يصل إلى درجة الأعمش في الحديث ـ فقال له: هذا آخر يوم من أيام دنياك، وأول يوم من آخرتك، فتُب إلى ربّك لبعض ما رويته؟

فقال الأعمش: لماذا يا نعمان؟

ونرى الأعمش خاطب أبا حنيفة هنا باسمه ولم يكنّه، مع العلم أن التكنيه تنطوي على نوع من التعظيم والتكريم.

فقال أبو حنيفة: روايتك في علي أنّه قسيم الجنّة والنار.

فقال الأعمش: سنّدوني، فقد حدّثني فلان ولا أرى أحداً أفضل منه في زمانه، قال: حدّثني فلان وهو سيّد أهلِ عصره.. إلى أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي قسيم الجنة والنار. على رغم أنفك.

فقال أبو حنيفة ما معناه: لننصرف عنه قبل أن يأتي بأشد منه[1].

مناظرة الآلوسي مع المرحوم المظفر

عُقد في بغداد مجلس للمناظرة بين علماء الفرق الإسلامية، حضره الآلوسي من علماء العامة وهو كبير علمائهم والمرحوم المظفر[2] من علماء الشيعة، وكان المجلس

---

(١) متن الحديث في بحار الأنوار ٣٩/١٩٧، ٤٧/٤١٢، الأمالي للشيخ الطوسي: ٦٢٩.

(٢) هو الشيخ محمد حسن المظفر أحد المراجع في النجف الأشرف، صاحب كتاب «دلائل الصدق».

غاصّاً بأهله، فألتفت الآلوسي إلى الشيخ المظفر رحمه الله وقال: شيخنا مسألة؟

فقال له المرحوم المظفر: سل.

فقال الآلوسي: ما تقولون في أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أبا بكر بالصلاة بالقوم؟

فإذا قال المرحوم المظفر في الجواب:إنّ سند هذا الحديث ضعيف، أو لا يدلّ على الخلافة، فإنّ الآلوسي سيناقشه من جهات مختلفة ولن يخرجوا بجواب واضح وسيظن الجالسون أنّ الحقّ معه، ولكن المرحوم المظفر قال من غير تأمّل: «إنّ الرجل ليهجر»[1].

حقّاً أنّ هذا الجواب في هذا المقام معجزة، ولم يستطع الآلوسي أن ينبس ببنت شفة، لذا سكت وكأنّما أُلقِمَ حجراً.

وأعلن عن انتهاء المجلس بهذا السؤال وهذا الجواب فقط.

ومع أنّ الآلوسي من أهل الفضيلة، ويذكر مطالب معقولة في تفسيره، ولكنّه عندما يصل إلى مسألة الإمامة، فكأنه ليس ذلك الآلوسي الفاضل، بل تراه يتكلّم بكلام عامّي ركيك.

ليس لنا وجوه بيضاء عند أولياء الدين

يبدو كأنّ الكفّار قد زرعوا في قلوبنا الخوف من الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء على دنيانا، ونحن غافلون أنّ هؤلاء هم أساتذتنا وخبراؤنا وعلماؤنا، وأنّ الكفّار هم السبب في منعنا من دنيانا وآخرتنا.

لقد فصّلنا من عند أنفسنا: هذا ليس واجباً، وهذا ليس حراماً، وتركنا الواجب وفعلنا

(١) نهج الحق: ٣٣٢، كشف اليقين: ٤٧٢، الطرائف ٤٣٢/٢، بحار الأنوار ٥٣٥/٣٠.

الحرام، وها قد تورطنا في مخالب الذئاب، بل لم نكتفِ بترك الواجب وفعل الحرام ولذا ليس لنا وجوه بيضاء في صفحات أعمالنا عند أولياء الدين.

أليس إيذاء المسلمين وهتك حرمتهم من الذنوب الكبيرة؟! إن إذلال المؤمنين من المحرّمات التي ربما لم يذكر اسمها بين الكبائر، ولكن الله يعلم كم لها من عقوبة.

لقد شُبِّه في الرواية قلب المؤمن بالكعبة[1]، فهل يجوز كسر قلب المؤمن وإدمائه، أو إهانة المؤمن البريء في مجلس من غير ذنب وبلا سبب، وإراقة ماء وجهه، والقضاء على جاهه وماله... الخ، ثم لا تكون هذه الأعمال من الكبائر؟!

وطبعاً قد يكون الإتيان بمثل هذه الأعمال أحياناً في محلِّه، ولا إشكال في ذلك ولكن كيف بالإتيان بمثل هذا العمل من غير سبب؟!

عدم انسجام حكومة علي (عليه السلام) مع مزاجنا

إنّ حكومة علي عليه السلام لا تتلاءم مع مزاجنا، فنحن ـ والعياذ بالله ـ نريد حكومة معاوية، فقد كان عليه السلام يقسّم طحين وتمر بيت المال بين المسلمين بالسويّة، وكان يأخذ لنفسه وذويه نفس ما كان يعطيه للآخرين، بينما كان معاوية يهب جميع ما في بيت المال لأحد الزعماء أو أحد أقربائه.

هذا التعبد ناشئ عن أمور واقعية

الله يعلم كم من الكرامات ظهرت وكُشفت من العلماء في مسجدي السهلة

(١) انظر حول هذا الحق وحرمة المؤمن: مستدرك الوسائل ٤٠/٩ و٤٥ و٤٦ و٣٤٣، بحار الأنوار ٣٢٣/٧، ٧١/٦٤، ١٦/٦٥، ٢٢٧/٧١، الخصال ٢٧١/١، روضة الواعظين ٢٩٣/٢و٣٨٦، شرح نهج البلاغة ٢٧٨/١٨، فقه الرضا: ٣٣٥، المؤمن:٤٢، مجموعة ورّام ٥٢/١، مشكاة الأنوار: ٧٨ و٨٣ و١٩٣.

والكوفة والمشاهد الأخرى، مما حدا أهل العلم في النجف للإقبال على هذين المسجدين، فذلك التعبد ناشئ من أمور واقعية كان منشؤها من هناك.

ضرائح أولاد الأئمة (عليهم السلام) موائد الرحمة

سؤال: يُقال: إنّ الإمام الرضا عليه السلام يقضي حاجة زوّاره الذين يزورونه لأول مرّة فهل هذا الكلام صحيح؟

الجواب: هذا هو المعروف، ولكنّه عليه السلام يقضي حاجة زوّاره دائماً في كل سفر إليه، بل في كل مكان، بل إنّ ضرائح أولاد الأئمة عليهم السلام هي موائد الرحمة، فكم يتّفق أن تكون وصفة علاج أمراضنا وآلامنا الظاهرية والباطنية في يد أحدهم، فلا ينبغي أن نحرم أنفسنا من زيارة مشاهدهم.

كرامات أضرحة أولاد الأئمة (عليهم السلام) والمشاهد المشرّفة

إنّ أضرحة أولاد الأئمة والمشاهد المشرّفة والعتبات المقدّسة هذه التي لدينا نحن الشيعة قد حُرِم الآخرون من مثل فيوضاتها، وإذا قُدِّر لشخص أن يجمع الكرامات والمعاجز الصادرة من هذه الأضرحة فإنّها ستكون مجلدات.

الفاضل العامي

إنّ إحدى كرامات الإمام علي عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام هي أنّ علماء العامّة يتحولون عند مبحث الإمامة إلى عوامّ محضا!

فهذا الفخر الرازي الذي يشكك حتى في البديهيات ـ وإن كانت لديه أبحاث يمكن الاستفادة منها ـ عندما يصل إلى مبحث الإمامة وكأنه ليس صاحب الفضل ذاك بل يتحوّل إلى عامّي محض. فهو بعد أنّ ينقل استدلالات الإمامية بنحوٍ مفصّل، يقول

في آخرها: ولكن لازم هذه الاستدلالات ردّ السيّدين الجليلين، أي الشيخين!

فهل يكون تقليد السلف والماضين أفضل من هذا؟!

تناقض وانتقائية في اتباع النبي صلى الله عليه وآله

وقف الخليفة الثاني مرّة أمام الحجر الأسود وقال: «**والله يا حجر إنّا لنعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، إلاّ إنّا رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّك فنحن نحبّك**»[1].

فكيف تابع هنا رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتابعه عندما قال: «**ائتوني بدواةٍ وكتفٍ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً**»؟![2].

فلابدّ أنّه قطع هنا أنّ هذا ـ والعياذ بالله ـ كان هذياناً!

كرامة ذرية الرسول صلى الله عليه وآله

لقد تأكّدت الوصايا جدّاً على احترام السادة (ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله) ومودّتهم ومحبّتهم، وقال بعضهم:لقد اتفق مراراً أن أخالف سيّداً في رأيه فأنال عقوبة ذلك من طريق آخر. بل وأكثر من ذلك يقول أحد السادة الأشراف:كنت في بعض الأحيان أضرب بعض أولادي تأديباً فأصاب فوراً بالضيق والمشاكل.

وقد اعترض الإمام العسكري عليه السلام على رجل كان قد أظهر نوعاً من عدم الاحترام لأحد السادة، فقال ذلك الرجل: إنّما فعلت ذلك من أجلكم، وبسبب مخالفته لكم [فقد كان هذا السيّد منحرفاً عن أهل البيت عليهم السلام]؟ فقال عليه السلام [ما مضمونه]: لا ينبغي لك أن

---

(١) وسائل الشيعة ٣٢٠/١٣، علل الشرائع ٤٢٦/٢.

(٢) بحار الأنوار ١٣٤/١٦، ٤٧٢/٢٢، المناقب لابن شهر آشوب ٢٣٢/١و٢٣٤، وانظر أيضاً: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥١/٦، ١٨٤/١٠و٢١٩، ٤٨/١١و٤٩، ٨٧/١٢.

تفعل ذلك معه لأنّه ينتسب إلينا.

لقد شربت مع أبيك من كأس واحدة

كتب ابن الأثير: عندما عُلِّق يحيى بن زيد في ساحة جرجان كتب هشام إلى الوليد: «والله ما أدري أأنتَ على الإسلام أم لا؟!»

فكتب له في جوابه شعراً قال له فيه [ما معناه]: لقد شربت مع أبيك من كأسٍ واحدة.

زيد ويحيى بن زيد وعبد الله بن الحسن رحمهم الله

لقد كان يحيى بن زيد سلام الله عليه كوالده زيد سلام الله عليه في صفاته وأوصاف كماله، وحتى في اعترافه بوصاية الإمام الصادق عليه السلام وأعلميته ومقامه(١).

بينما عبد الله بن الحسن لم يكتف بعدم اعترافه بإمامة الإمام الصادق عليه السلام فقط، بل لقد أظهر خلافه له، ومع ذلك فإن الإمام الصادق عليه السلام ترحّم عليه بعد وفاته(٢)، ونحن تابعون له، وينبغي علينا الترحّم عليه، وليس لنا الحقّ في إساءة القول فيه.

عيّنة أخرى من عفو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

بعد واقعة استشهاد حمزة رضوان الله تعالى عليه عم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وشقّ جوفه وإخراج كبده والمثلة به، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سأنتقم له بقتل سبعين نفراً من المشركين. فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ

(١) بحار الأنوار ١٧٤/٤٦، ١٩٨و١٩٩، وسائل الشيعة ١٥/ ٥٣، عيون أخبار الرضا ٢٤٨/١، كفاية الأثر: ٣٠٦.

(٢) راجع: أصول الكافي ٣٥٨/١ح ١٧.

صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[١]، ولهذا فإنّه صلى الله عليه وآله صبَرَ وعفا وغفرَ.

وقد عفا رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك عن وحشي قاتل حمزة بعد نزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[٢]، بل بشّره بالمغفرة بعد التوبة.

حرص الخليفة على الحق

يبدو أنّ الخليفة الأول كان شديد الحرص على الحق وإقامة أحكام الدين، ولذا انتزع فدك من فاطمة الزهراء سلام الله عليها رغم أذيتها من ذلك.

وهذا مع العلم أنّ فاطمة من أهل البيت عليهم السلام وقد نزلت آية التطهير في شأنها وبقية الخمسة الطيبة من أهل الكساء، وقال عنها النبي صلى الله عليه وآله إنّها: «**سيدة نساء العالمين**»[٣] و: «**من آذاها فقد آذاني**»[٤].

لكن عجباً [أين كانت هذه الشدّة في الحق عندما زنا خالد بن الوليد؟! و] لماذا امتنع عن إقامة الحد عليه رغم إصرار عمر الشديد على ذلك، ومخالفته له فيه. وقال حينها: خالد سيف رسول الله صلى الله عليه وآله [أو سيف الله المسلول]؟!

فهل كان سيف رسول الله أولى بالمراعاة وحفظ الجانب من بضعته الزهراء؟!![٥].

---

(١) النحل: ١٢٦. وراجع للاطلاع على الواقعة المذكورة: مستدرك الوسائل ٢٥٦/٢، بحار الأنوار ٦٢/٢٠، ٩٣،٩٨، ٢٩٧، ٣٩٥/٧٨، إعلام الورى: ٨٣ تفسير العياشي ٢٧٤/٢، تفسير القمي ١٢٣/١، ٢٩٣.

(٢) النساء: ٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٤/ ١٩٢، ح ٢؛ و٣٧/ ٨٥ ح ٥٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٧٣.

(٥) نفس المصدر السابق.

بين الإمام السجاد (عليه السلام) ويزيد

أثناء تواجد أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام في الشام بصفة أسرى بعد وقعة كربلاء يلتفت يزيد يوماً إلى الإمام السجاد وقد شاهده يحمل بيده سبحة يديرها، فيعترض عليه مستنكراً عليه قيامه بهذا العبث حسب زعمه، لكن الإمام عليه السلام يجيبه قائلاً: سمعت من أبي عليه السلام أنّ جدي صلى الله عليه وآله كان إذا أصبح وأمسى يقول: اللهم إنّي أصبحت وأمسيت أسبّحك وأمجّدك وأحمدك وأهلّلك وأكبّرك بعدد ما أُدير به سبحتي[١]. ثم أخذ عليه السلام بإدارة سبحته.

وكل من يقوم بذلك يكتب له أجر التسبيح، ومن آثاره السعة والفرج أيضاً.

هل خدع معاوية علياً (عليه السلام)؟!

يقول العامة الذين لا يعتقدون بعصمة الخلفاء والصحابة والأئمة الأطهار عليهم السلام: إنّ معاوية خدع علياً عليه السلام، ولكن الواقع وحقيقة الأمر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام رأى شيئاً لم يره الآخرون، وهل يمكن أن يُخدع من كان عنده علم ما سيقع في المستقبل؟! ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر ولده الإمام الحسن عليه السلام بأنّ الأمر سيقع في يد معاوية في نهاية المطاف[٢].

زهد النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه

لقد كان ثمّة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أثرياء كعبد الرحمن بن عوف وإبراهيم وعثمان، والنبي صلى الله عليه وآله لم يكن ليعترض عليهم لثرائهم، بل كان يقترض منهم.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥/ ٢٠٠ و٩٨/ ١٣٦.

(٢) انظر: الخرائج والجرائح ١٩٧/١.

وعندما اعترض أهل الصفّة على النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ بطونهم قد احترقت من أكل التمر[١]، أجابهم قائلاً: لقد مضى شهران ولم يرتفع دخان من بيوت آل محمد، وأنّنا نطعمكم ممّا نأكل، وكان مهر ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام أيضاً زهيداً، ولكنّه قال لعبد الرحمن بن عوف: خذ ذهبك واذهب.

لقد كان صلى الله عليه وآله يريد العمل بالتكليف، ولم يكن يريد ذهباً.

نحن المحتاجون للإنفاق من أموالنا، وليس هو المحتاج إليها، وكم قد وصل أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله مع [قلّة أموالهم] وضعة كسبهم إلى مقامات رفيعة.

وكم من المسائل والمعضلات تحلّ بواسطة العلم والمعرفة ومعرفة الله، ولكنّنا وبسبب ضعفنا في المعرفة نختلف فيما بيننا.

تعساً للشيعة

صادف أن جلست امرأة أرمنيّة في الطائرة إلى جانب زوجة المرحوم العلاّمة[٢] ونقلت لها قصّة زيارتها للإمام الرضا عليه السلام وقضاء حوائجها بواسطة التوسّل به عليه السلام ونقلت لها أيضاً قصّة قراءة العزاء عزاء الخمسة [أصحاب الكساء] عليهم السلام في مدرسة مروي بطهران باقتراح منها وكيفيّة شفاء ولدها على أثر ذلك، فنقلت زوجة المرحوم العلاّمة ذلك إلى زوجها العلاّمة رحمه الله الذي علق قائلاً: تعساً للشيعة[٣].

---

(١) مستدرك الوسائل ٥٦/١٢، ٣٠٢/١٦، بحار الأنوار ٢٢/، ١٢٨/٦٧، نوادر الراوندي: ٢٥.

(٢) العلاّمة السيّد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله صاحب «الميزان في تفسير القرآن».

(٣) حيث لا يقدّرون تشيعهم أو لتقصيرهم في تقدير أهل البيت عليهم السلام.

مقامات بعض الصحابة الكبار والعلماء الربانيين

لقد كان مقام أبي ذر عظيماً، وليس من المعلوم أنّ مقامه كان أقل من مقام سلمان كما جاء في الرواية حول مقام المقداد: «**إنّ قلبه كان مثل زُبُر الحديد**»[١].

ونُقل أيضاً عن سلمان قوله في حادثة غصب الخلافة [بالفارسية ما مضمونه]: لم تقوموا بما ينبغي، فلقد ذهبتم بحقّ علي[٢].

فرضوان الله عليهم، وسلام الله عليهم، وهنيئاً لهم السعادة. وطبعاً فقد كان ثمة بعض العلماء في مثل مقاماتهم، ولا يمكن إنكار ذلك. والحق أنّه كانت للعلماء مقامات تحكي عن مقامات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

زيارة كربلاء

قال ذلك المرحوم في المنام الموافق للاعتبار: لقد رُدَّت جميع أعمالي، ولم تحظ بالقبول من الباري عزّ وجلّ، وقالوا لي: لم تكن محتاطاً في أعمالك كما أنّك لم تقلِّد [أحد المراجع]، وعندما صرت مجتهداً لم تكن لديك الدقة الكافية في الاستنباط. كما ردّوا عليّ زيارة سيّد الشهداء عليه السلام مع كل ما فيها من عظمة وقالوا: عندما كنت من الناس العاديين كانت زيارتك كزيارتهم و...[من دون معرفة وتعقل]، وعندما عرفت حقّنا لم تكن زيارتك لله، وكانت لحفظ جاهك ومقامك فقط.

وأضاف يقول: وعلى كل حال فقد تمّت إدانتي لدى الملائكة بنحوٍ كامل ولكنّهم أعطوني لؤلؤة لأبيعها، فقلت: ما هذا؟

---

(١) بحار الأنوار ٤٤٠/٢٢، ٢٧٥/٣٤، الاختصاص:١١، رجال الكشي: ١٠.

(٢) راجع: بحار الأنوار ١٩٣/٢٨، الاحتجاج ٣٨٣/٢، بناء المقالة:٣٥٧.

قالوا: عندما كنت متوجها لزيارة كربلاء ماشياً وحلَّ بك التعب قلت في نفسك: وهل يذهب مثلي ماشياً إلى كربلاء؟

ثمّ فكّرت وقلت: «الحمد لله» وهذه الجوهرة هي ذلك الحمد.

والخلاصة أنّه يجب على الإنسان استقصاء أنواع وأقسام الخير المختلفة، وأن يثبت اسمه فيها من أي طريق كان، ولو كان بمقدار حبّة حمص، فإنّه سيأتي اليوم الذي سنكون فيه محتاجين حتى إلى حبّة الحمص هذه.

الموت في نظر أمير المؤمنين وسيد الشهداء عليهما السلام

جاء في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: «**والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه**»[1].

وجاء في كلمات سيّد الشهداء عليه السلام: «**وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف**»[2].

وقال عليه السلام أيضاً حين خروجه من مكّة متّجهاً إلى كربلاء: «**من كان باذلاً فينا مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا**»[3].

أي أنّه دعا الجميع إلى الجهاد والحرب والقتل.

وكذلك أهل الجنّة أيضاً فإنّهم يدعون أصدقاءهم الذين في الدنيا، ويسألونهم عن سبب عدم مجيئهم، وبقائهم في السجن والقفص؟!

---

(١) نهج البلاغة: ٥٢، بحار الأنوار ٢٨/ ٢٣٣، ٥٧/٧١، ٣٣٤/٧٤.

(٢) بحار الأنوار ٤٤/ ٣٦٦، كشف الغمة: ٢٩، اللهوف: ٦٠.

(٣) بحار الأنوار ٤٤/ ٣٦٦، اللهوف: ٤٠.

تبرير خلع بعض أصحاب سيّد الشهداء (عليه السلام) ملابسه في ساحة الحرب

إنّ العمل الذي يُنسب إلى عابس رحمه الله في خلعه لدرعه ومغفرته وقميصه في يوم عاشوراء في ساحة الحرب أمر يسير؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام وجميع أصحابه كانوا مستميتين وطالبين للموت والشهادة، وكانوا يعلمون بأنّ المسألة منتهية، وليس أمامهم إلاّ الموت والشهادة، وعقلاء العالم في مثل هذه الحالات يتنازلون عن مطالبهم، أي أنّهم إمّا أن يستسلموا أو يفرّوا من القتال، اللهمّ إلاّ إذا كانت هناك علاقة دينية ووازع ورادع ديني وإلهي. وهكذا كان أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام في كربلاء، وكان الموت عندهم «**أحلى من العسل**»[1]، فهل يمكن القول إنّ هذه الجملة كانت خلاف الواقع.

تقوية العلاقة مع أهل البيت (عليهم السلام)

سؤال ـ أرجو معتذراً أن تتفضلوا ببيان أنه كيف يمكن الاستئناس بشكل أفضل [بدرجة أكبر] بالله والأئمة الأطهار عليهم السلام؟

الجواب ـ بإطاعة الله والرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وترك المعصية في الاعتقاد والعمل.

سؤال: كيف نُقوّي العلاقة مع أهل البيت عليهم السلام وبالخصوص مع صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

الجواب: طاعة الله بعد معرفته، توجب حبّه تعالى، وحبّ من يحبّه من الأنبياء والأوصياء الذين أحبُّهم إليه محمد وآله، وأقربُهم منا صاحب الأمر عجل الله فرجه.

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٤٠٢ نقلاً عن القاسم بن الحسن عليهما السلام.



الفصل السابع:

جامع كلمات آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت حول الإمام الحجة (عج)

بعض الإشارات إلى فلسفة غيبته وعلائم ظهوره/ صفاته ومجالات فيضه وهدايته/ عنايته بالشيعة/ الارتباط به والتكليف تجاهه/ ما يقرب منه وما يحجب عنه/ لقاؤه والتشرف به/ التكليف في عصر الغيبة بشكل عام وآثاره



لماذا لا نستفيد من القرآن والعترة ؟

إذا كنا لا ننتفع من القرآن فالسبب هو ضعف يقيننا، ولذا فإنّ أحوالنا لن تتغيّر حتى إذا رأينا الإمام عليه السلام، ويكون حالنا كحال البعض ممن كانوا في زمان حضور الأئمة عليهم السلام، كمثل ذلك الشخص الذي قال للإمام الجواد عليه السلام: أظنّك سكران.

فقال له الإمام عليه السلام: «**اللهمّ إن كنت تعلم أنّي أمسيت لك صائماً فأذقه طعم الحديد، وذلّ الأسر**» فما أسرع أن هلك ذلك الشخص[1].

إنّ الإمام عليه السلام والقرآن يختلفان عن كتاب رستم وأسفنديار! فهل نحن من أهل القرآن أم لا؟ نقضي العمر ونحن ندعو بتعجيل فرج الإمام عليه السلام فحذار أن لا نكون منهم.

ماذا تقول آية: ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى...**﴾[2]؟ هل الأمور التي تذكرها الآية هي من باب فرض المحال وخلاف الواقع؟ أم هي تريد أن تقول: إنّ أهل القرآن يستطيعون أن يأتوا بكل هذه الأعمال بواسطة القرآن ؟

نقل عن الجاحظ وهو أحد علماء العامة قوله: إنّي قرأت الخطبة الفلانية لأمير المؤمنين عليه السلام أربعين مرّة، وكنت أستفيد منها في كل مرة شيئاً جديداً. والقرآن أيضاً كذلك، فإنّ الإنسان يستطيع من خلال مطالعة القرآن، والتأمل والتدبّر في آياته، أن

---

(١) راجع: أصول الكافي ٤٩٦/١، بحار الأنوار ٦٢/٥٠، مناقب ابن شهر آشوب ٣٩٧/٤.

(٢) الرعد: ٣١.

يستفيد أشياء جديدة لم يكن قد توصل إليها قبل ذلك.

فيوضات العترة وسبب الحرمان منها

سؤال: ما الذي جعلنا محرومين من فيوضات العترة؟

الجواب: من قال: إنّنا محرومون من فيوضات أهل البيت عليهم السلام، بل نحن محرومون باختيارنا «والامتناع بالاختيار لا ينافي الاختيار»؛ لأنّهم على إفاضاتهم الحضورية بالنسبة إلى أهلها.

«**بل برجاء حياتك حييت قلوب شيعتك، وبضياء نورك اهتدى الطالبون**»[1].

وكذلك: «**لنورُ الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار**»[2].

ولكننا نحتاج إلى طلب ومتابعة، وقد شُوهد في عصر الغيبة عنايات وألطاف كثيرة لإمام الزمان عجل الله فرجه لمحبّيه وشيعته، وباب اللقاء والحضور غير مسدود تماماً، بل لا يمكن أيضاً إنكار أصل الرؤية الجسمانية.

الفرج الشخصي بالارتباط به قبل ظهوره

على كل شخص أن يفكر في نفسه ويجد له طريقاً للارتباط مع الحجّة عجل الله فرجه، وأن يعثر على فرجه الشخصي، سواء كان ظهور وفرج الإمام عليه السلام قريباً أم بعيداً.

لم يكن المقدّس الأردبيلي والسيّد بحر العلوم رحمهما الله ـ واللذان لا يحتمل في حقّهما الكذب ـ يقبلان جملة «فعليه لعنة الله» [حول من يدعي رؤية الإمام عجل الله فرجه] وكانا

(١) بحار الأنوار ٩٨/ ٣٤٢، البلد الأمين: ٢٨٤، المصباح للكفعمي: ٤٩٨.

(٢) أصول الكافي ١٩٤/١ و١٩٥، بحار الأنوار ٣٠٨/٢٣، تأويل الآيات: ٦٧١، تفسير القمي ٣٧١/٢.

يقولان: إن المقصود بها هم البابيّة ومدّعي المهدوية.

ومع أن الارتباط والعلاقة مع الحجّة عجّل الله فرجه والفرج الشخصي أمر باختيارنا ويقع بإرادتنا، خلافاً للظهور والفرج العام، فلماذا لا نهتم بكيفيّة تحقيق الارتباط والعلاقة معه عليه السلام؟ ولماذا نحن غافلون عن هذا الموضوع، ونهتم فقط بالظهور واللقاء العام معه عليه السلام؟ مع العلم أنّه إذا لم نهتم بإصلاح أنفسنا لتحقيق فرجنا الشخصي فهناك خوف من أنّنا سوف نفرُّ منه عند ظهوره؛ لأنّنا نسير في طريق من لا يفرّق بين الأهم والمهم.

إنّ وظيفة الشمس هي الإضاءة وإن كانت خلف الغيوم، والصاحب عجل الله تعالى فرجه الشريف هو كذلك أيضاً [عمله الهداية] وإن كان مستوراً عنّا بحجاب الغيبة[١] كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّ عيوننا لا تراه، ولكنّ ثمّة جماعة كانوا وما زالوا يرونه، أو إن لم يكونوا يرونه فهم على ارتباط به.

لقد رأينا من كان لهم شبه اتصال مباشر معه عليه السلام وكأنهّم على اتصال هاتفي معه كلما أرادوا شيئاً تحقق. لقد صاح أحد الأشخاص في الصحراء ثلاث مرّات مستغيثاً: يا إمام الزمان! ليطلب منه وسيلة نقل، فتحقق طلبه وظهرت الوسيلة المطلوبة مباشرة.

نعم، إنّ صاحب الأمر قريب منّا ومطّلع على أحوالنا إلى هذا الحدّ، ولكننا نحن الذين لا نرى، ونعيش الغفلة والجهل تجاهه، ونظن أنّنا بعيدون عنه! ومن المؤسف حقّاً أن لا نقدّر نعمة الولاية!

غايتنا من طلب الإمام المهدي (عج)

ليس المهم هو العثور على الإمام المهدي عجّل الله فرجه ورؤيته فقط، لأنّ رؤيته عجّل الله فرجه في

(١) راجع: الغيبة للطوسي: ٢٩٢، الاحتجاج ٢٤٨/٢، بحار الأنوار ٩٢/٥٢، ١٨١/٥٣.

عرفات أو في مكان آخر ليس متيسّراً دائماً [إذ الذهاب إلى هناك ليس ميسوراً على الدوام]، ولذا يقول أحد السادة: لعلّكم أنتم أيضاً قد رأيتموه، ورآه كثيرون غيركم ولكن إذا رأيتموه فلا تقولوا له: ادعوا لنا الله أن يرزقنا زوجة أو داراً أو يدفع عنا البلاء الفلاني أو الأمراض الفلانية ...الخ؛ لأنّ هذه الأمور لا أهمية لها. و يقول أحد السادة الآخرين كذلك: رأيت الإمام المهدي عليه السلام في أثناء اعتكافي في مسجد الكوفة في عالم الرؤيا فقال لي: إنّ الذين يأتون إلى هنا ـ مسجد الكوفة ـ من المؤمنين الأخيار ولكن كل واحد منهم جاء من أجل حاجة له كالدار والولد... الخ، ولم يأت أحد منهم من أجلي. طبعاً هذا لا يحتاج إلى منام[يبينه لنا] فالأمر كذلك فعلاً، و كل منا يفكر في حاجاته فقط ولا يفكر في الإمام عليه السلام مع أنّ نفعه وخيره يعمّ الجميع، وهو من أهم الضروريات.

العبودية لله طريق المحافظة على علاقتنا مع إمام الزمان (عج)

إذا كنّا نعلم بأنّنا في محضر «**عين الله الناظرة**»، فهل [سنجرؤ] ويكون لنا وجه في الاستئذان لزيارة الإمام الغائب عليه السلام مع كوننا نخالف طلباته الواضحة، فنترك الصلاة والصيام [مثلاً] أو تغتاب ونؤذي؟ فهل نريد منه أن يقول لنا: أبحت لكم المحرّمات وأسقطت عنكم الواجبات؟!

ومقصودي ماذا سيكون لو احتفظنا بعلاقتنا مع إمام الزمان عجل الله فرجه بواسطة عبوديتنا لله عزّ وجلّ؟ لا يدعنا الآخرون وإن كنّا نحن مقصّرين أيضاً، ولا نريد حفظ العلاقة معه عليه السلام، وإلا لو شئنا فبمقدور كل منا أن يحقق ارتباطاً به وطمأنينة في العلاقة معه ويأتي يوم نتوب فيه ونكون تابعين للإمام، وتكون عاقبتنا على خير.

لوازم السير في نهج إمام الزمان (عج)

إنّ لبعض الحيوانات كالنحل والحيوانات اللبونة منافع للناس، وبمقدور الإنسان أيضاً أن يكون نافعاً للدين والناس. ولو بذلنا ما نستطيع من الجهد في سبيل هداية الناس،فهل من الممكن أن لا نكون مشمولين لعناية «**عين الله الناظرة**»[١] وإمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف؟!

وإذا كنّا في طريق ولي العصر عليه السلام فعلينا ألا نتأذّى مما نسمعه من سوء وأذى وسخرية، بل علينا البقاء شامخين ثابتي القدم في طريق الحق والحقيقة هذا، وأن نمتلك الصبر والاستقامة إزاء الحوادث والمكدّرات.

العناية الخاصة لثابتي القدم في الزمان القريب من الظهور

من النادر أن يقع في هذا الزمان قضايا كهذه إذا قُدّر لها أن تقع، ولكن الإنصاف هو أنّه إذا اقترب وقت الظهور جداً، وحين تمتلئ الدنيا ظلماً «**مُلئت ظلماً وجوراً**»[٢] فمن المظنون به، بل ما هو أعلى من الظن أن تحصل للأشخاص الباقين على إيمانهم الثابتي القدم فيه قبل الظهور عنايات وألطاف خاصة لئلا يخرجوا من الدين؛ لأنّ ولي العصر عجّل الله فرجه الشريف هو ملجأ الناس، وكل من كان ملجؤه ومستنده هو عليه السلام يكون جبلاً من الإيمان، وكأنّ الناس إلى الزمان القريب للظهور يتعرّضون للغربلة والتصفية كما جاء[في الرواية] «**يقوم.... بعد ارتداد أكثر القائلين بإمامته**»[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٢٤٠/٢٦، التوحيد للصدوق: ١٦٧، معاني الأخبار: ١٦.

(٢) أصول الكافي ٣٤١/١، بحار الأنوار ٢٦٨/٣، ٢٣٨/٢٤، ٢٦٢/٢٦، ١١٨/٢٧.

(٣) بحار الأنوار ٣٠/٥١و١٥٧، إعلام الورى: ٤٣٦. الخرائج والجرائح ١١٧١/٣، الصراط المستقيم ٢٣٠/٢ كفاية الأثر: ٢٨٣، كمال الدين ٣٧٨/٢، منتخب الأنوار المضيئة:٣٩.

ومن المؤكد أنّه سينال الذين تخرجوا من الابتلاءات والامتحانات الإلهية ألطافاً خاصة من ولي العصرعجّل الله فرجه.

عيش حضوره ورقابته

أهل بيت العصمة والطهارةعليهم السلام هم عبيد لله علمهم وصوابهم مطّرِد وجارٍ، أي أنّهم بما لديهم من مقام العصمة لا يُخطئون ولا يُذنبون، وإمام الزمانعجّل الله فرجه **«عين الله الناظرة وأذنه السامعة ولسانه الناطق ويده الباسطة»**(١)، وهو مطّلع على أقوالنا وأفعالنا وأفكارنا ونياتنا، ومع ذلك فكأنّنا لا نعتقد بأن الأئمّةعليهم السلام وخاصة إمام الزمانعجّل الله فرجه حاضرون معنا وناظرون إلينا، بل كأنّنا كالعامة لا نعتبره حيّاً، وغافلون عنه بشكل كامل.

...وقال حفظه الله في موضع آخر:

كيف سيكون حالنا، وكيف سنكون حريصين على كلامنا إذا كنّا في غرفة مغلقة وكنّا نعلم بوجود قوّة عظمى مثل أمريكا أو روسيا ترصدنا من وراء الباب، وتتنصّت على كلامنا المؤيّد والمعارض لها وتسجّله، وأنّها ستقدم على اقتحامنا في الوقت المناسب؟! [فكم سنكون محتاطين وحريصين] حتى لو لم نكن نراهم، ولكنّنا نعلم بوجودهم خلف الباب؟! فلماذا إذن لا يكون حالنا بالنسبة لإمام الزمانعجّل الله فرجه بهذا النحو [والمستوى من الحرص والانتباه لتصرفاتنا] أثناء قيامنا بما يكون [في النتيجة] له أو عليه؟! ولماذا لا يختلف حالنا وموقفنا [نحن الذين نؤمن به ونتخذه إماماً] عن موقف أهل السنة الذين لا يعتقدون به؟!

...قال أحدهم لصاحبه: ماذا سيكون جوابك لإمام الزمانعجّل الله فرجه وأنت تنظر لامرأة

---

(١) بحار الأنوار ٢٦/٢٤٠، و٤٠/٩٥، التوحيد للصدوق: ١٦٧، معاني الأخبار: ١٦.

أجنبية من فوق السطح؟

...كما قال حفظه الله في موضع آخر أيضا:

علينا أن نفترض حضور إمام الزمان(عج)، فنسير حيثما يسير، ونفعل ما يفعل، ونترك ما يترك. وإن لم نكن نعلم [كيفية ذلك] فإنّا [على الأقل] نعرف الاحتياط ونقدر عليه! ولكنّنا وكأنّنا لا نريد السير في طريق رضاه(ع)، لا أنّه لا ندري طريق رضاه(ع) ويتعذّر علينا الحصول عليه.

ومن كلماته في مقام آخر:

ألا ينبغي لنا أن نلتفت إلى وجود رئيس [وإمام] لنا ناظر على أعمالنا؟!

والويل لنا إذا لم نكن نرى بأنّه ناظر لأعمالنا، أو إن لم نر أنه ناظر في كل مكان! إذا كانت الذنوب الشخصية التي يأتي بها الإنسان في الخلوة ـ مما لا علاقة له بالأمور الاجتماعية ـ يستحق عليها جهنم إلاّ بتوبة مناسبة للحال، فكيف سيكون عاقبة الذنوب الاجتماعية التي تسبب تغيير المجتمع وزعزعة الأمن والنظام وانحلاله، أو تسبب تحريم الحلال وترك الواجبات، أو مصادرة الأموال وهتك الحرمات وقتل النفوس الزكيّة وإراقة دماء المسلمين والحكم بغير الحقّ... الخ؟! وهل يمكننا الفرار من النظر الإلهي أو إخفاء أنفسنا عنه مع اعتقادنا بوجود زعيم [وإمام] هو «**عين الله الناظرة**»[1] ثمّ نأتي بما نشاء من عمل؟!

وماذا سيكون جوابنا؟! إنّنا نأخذ منه جميع وسائل العمل وأدواته ونستعملها لصالح العدو، ونصير أداة طيعة بأيدي الكفّار والأجانب و نقدم لهم العون! وكم سيكون الأمر

---

(١) بحار الأنوار ٢٦/٢٤٠، التوحيد للصدوق:١٦٧، معاني الأخبار:١٦.

شاقّاً علينا إن لم يصبح هذا الأمر ملكة لنا، بأن نلاحظ رضاه وعدمه، ونسعى لجلب رضاه وسروره في كل عمل نريده وطبعاً فإن رضاه أو سخطه معلوم في كل أمر والظاهر أنّه ينتهي إلى الواضحات. أما في غير الواضحات وفي الموارد المشكوكة فالواجب علينا هو الاحتياط.

وقد اتفق في هذه السنوات الأخيرة أن حصل شك وتردد لأحدهم حول التقليد والمرجع المناسب فعرّفوه في الرؤيا إلى وجه الشخص المطلوب، فتوجه إلى النجف وعثر عليه بعد فترة من البحث. كما اتفق للبعض أيضاً أن تردد بين البقاء على تقليد المرجع الميت أو العدول إلى الحي، فسمع صوتاً ينبعث من قبر المعصوم يقول له: إبق [على تقليد السابق].

وطبعاً فإنّ كلّ واحد من هذه النقول قابل للتكذيب، ولكن يُعْلَم من مجموع هذه القضايا أنّ إمام الزمان عجّل الله فرجه ناظر ومراقب لنا، ولا نستطيع القول أنّه غير مطّلع على أحوالنا، وأنّه يجوّز لنا أن نأتي بأي عمل نشاء بكل حرية.

اللجوء إليه

إذا عرف أهل الإيمان ملجأهم الحقيقي[1] ولجأوا إليه، فهل من الممكن أن لا يكونوا محلاً لرعايته؟!

هل نحن من المنتظرين لإمام الزمان (عج)

لقد أخبرنا أئمّتنا عليهم السلام قبل ألف عام بأنّ الابتلاءات والمصائب ستكون كبيرة إلى درجة يتخلّى معها الكثير من أهل الإيمان عن إيمانهم، فهل الخروج من الإيمان

(١) هو إمام الزمان عجّل الله فرجه.

[والتخلي عنه] يؤدي إلى الخروج من الابتلاءات [والخلاص منها]؟! وهل نحن من المنتظرين لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؟! وهل نحن نريد ظهور إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؟! وهل نحن راضون بظهوره؟! وهل هو عليه السلام راضٍ عن أعمالنا؟! وهل هو عليه السلام راضٍ بالتصرف في أمواله [في موارد غير صحيحة] وكأنّها ليست أمواله؟! وهل هو عليه السلام راضٍ بتقصيرنا عن ترويج مذهبه ومذهب آبائه عليهم السلام أو ترك ذلك؟!

ينبغي أن يكون ميزان أعمالنا رضا إمام الزمان (عج)

...وعلى هذا الأساس يجب أن لا نتابع الآخرين في أمورنا الاجتماعية ونسير خلف هذا وذاك؛ لأنّ هؤلاء الأشخاص غير معصومين مهما كانوا عظماء، بل يجب أن ننظر ونرى إذا كنّا لوحدنا من دون الآخرين فهل كنا لنقوم بالعمل أم لا؟ فلا ينبغي أن يكون عملنا مرتبطاً بالآخرين، ولا ينبغي أن نقيس أنفسنا مع أهل السنّة، فنحن علينا أن نحرز رضا ورغبة إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في أعمالنا، سواء في كيفية إنفاق سهم الإمام عليه السلام أو الأعمال الاجتماعية الأخرى.

حق ولي نعمتنا

أُمرنا أن نعرف مقام أولياء نعمتنا والمحسنين إلينا كالوالدين والمعلّم، وأن نحترمهم ونوقّرهم حتى نصل إلى مبدأ الإنعام، كما أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام هم أولياء النعمة وواسطة الفيض في كل زمان.

عيش أحواله والتأثر بأحزانه:

وهل يجوز أن يكون قائدنا ومولانا إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف حزيناً ونحن فرحون؟! أو يكون باكياً بسبب ابتلاء شيعته ونحن نضحك مسرورين؟! ونعتبر أنفسنا في نفس الوقت

تابعين له عليه السلام؟!

...وقال حفظه الله في موضع آخر:

ألا يُفترض أن نقلق [لبؤس التزامنا الديني و] لأنّنا متدينون على هذا النحو؟! إذا كان الشيعة الصادقون هم من «**يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا**»[1]، فهل نحن كذلك؟ وهل نحن شركاء للأئمةعليهم السلام في أفراحهم وهمومهم وغمومهم؟! وهل من الممكن أن نكون شيعة تمرّ علينا ليلة من غير أن ندعو لهلاك أعداء الإسلام وأهل البيتعليهم السلام؟! أو أن نكون في دعائنا غير مخلصين؟!

وقطعاً فإنّ أولئك الصادقين في دعائهم والمحزونين بحزن أهل البيتعليهم السلام والمسرورين بسرورهم يبصرون ويشاهدون أموراً [خاصة] وليسوا مثلنا معصوبي الأعين وعمياناً.

تقصير المسلمين تجاهه ودورهم في التسبب في غيبته

نحن السبب في غيبة إمام الزمانعجل الله فرجه [وإنما ضمن سلامته بغيابه عنا] فنحن لا نقدر على الوصول إليه حالياً، وإلا فلو حضر وظهر بيننا فمن الذي سيقتله؟! فهل الجن هم الذين سيقتلونه أم البشر؟!

لقد ظهرت نتيجة امتحاننا من قبل، وطيلة تاريخ الأئمةعليهم السلام من كوننا نطيع الإمام ونحافظ عليه أم نقتله؟!

لقد وصل انحطاط الإنسان إلى حدّ أنّ قوم نبي الله صالحعليه السلام قتلوا النّاقة مع أنّها كانت مصدراً لمعيشتهم ونعمهم، كما تحدّث القرآن الكريم عن ذلك قائلاً: ﴿لَهَا

---

(١) بحار الأنوار ١١٤/١٠، ٢٨٧/٤٤، جامع الأخبار: ١٧٩، الخصال ٦٣/٢، غرر الحكم: ١١٧.

شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[١] فقد كانت تلك الناقة تشرب من ماء البئر يوماً وتعطيهم بدله حليباً.

وعلى هذا الأساس، فكما أنّ العقلاء يمكن أن يقضوا على مخزن نعمتهم كما قتلوا ناقة صالح، فمن الممكن أن نقتل نحن العقلاء إمام الزمان(عج) والذي هو مصدر جميع خيراتنا، وأفضل من ناقة صالح، وأكثر فيضاً، وذلك من أجل مصالحنا الشخصيّة.

تأثير ذنوبنا في خوف الإمام وغيبته

ورد في زيارة الإمام الغائب(عج): «**السلام عليك أيّها المهذّب الخائف**»[٢].

مع أنّ الإنسان إنّما ينبغي أن يكون خائفاً فيما لو كان خائناً، والمهذّب والطاهر البريء من الذنوب لا يخشى أحداً، لكن الإمام المهدي(ع) خائف من إظهار نفسه مع كل ذلك الطهر، وبناءً على هذا فخوفه(ع) وبقاؤه ألف سنة يتنقل في الصحاري من مكان إلى آخر إنّما هو بسبب ذنوبنا وأعمالنا نحن.

وقال دام ظله في مقام آخر:

...مثلنا كمثل جماعة حبست قائدها وانفردت باتّخاذ قرار الحرب والصلح في البلايا! نحن الذين فعلنا ذلك ولا نأذن له بالخروج لحلّ مشاكلنا، مع أنّنا نعلم أنّه يستطيع حلّها لو خرج ولكنّنا نستمر في سجنه! وعلى هذا فحتى لو أيّده ملايين الأشخاص، فإنّه سيبقى مثل الشخص الوحيد الذي لا ناصر له ولامعين؛ فنحن لا نقوم في اليقظة بواجبنا بنحوٍ صحيح، ومع ذلك فإنّنا نتوقع الاستيقاظ والقيام ليلاً للتهجد. إنّ من ينال التوفيق

---

(١) الشعراء: ١٥٥.

(٢) بحار الأنوار ٩٩/ ٢١٥، جمال الأسبوع: ٣٧.

يستيقظ من نومه ويقوم بالتهجد، ولكن المحروم من التوفيق حتى لو استيقظ فهو لن ينتفع من استيقاظه.

...وقال حفظه الله في موضع آخر:

نسأل الله تبارك وتعالى أن لا نكون ممّن يدعون لتعجيل فرج إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف بألسنتهم، ولكنّهم يؤخّرون ظهوره بأعمالهم.

وقال دام ظله حول تأثير أعمالنا في حرماننا منه:

...إنّ ما قمنا به قد أدى إلى حرماننا من منابع الفيض والرحمة، ومنابع النور والحكمة، وقد تركنا منذ اليوم الأول العترة جانباً، ورفضنا اتّباعهم والسير على نهجهم.

ومن كلماته حفظه الله

...ونرجو من الله سبحانه أن يأذن بالفرج لصاحب الزمان عليه السلام من أجل حفنة من الشيعة المظلومين؛ لأنّه لم يتّفق في التاريخ وقوع غيبة رئيس وقائد عن أصحابه وجيشه كلّ هذه الغيبة الطويلة، ماذا نقول؟ ولا نعلم إلى متى؟ لقد قُدِّرت الغَيبة في جميع الأمم السابقة، ولكن لم يتّفق في أي أمّة وقوع غَيبة غير معلومة ولا محددة الوقت كهذه الغيبة.

لقد فشلنا ـ نحن المسلمين ـ في امتحاننا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله والأئمة الأحد عشر المعصومين عليهم السلام في عصر حضورهم، وإذا قدّر لهذا الإمام الباقي الظهور فهل سنضحي بأنفسنا في سبيله؟!

وأولئك الذين مالوا في زمن الأئمة عليهم السلام إلى بني أمية وبني العباس هل كانوا مجانين؟!

إنّهم قد اختاروا ـ من بين طريق الدين والدنيا ـ طريق الدنيا والمسار المنافي للآخرة، ولم تُعرَض علينا إلى الآن المناصب التي عُرِضت عليهم لكي نؤدي امتحاننا [وننجح فيه].

ومن كلماته دام ظله في ذلك:

...أيُّ موجود هو هذا القرآن الذي يحكي عن المرئيات والمسموعات في مراتب النزول المختلفة، وكذلك فإنّ عديل القرآن (العترة) يحكي أيضاً عن نعم العالم، ولكنّنا لا نقدّر ولا نشكر حامل همومنا وهادينا وحامينا وناصرنا ونقطع واسطة الخير [فنكون مصداقاً لقوله تعالى] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾[1]، ونعجز عن مشاهدة الأئمةعليهم السلام الذين هم أولياء نعمتنا وسواقي الفيض لنا. ولو ظهر أيضاً إمام الزمانعجل الله فرجه لَتعاملنا معه بنفس الطريقة التي تعاملنا بها مع آبائه الطاهرين، فهل من الممكن أن يكون لإمام الزمان عجلّ الله تعالى فرجه الشريف أربعمائة مليون ناصر ولا يخرج؟!

هذا؟! فما معنى «انتظار الفرج إذن»؟!

ومن كلماته دام ظله حول ذلك:

لو كنّا نحن بدل خلفاء بني أُمية وبني العباس الذين غصبوا الخلافة من أهلها، وكانت لدينا القدرة، ولم يكن هناك مانع يمنعنا من قمع أعدائنا، وقد تهيأت لنا الظروف والقدرة والإمكانيات التي تهيأت لهم، أفلا نعمل مثل عملهم؟! والآن ماذا نفعل؟! ألا نعمل على قتل الحق؟!

نسأل الله سبحانه وتعالى ألا يعرّضنا لمثل هذا الامتحان، وإذا تعرّضنا لمثله فنسأله

---

(١) هود: ٦٨، الشعراء:١٥٧، الشمس: ١٤.

عزّ وجلّ أيضاً أن يحفظنا. فالإنسان في مقام الامتحان إمّا أن يكون مثل سلمان رحمه الله فيصبح في أعلى عليين، أو يكون مثل يزيد ومعاوية من الهالكين، وفي أسفل السافلين

جبران تقصيرنا تجاهه بالدعاء... لكن بشروطه

أنشد أحد شعراء العرب البيت التالي عن أهل البيت عليهم السلام:

مُشرَّدون نفوا عن عُقرِ دارِهم كأنّهم قد جَنَوا ما ليس يُغتفرُ [1]

فهل حقّاً كان ينبغي أن تصل أعمالنا إلى الحدّ الذي يكون فيه أوصياء النبيّ عليهم السلام أذلاّء بيننا إلى هذه الدرجة؟! لقد فشلنا في الامتحان مع الأئمة الذين كانوا حاضرين بيننا، وإذا قدِّر لإمام الزمان عجّل الله فرجه الظهور أيضاً، فمن الواضح كيف سيكون تصرّفنا معه؟! إنّنا لم نتب عن سوء تصرّفنا مع الأئمة الأحد عشر السابقين عليهم السلام، فهل نتوب أيضاً للإمام الثاني عشر؟!

نُقِل عن السيد الزاهدي قوله: «**لا تدعوا لتعجيل الفرج؛ لأنّه دعاء من أجل ارتكاب المعصية، فهل تريدون أن يأتي حتى نقتله!**».

إذا كنّا نعلم أنّ لدعائنا أثراً ومع ذلك لا ندعو فنحن مقصّرون، ولكن الله تعالى يعلم من هم أهل الدعاء، كنا نتوهم أنّ هذا العمل [الدعاء] يمكن أن يأتي به كل أحد وأنّه عمل العجزة، ولكن اتضح أنّه ليس عمل أيٍّ كان. نعم لقلقة اللسان كثيرة، ويمكن أن يقوم بها كل شخص، ولكن الدعاء الحقيقي بشرائط الدعاء والاستجابة له قليل جداً.

المعاصي هي حجابنا عن لقاء الغائب (عج)

أين ذهب أولئك الأشخاص الذين كانت لهم علاقة مع صاحب الزمان عجّل الله فرجه؟ نحن

---

(١) بحار الأنوار ٢٤٢/٤٩، عيون أخبار الرضا ٢٦٦/٢، المناقب لابن شهر آشوب ٢١٣/٢.

الذين جعلنا أنفسنا عاجزين حينما قطعنا علاقتنا مع إمام الزمان(عج)، وصرنا كالمعاديم الذين لا يملكون شيئاً، فهل كان أولئك أفقر منّا؟!

إذا قلتم: إنّنا لا نستطيع الوصول إلى إمام الزمان(عج)! فجوابكم هو: لماذا لا تلتزمون بإتيان الواجبات والانتهاء عن المحرّمات، وهو يكتفي منّا بذلك؛ لأنّ: «**أورع الناس من تورّع عن المحرّمات**»[1].

فترك الواجبات وارتكاب المحرّمات هو الحجاب الذي يمنعنا من لقاء إمام الزمان(عج).

الحجّة (عج) يطلب منّا الدعاء

يقول أحد الأشخاص وكان من الذين يكثرون الذهاب إلى مسجد جمكران: رأيت سيّداً في مسجد جمكران فقال لي: قُل لمحبّينا ليدعوا لنا، ثمّ غاب عن نظري فجأة، لا أنّه مشى ثم غاب عن نظري بالتدريج.

ونفس هذا الشخص كان قد رأى الإمام قبل أسبوع في عالم الرؤيا.

ولكنّ المؤسف أنّ الجميع يذهبون إلى مسجد جمكران من أجل قضاء حوائجهم الشخصيّة، ولا يعلمون كم يلتمس الإمام(ع) منهم الدعاء لتعجيل فرجه، كما قال(ع) مرة لأحد الفضلاء[2]: إن الذين يأتون إلى هنا هم أعزاؤنا [أصدقاؤنا الجيدون]، وكل واحد منهم يأتي لحاجة له من بيت، أو زوجة، أو ولد، أو مال، أو قضاء دين وغير ذلك؛ ولكن لا أحد منهم يفكّر فينا!

---

(١) قريب منه: الكافي ٧٧/٢، من لا يحضره الفقيه ٣٥٨/٤، وسائل الشيعة ٢٤٥/١٥، ٢٤٦ و٢٦٠، مستدرك الوسائل ٢٦٨/١١ و٢٨٢.

(٢) هو الشيخ إبراهيم الحائري(ره) عند اعتكافه في مسجد الكوفة.

نعم، فالإمامعليه السلام قد مضى عليه ألف سنة في السجن [سجن الغيبة] ولذا فعلى كل من يذهب إلى مكان مقدّس مثل مسجد جمكران لطلب حاجة، أن يطلب من الله سبحانه أعظم حاجة عند واسطة الفيض ذاك، وهي فرج الإمامعليه السلام.

وقال دام ظله في مقام آخر:

...يمتلك الإمام الغائبعجل الله تعالى فرجه الشريف أسمى العلوم، وقبل كل ذلك فهو يمتلك الاسم الأعظم، ومع ذلك فإنّه يطلب الدعاء له من كل شخص يتشرّف بلقائه في عالم اليقظة أو المنام.

وفي حين أنّه يحيي الموتى تراه يعيش في سجن وسيع، وليس له اختيار في حقّ نفسه، وإن كانت له عناية خاصّة للآخرين وخاصّة في شؤونهم الفردية، وأمّا الأمور الاجتماعية المتعلّقة به فلا. ونسأل الله تعالى أن تتقوى علاقة الشيعة وأهل الإيمان مع إمام الزمانعجل الله تعالى فرجه الشريف، لكي يتحلّوا بالصبر والتحمّل في مواضع الصبر.

وقد ورد الحديث التالي عن طريق العامة أيضاً، وهو أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «**أفضل أعمال أُمتي انتظار الفرج**»[(١)].

الاستغاثة والتوسل لنيل هدايته وإرشاده

ابتداء حركة الإنسان في مسيرة الكمال والمعرفة هو القابلية والاستعداد، وبواسطته يستطيع الوصول من اللاشيء إلى كل شيء، وغاية السير ومقصده هو الله سبحانه وتعالى.

والربوبية الإلهية تقتضي أيضاً مساعدة وإرشاد الإنسان في حركته التكاملية

(١) عيون أخبار الرضا ٣٩/١، كمال الدين: ٦٤٤، بحار الأنوار ٣١٨/٥٠.

للوصول إلى الغاية المقصودة، فقد جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي: «**من أين لي الخير يا ربّ ولا يوجد إلاّ من عندك**»(١).

فالله تعالى هو حافظنا ولينا وقائدنا وصاحبنا في طريقنا، كما يقول هو سبحانه عن نفسه: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾(٢)، أي يخرجهم من ظلمات الحيرة إلى نور الهداية.

ونحن معرّضون للغرق في بحر الحياة، وهداية وإرشاد ولي الله لازمة وواجبة في سبيل الوصول إلى المقصد سالمين. فعلينا الاستغاثة بولي العصر عجل الله فرجه الشريف لينير لنا المسير ويصحبنا إلى آخر مقصدنا وغايتنا.

لزوم الدعاء لتعجيل الفرج... شروطه وارتباطه بالعمل

كم من المصائب تنزل بساحة إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف مع أنه مالك لجميع الكرة الأرضية وجميع الأمور جارية على يديه؟!

وفي أية حال هو، ونحن في أية حال؟! إنه يعيش في سجن ولا راحة لديه ثمة ولا أُنس، وكم نحن غافلون عن ذلك ولا نلتفت إليه! وكل من التقى معه في عالم اليقظة أو المنام سمعه يقول: «**أكثروا الدعاء لتعجيل فرجي**»، والله يعلم كم يجب أن يكون عدد هذه الأدعية حتى تتوفر مصلحة ظهوره.

ومن المقطوع به أنّ مَن كان في دعائه جاداً وصادقاً، وكان محزوناً لهموم أهل البيت عليهم السلام، ومستبشراً في سرورهم، فسوف يشاهد أموراً ومبصرات، ومن المؤكد أنّه

---

(١) بحار الأنوار ٨٢/٩٥، إقبال الأعمال: ٦٧، البلد الأمين: ٢٠٥، مصباح الكفعمي: ٥٨٨، مصباح المتهجد: ٥٨٢.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

سوف لن يكون أمثالنا مطبق العينين.

يجب أن ندعو مع تحقيق الشروط المطلوبة في الدعاء، و التوبة من الذنوب من جملة تلك الشروط كما قالواعليهم السلام: **«دعاء التائب مستجاب»** لا أن تكون أدعيتنا لتعجيل فرجه عليه السلام وأعمالنا تؤدي إلى تبعيده وتأجيله.

أهل الشقاوة والفرج بظهور الإمام (عج)

نحن نتخيل أنّ قراءة دعاء تعجيل الفرج متوقف على عدم شقاوة الداعي، ولكن الأمر ليس كذلك، فهل ظهور الإمام الغائب عجل الله فرجه يخرج الإنسان من شقاوته[1] ؟! لكن ظهوره عليه السلام سيكون فرجاً وسعة للمؤمنين. وعندما يكون الإنسان غارقاً في الأوحال فهل سينجيه غرق العالم بأسره؟[2] .

وعندما يظهر إمام الزمان عليه السلام سيسأل: لماذا أتيت بهذا العمل علانية؟ وليس من المعلوم أنّه يبحث ويفحص عن الذنوب المستورة.

تحصيل رضا الإمام عجل الله فرجه في زمان الغيبة

لئن كان الحجّة عجل الله فرجه غائباً عنّا، وكنا محرومين من فيض حضوره، ولكنّنا نعرف

---

(١) لعل مراد الشيخ دام ظله أن ظهور الإمام عليه السلام لا علاقة له بسعادة البشر أو استقامتهم ولا يؤثر فيها وإنما هو نعمة وفرج تام وانتصار للحق، فهو لا يخرج الشقي من شقاوته كما لا يتوقف على عدم شقاوته.

(٢) يريد الشيخ دام ظله حسب الظاهر أن ظهور الإمام عليه السلام فرج عام يصل منه حصة ونصيب ما حتى لغير أهل السعادة وعلى الأقل فهو لن يزيد في شقاوة الشقي. فغيبة الإمام عليه السلام بلاء وحرمان للعالم بأسره والشقي لا ينتفع منها، فالغارق بالأوحال لن ينجو أو ينتفع لو حل بلاء عام وغرق العالم بأسره، بل سيضاف إلى شقاوته وأوحاله بلاء آخر وشقاء آخر يعمه مع بقية الناس وغيبة الإمام عليه السلام هي من قبيل البلاء والحرمان العام وظهوره ارتفاع لهذا البلاء.

الأعمال المطابقة أو المخالفة لنهجه وطريقته، وهل نحن ندخل السرور على ذلك العظيم بأعمالنا وسلوكنا، ونرسل له سلاماً مهما كان ضعيفاً، أو أنّنا نؤذيه ولا نرضيه بسبب أعمالنا غير اللائقة؟

ومع أنّنا نتصرّف في أمواله[1]، فلم نسمع أو نرى أنّه عليه السلام قد رتّب أثراً [أو حاسبنا] على تصرّفاتنا، أو اعترض على من يحيف ويتجاوز الحدّ فيه.

وكأنّنا لا نعتبر تلك الأموال هي أمواله، وكأنّه عليه السلام أيضاً لا يعتبر ذلك المال ماله لكي يعترض على تصرّفاتنا فيه.

نيل رضاه بالاحتياط واجتناب الشبهات

إذا عملنا بما هو قطعي ويقيني في الدين فإنّنا ندرك ـ عند النوم وعند محاسبة النفس ـ الأعمال التي أتينا بها وكان إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف راضياً عنّا قطعاً بسببها، والأعمال التي ارتكبناها ولم يكن عنّا راضياً قطعاً بسببها، وإذا ما عمل الإنسان بقطعيات المذهب ـ لا بظنّيّات التقليد إلاّ في موارد الضرورة ـ وعمل بالاحتياط مع تيسّره، فإنّه لا يندم وإن فرض بعد ذلك علمه بعدم أهلية المرجع الذي كان يقلّده وبطلان تقليده؛ لأنّه في هذه الحالة كأنّه عمل بفتوى جميع المراجع.

ما هو تصنيفنا عند الإمام (عج)؟!

الله يعلم في أيّ صنف من الناس نحن في سجلات إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؟! وهو الذي تعرض عليه أعمال العباد مرّتين أسبوعياً «الاثنين والخميس». لكن ما نعلمه [على الأقل] هو أنّنا لسنا بالنحو الذي ينبغي أن نكون عليه.

---

(١) سهم الإمام عليه السلام.

موطنه القلب العامر بذكر الله...

سؤال: طُبع أخيراً كتاب حول مثلث برمودا، يحاول فيه مؤلّفه إثبات أنّ الجزيرة الخضراء المذكورة في الرواية هي مثلث برمودا، حيث تمّ اللقاء هناك مع إمام الزمان عجّل الله فرجه[١]. فهل هذا التطبيق صحيح؟ وهل جزيرة برمودا هي الجزيرة الخضراء؟

الجواب: أينما وُجد الإمام عجّل الله فرجه فهي الواحة الخضراء، قلب المؤمن جزيرة خضراء، حيثما وُجدت حلَّ الإمام عليه السلام، ووطأها بقدمه الشريفة.

لقد جفّت القلوب وفرغت من الإيمان ونور المعرفة، جِدِ القلب العامر بالإيمان وذكر الله، وأنا أضمن لك وجود إمام الزمان عجّل الله فرجه هناك.

طلب رضاه ومقام الأئمة الأطهار ومنزلتهم

الويل لنا إذا ـ أُضيف إلى إعراض الدنيا وأهلها عنا ـ إعراض إمام الزمان عجّل الله فرجه أيضاً وعدم قبوله لنا! يقول الأئمة عليهم السلام في بيان مقامهم ومنزلتهم: «**نحن خُزّان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمرَ الله تبارك وتعالى بطاعتنا، ونهى عن معصيتنا، نحن الحجّة البالغة على مَن دون السماء وفوق الأرض**»[٢].

وقالوا أيضاً: «**إنّ الله خصّنا بنفسه، أقامنا مقامه، جعل طاعتنا طاعته ومعصيتنا معصيته**»[٣]. والويل لمن لا يؤمن بثبوت هذه المقامات للأئمة عليهم السلام! والويل لمن يقول بثبوتها لهم بالذات كذلك[٤]!

---

(١) انظر: بحار الأنوار ١٥٩/٥٢.

(٢) أصول الكافي ٢٦٩/١.

(٣) مأخوذ من مضامين الأحاديث والآيات، وخاصة الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٤) أي لا بالتبع وبالغير ومن الله وبالله.

في حمى عين الله الناظرة

هل يمكن أن يكون الإنسان باذلاً جهده في هداية الناس بمقدار استطاعته، مثل الإمام عجل الله فرجه الشريف، ثم لا يكون في دائرة عنايته ونظره عليه السلام، وهو «**عين الله الناظرة**»[1]؟!

والويل لمن يرى ويشخّص بأنّ مراعاة الظالم وإعانته، أو أنّ الدفاع عن الظلم هو خير له!

ويا ليتنا نُدرك عدمية عالم الإمكان، وأنّه لا شيء، وندرك بأن لا قَدْر له ولا اعتبار وأنّنا نتخاصم كل هذا الخصام على لا شيء.

محبته والارتباط به

إننا نحب إمام الزمان عجل الله تعالى له الفرج؛ لأنه أمير النحل، وجميع أمورنا تصل بواسطته، وقد نصبه النبي صلى الله عليه وآله لنا أميراً. ونحن نحب النبي صلى الله عليه وآله؛ لأن الله جعله واسطة بيننا وبينه. ونحب الله تعالى؛ لأنه منبع جميع الخيرات، ووجود الممكنات فيضه.

فإذا كنا نريد أنفسنا وكمالها، علينا أن نكون محبين لله تعالى، وإذا كنا محبين لله فعلينا أن نكون محبين لوسائط الفيوضات من الأنبياء والأوصياء. وإلا، فإما أننا لا نحب أنفسنا، أو لا نحب واهب العطايا، أو لا نحب وسائط الفيوضات، فكيمياء السعادة إذن ذكر الله، وهو يحرك العضلات نحو موجبات السعادة المطلقة، والتوسل بالوسائط استفاضة من منبع الخيرات بواسطة وسائلها المقررة. علينا الاهتداء بهداياتهم والسير بقيادتهم لننال الفلاح.

---

(١) بحار الأنوار ٩٥/٢٦ و ٢٤٠، ٣٧٥/٤١، التوحيد للصدوق:١٦٧، معاني الأخبار: ١٦.

العطش للقائه

قال الأستاذ [الشيخ بهجت] مدّ ظلّه بعد حادثة تشرّف أحد الأشخاص بلقاء إمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف: نعم إنّه يعطي للعطاشى جرعة الوصال، ويهب لعاشقي الجمال ماء الحياة والمعرفة.

فهل نحن من عطاشى المعرفة وطالبي اللقاء [وهل يمكن أن نكون كذلك] ولا يعطينا عجّل الله فرجه الشريف الماء مع أنّ عمله إغاثة الجميع وإدراك مضطرّي العالم.

...وسبل زيارته ولقائه

أعتقد أنّ الإنسان في طوافه في أحد المشاهد المشرّفة يكون كمن قد زار جميع المشاهد في جميع الأماكن، وهو ينتفع بذلك؛ إذ إنّهم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] ولا يمكن قياسهم مع الآخرين، وبمقدورنا أينما كنّا التوسّل بأي واحد منهم، فقد ورد في زيارة سيّد الشهداء عليه السلام السلام على جميع الأئمة، بل والأنبياء عليهم السلام: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن أراد تخفيف حدّة عطش لقائهم في وجوده، فليتشرّف بزيارة مشاهدهم المشرّفة، فإنّها بمنزلة لقائهم ولقاء الإمام الغائب عجّل الله فرجه الشريف، فهم في كل مكان حاضرون وناظرون، ومن يتوجّه إلى أحدهم يكون كمن توجّه لجميعهم وزارهم والتقى معهم.

بالإضافة إلى أنّهم قالوا: أصلحوا أنفسكم، وحينئذٍ سنأتي بأنفسنا إليكم، ولن تضطروا للمجيء إلينا عندئذ.

والطريق الآخر هو التوسّل بالقرآن، فهم شركاء القرآن، بل لهم عينيّة مع القرآن

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

وإن كان أكثر المسلمين يعتقدون بالقرآن، لكن دون أن يعتقدوا بإمامة أهل البيت عليهم السلام.

وطبعاً فإنّه ليس عجيباً أن يكون أكثر المسلمين على خطأ؛ لأنّنا نعلم بأنّ أكثر متديني العالم مسيحيون، وهم يقولون ببطلان القرآن. وعلى هذا فالأكثرية ليست ميزان الأفضليّة. وفي التوسّل بالقرآن اطمئنان للنفوس أيضاً: **«النظر إلى المصحف عبادة»**[١].

كما يحصل هذا الاطمئنان النفسي والسكينة أيضاً لأولئك الذين تكتحل أبصارهم بالنظر إلى شمائل إمام الزمان عجل الله فرجه.

الأفضل من لقاء إمام الزمان (عج)

ليس من الضروري السعي للقاء ولي العصر عجل الله فرجه، بل لعل صلاة ركعتين يتوسّل المصلي بعدها بالأئمة عليهم السلام أفضل من التشرف بالحضور؛ لأنّنا حيث كنا فنحن بمرأى منه ومسمع، والعبادة في عصر الغيبة أفضل من العبادة في عصر الظهور، وزيارة أي واحد من الأئمة الأطهار عليهم السلام كزيارة نفس الحجّة عجل الله فرجه.

تقييم الناس بقربهم منه أو بعدهم عنه

...بالنسبة للمتحيّرين والمتردّدين [حول الانتخابات] قلنا لهم [وجّهناهم] ونقول: لاحظوا أي الحزبين متوافق ـ أو أكثر توافقاً ـ مع ولاية علي عليه السلام؟ وأيهم ينتظر المهدي اعتقاداً وعملاً، أو هو أشد من الآخر في ذلك؟ من منهما أحدث تغييراً في الأمور الدينية أو لا يحدث..؟ أيهما المتّزن في تفكيره، وأيهما المتلوّن عقيدة وعملاً؟ من منهما يمتلك ملكة التقوى والصدق والائتمان، أو الدرجة الأقوى من ذلك؟ من منهما يشبه أهل الكفر والنفاق في صفاته، ومن الأكثر بعداً من ذلك الشبه. وبالجملة من الأقرب منهما إلى الله

---

(١) مستدرك الوسائل ٢٦٨/٤، بحار الأنوار ٢٠٤/١، كشف الغمة ٢٦٨/٢.

تعالى و خاتم الأنبياء وخاتم الأوصياء صلوات الله عليهم وعجل فرجهم؟

...وقال الشيخ حفظه الله في موضع آخر:

إن من يتيقن ويعتقد بالخالق والمخلوق، ويرتبط ويعتقد بجميع الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم، ولديه توسل اعتقادي وعملي بهم، وينبعث في حركاته وسكناته وفق توجيهاتهم، ويخلي قلبه في العبادات عما سوى الله، ويأتي بالصلاة ـ والتي هي الأساس وكل شيء تابع لها ـ فارغ القلب، ويتّبع في المشكوكات إمام العصر عجل الله له الفرج أي يخالف كل من يراه الإمام مخالفاً له، ويوافق من يراه الإمام موافقاً له، ويلعن من يلعنه الإمام، ويترحم على من يترحم عليه الإمام، ولو على سبيل الإجمال، (**إن شخصاً كهذا**): لن يفتقد أي كمال، ولن ينال أي وزر أو وبال.

استلهام الموقف أثناء زيارته (عج)

إذا كان علم الإنسان مطابقاً لإيمانه فهذا حسن جداً، ولقد كان العلماء السابقون لا يفصلون بين العلم والإيمان.

قال المرحوم الميرزا الشيرازي الكبير في قضية تحريم التنباكو: إنّ علّة هذا الحكم الذي حكمتُ به هو أنني زرت صاحب العصر عجل الله فرجه في سرداب سامراء وهناك أُلهمت هذا الحكم.

فهل من الممكن أن تحصل هذه الإفاضة على شخص فاقد للصفات المعنوية فيؤمر بالذهاب إلى السرداب [ليتم أمره بهذا النحو]؟!

تعارض رواية انتظار الفرج مع شمول آية طاعة أولي الأمر لحكام الدول الإسلامية

كيف يمكن أن تكون حكومة وسيادة رؤساء الدول الإسلامية داخلة في عنوان «أولو الأمر»[1] مع أنّ الرواية الثابتة عن طرق العامّة أيضاً تقول: «**أفضل أعمال أُمتي انتظار الفرج**»[2]؟ فلو كان الأمر كذلك [أي كانت الآية الآمرة بإطاعة أولي الأمر تشمل هؤلاء الحكام] فإن الفرج متحقق وحاصل، فعلام انتظار الفرج حينئذ؟! فهل نريد فرجا إضافياً مع كل هذا؟! فما معنى «انتظار الفرج إذن»؟!

حديث الثقلين وإثبات غيبة إمام الزمان (عج)

إنّ من أدلّة إثبات غيبة إمام الزمان عجّل الله فرجه هو حديث الثقلين؛ لأنّه قد جاء فيه: «**إنّهما لن يفترقا**»[3] أي لن يفترقا سواء كان [الإمام من العترة] حاضراً أم غائباً.

فمن يحقق هذا الحديث ويحصِّل معناه تتّضح له مسألة الغيبة بدرجة كبيرة؛ إذ إنّه في غير هذه الصورة [صورة استمرار وجود الإمام من العترة ولو غائباً] يلزم الانفكاك بين القرآن والعترة.

---

(١) بحار الأنوار ٢٠٨/٧٥، كشف الغمة ٢٠٧/٢.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء:٥٩.

(٣) وتمام الحديث: «**إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**». مسند أحمد ١٤/٣ و٢٧و٥٩، مجمع الزوائد ١٦٣/٩، مسند ابن جعد: ٣٩٧، منتخب مسند عبد بن حميد: ١٠٨ خصائص النسائي: ٩٣، مسند أبي يعلى ٢٩٧/٢، المعجم الصغير للطبراني ١٣١/١.

عدم انقطاع الفيض الإلهي

الإلهام يشبه الوحي، وقد ورد في الحديث عن الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله أنّه قال: «**أعطاني الوحي وأعطى علياً الإلهام**»[1].

والإلهام درجة عالية تقارن الوحي. نحن غير جادّون في الطلب، وإلاّ فإنّ الفيض الإلهي لم ينقطع، ولن ينقطع.

أُنظروا إلى عشّاق الأموال كيف يجدّون في الطلب، فيصل بعض منهم إلى مقصوده، ويتخلّف الباقي عن الوصول لوجود الموانع. فهل أنّ مفيض المال غير مفيض العلم؟! ما الذي نعمله نحن؟ ولكنّ الله يعلم أنّ بعض الابتلاءات هي شرط ومقدّمة لحصول بعض الإفاضات. يقول أحد [الأجلة]: أُبتليت بالبلاء الفلاني، ولكن أضيف إلى معلوماتي [بسبب ذلك] الكثير.

معنى «بعدما مُلئت ظلماً وجوراً»

سُئل السيّد الكرمانشاهي ـ الذي كان يلقّب بالجليلي سابقاً ـ حول وقت ظهور إمام الزمانعجل الله فرجه، فقال: «**والله الهادي، والله الكريم، بعدما مُلئت ظلماً وجوراً**».

نحن لا نستطيع تعيين وتحديد درجة الظلم والجور المقصودة في قولهم: «**مُلئت ظلماً وجوراً**»[2]، ولكنّ الظاهر أنّه وقت انتشار الظلم وعمومه، فحينئذٍ يتحقق الأمر ويظهر إمام الزمان؛ لأنّهم لم يقولوا: «مُلئت وبقيت على ما مُلئت» بل قالوا: «مُلئت».

---

(١) بحار الأنوار ٣٢٢/١٦، إرشاد القلوب ٢/ ٢٥٤، أمالي الطوسي: ١٨٨، كشف الغمة ٣٩٠/١.

(٢) راجع: تأويل الآيات: ٣٧٥، بحار الأنوار ٢٢/ ١١٠، ٣٠/٨٠/٣٦، ٣٥٨، ٤٤/٣٧، الطرائف ١٧٧/١، كمال الدين ٦٤/١، أصول الكافي ٣٤١/١ بحار الأنوار ١٠/٥١، ٣٢، ٣٩، ٤٩.

وهذا الأمر ـ يعني «مُلئت ظلماً وجوراً» ـ قد تحقق هذا الزمان [بمرتبة ما] بنحو لا يخلو شبر من الأرض من الظلم والجور، ولكنّنا لا نستطيع تحديد وتشخيص الدرجة المقصودة من «مُلئت»؛ لأنّه لم تعيّن جميع خصوصيات وقت الظهور، ولم تتحقق بعد أيضاً جميع العلامات التي عُيِّنت للظهور، ومن هنا يُعلم أنّ درجة ومرتبة «مُلِئت» لم تتحقق بعد لحد الآن. [بالدرجة المقصودة في الحديث].

وفي الحقيقة لقد أنزلنا ـ نحن المسلمين ـ على رؤوسنا من المصائب ما أنزلناه ولمّا يرتحل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الدنيا بعد، وذلك عندما أمر بكتف ودواة ليكتب [كتاباً لن تضلوا بعده أبداً] ويوصي بوصيته، ولكن أكابر القوم منا قالوا: «إنّ الرجل ليهجر»[1].

الإنسان هو الذي يقطع عن نفسه ينبوع الصلاح

إنّ الإنسان يرتكب في حقّ نفسه أعمالاً لا يفعلها معه أي عدوّ، فهو الذي يجفّف ينبوع الصلاح إلى يوم القيامة، ومن هنا ليس من المعلوم أنّ جميع الناس سيؤمنون باطناً بالإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه عند ظهوره، بل ثمة جماعة منهم ستؤمن بالإكراه.

ما هي المصيبة في الدين؟

سؤال: ما هو المقصود من «المصيبة في الدين» الواردة في بعض الأدعية مثل: **«لا تجعل مصيبتنا في ديننا»**[2].

الجواب: هي نفس المصيبة التي ابتُلِينا بها نحن، أي فقد الإمام عليه السلام، فهل هناك

(١) راجع: الغدير ٣٤٠/٥، الطبقات الكبرى ٢/ ٢٤٢، نهج الحق: ٣٣٢، كشف اليقين: ٤٧٢، كشف الغمة ٤٢٠/١، الطرائف: ٤٣٢، بحار الأنوار: ٥٣٥/٣٠.

(٢) التهذيب ٩٢/٢، بحار الأنوار ٦٣/٢، ١٧٥/٨٧، ١٥٨/٩٤و ٣٣١، ١٣٤/٩٥و ٤١٢.

مصيبة أكبر منها؟ والله يعلم كم نحن محرومون من نعم بسبب غيبته عليه السلام، خصوصاً أنّ المصيبة في الدين تستلزم المصائب الدنيوية، بينما المصائب الدنيوية لا تستلزم المصيبة في الدين.

قساوة القلوب من علامات ظهور قائم آل محمد (عج)

مع أنّ حزن المؤمن وسروره يسري إلى باقي المؤمنين، فلماذا نحن لا أُباليين مع نزول جميع هذه البلاءات والمصائب! فإما أنّنا لسنا بمؤمنين، أو أنّ هؤلاء المبتلين ليسوا كذلك، أو أن القلوب صارت قاسية؟!

لقد ورد في الرواية أنّ ظهور قائم آل محمّد عليه السلام سيكون «**بعد قسوة القلوب**»[1].

البلاء للولاء

سؤال: هل من الممكن ألاّ تكون هذه البلاءات النازلة من باب العقوبة ومجازاة الذنوب، بل لأجل رفع الدرجات، ومن باب أن البلاء للولاء[2]؟

الجواب: الموضوع واضح لأهل الولاء، إذ كلّما اشتدّ بلاؤهم ازداد إيمانهم وعندما كان ميثم التمار مصلوباً كان اطمئنانه وإيمانه يزداد في كل آن وفي كل لحظة لأنّه قد أُخبر بما يجري عليه[3].

وعلى كل حال فقد أكثر إمام الزمان عجل الله فرجه وأصرّ على الوصية بقراءة دعاء الفرج في

(١) انظر بحار الأنوار ٣٦٠/٥١، ١٥١/٥٢، الاحتجاج ٤٧٨/٢، كمال الدين ٥٦١/٢.

(٢) انظر بهذا المضمون: أصول الكافي ١٠٩/٢، ٢٥٢،٢٥٣، وسائل الشيعة ٢٥٢/٣ح٣٥٥٣، ٢٦٣/٣ح٣٥٩٣ ١٧٥/١٢ح١٦٠٠٢.

(٣) الاختصاص: ٧٥، بحار الأنوار ١٣٠/٤٢-١٣٣.

هذا الزمان، وفي هذه الظروف[١].

الإيمان بحتمية ظهوره

نقل أنّه كان هناك شيخ يجلس إلى سيّد جليل في حرم سيّد الشهداءعليه السلام ويتحدّثان حول ظهور إمام الزمانعليه السلام.

فقال الشيخ بذهن خالٍ ومن غير التفات: البعض منكر لذلك.

فقال السيّد: نعم، وأُقسم بالله أنّه سيأتي وينتقم منهم.

قال الشيخ: هل أُدرِك أنا زمان الظهور؟

فاحمرّت عروق السيّد وقال: إن عيّشك الله.

والظاهر وجود سرّ في التوصية بقراءة دعاء «**اللهم عرّفني نفسك...**»[٢] في عصر الغيبة. وقد أوصونا بقراءة الدعاء التالي أيضاً: «**يا الله يا رحمنُ يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك**»[٣].

عظمة صبره (عج)

مع كل حبّنا لإمام الزمانعجل الله فرجه فإنّ ظهوره ليس منوطاً لا بكلامي ولا بكلامكم.

لقد اقترحوا على أمير المؤمنينعليه السلام أن يسالم معاوية، فلو كان البناء أن يلبّي طلبهم لكان قام بذلك منذ البداية، فقد قالوا له: صالح معاوية فإذا استقرّت حكومتك حاربه

---

(١) بحار الأنوار ٩٢/٥٢، ١٨٠/٥٣، الاحتجاج ٤٦٩/٢.

(٢) والدعاء هو: «اللهمّ عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرفك رسولك. اللهمّ عرّفني رسولك، فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجتك. اللهمّ عرّفني حجتك، فإنّك إن لم تعرفني حجتك ضللتُ عن ديني» انظر أصول الكافي ٣٣٧/١، بحار الأنوار ١٤٦/٥٢، ٣٢٦/٩٢.

(٣) بحار الأنوار ١٤٨/٥٢، ٩٢/ ٣٣٦، إعلام الورى: ٤٣٢، كمال الدين ٣٥١/٢.

ولكنّه لم يقبل كلامهم، وكم أعطى الله سبحانه وتعالى للغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف من صبر، حتى استطاع أن يتحمّل ما يرى من البلاء الذي يقع على رؤوس المسلمين خلال ألف عام، وما جلبه له المسلمون أيضاً من ألوان البلاء.

كم من المصائب تنزل بساحة إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف مع أنه مالك لجميع الكرة الأرضية وجميع الأمور جارية على يديه؟!

وفي أية حال هو، ونحن في أية حال؟! إنّه يعيش في سجن ولا راحة لديه ثمة ولا أُنس، وكم نحن غافلون عن ذلك ولا نلتفت إليه! وكل من التقى معه في عالم اليقظة أو المنام سمعه يقول: «**أكثروا الدعاء لتعجيل فرجي**»، والله يعلم كم يجب أن يكون عدد هذه الأدعية حتى تتوفر مصلحة ظهوره.

محروميتنا في زمن الغيبة

كم نحن محرومون حين نقضي أربعين يوماً في الدرس لكي نفهم مسألة واحدة؟ لقد قضى أحد العلماء ستة عشر يوماً من أيام الدرس في تدريس مسألة واحدة في البحث الخارج، ومع حساب العطل يكون قد قضى في هذه المسألة شهراً كاملاً، ومع هذا فقد خرج بالاحتياط آخر الأمر، ولم يتمكن من الوصول إلى الحكم الواقعي ليفتي به.

ماذا سيكون لو كان عندنا العالم بالحقائق والشريعة، وكنّا متمكنين من نيل فيض حضوره، لنتعلّم منه الأحكام في وقت يسير، دون أن يقول: لا أدري، أو يتردد، أو يرجع إلى الاحتياط. وعندئذ بدل كل هذه الحيرة وصرف الوقت في التعليم نقتصر على العمل ونبذل جهدنا فيه، لنصل إلى مرادنا في معرفة الله تعالى، فهو الهدف الذي خُلقنا لأجله.

إنّ ما قمنا به قد أدى إلى حرماننا من منابع الفيض والرحمة، ومنابع النور والحكمة وقد تركنا منذ اليوم الأول العترة جانباً، ورفضنا اتّباعهم والسير على نهجهم.

حول صورة صاحب الزمان (عج) وعمره

كلّ من تشرّف برؤية الإمام الحجّة(عج)، سواء في عالم اليقظة أو المنام، فقد رآه في سن الشباب في صورة شخص بين الثلاثين والأربعين من العمر، باستثناء شخص واحد ادّعى أنّه رآه في صورة شخص يتجاوز عمره أكثر من الألف سنة، وأنّه رآه في عمره الحقيقي.

سعادة البشر في ظل عدالته

يمكن الاستفادة من بعض الروايات أنّ عمر الحجّة(عج) بعد الظهور ليس طويلاً ولهذا فإنّ بعض منتظريه في قلق من هذه الناحية، ولا يلتفتون إلى أنّ يوماً واحداً من حكومته يعادل سنوات عديدة.

ولو عمّر ألف سنة بعد ظهوره، فإنّه قليل أيضاً بالنسبة لطمع أحبّائه، ولكنّهم لا يفكّرون أنّ يوماً من عمره الشريف يعادل سنوات بالنسبة إليهم.

ابن طاووس (رحمه الله) والحجة (عج)

من غير المستحسن أن لا يقتني أهل العلم كتب السيّد ابن طاووس(رحمه الله)، وجميع كتبه جيّدة، وقد كتب الميرزا النوري(رحمه الله) يقول عن السيّد ابن طاووس(رحمه الله): إنّ باب لقاء الإمام الغائب(عج) كان مفتوحاً له.

لو قيل بأنّ الظهور غداً فليس هناك أي استبعاد

لقد ذُكرت علامات حتمية وغير حتمية على ظهورهعليه السلام، ولكن لو أخبرنا مخبر أنّه سيظهر غداً فلا استبعاد في ذلك، ويلزم من ذلك حدوث البداء في بعض العلامات بينما يقترن وقوع البعض الآخر من العلامات الحتمية مع ظهورهعليه السلام.

فهل نطيق أن يظهر السفياني ويستولي على خمسة أماكن، ويقتل كل من كان اسمه حسناً أو علياً ...الخ، مع أنّهم يقولون له [معتذرين خوفاً أو ما أشبه] إنّ آباءنا قد أخطأوا وسمّونا حسناً وعلياً، فما هو ذنبنا؟! وأن تستمر الحالة كذلك ثمانية أشهر؟!

نسأل الله ألاّ نُخذل و ننحرف عن طريقة أهل الحق، أهل البيتعليهم السلام ونُحْرَم منها ولو تقية. فإنّ سلب الإيمان من أهل الإيمان أشدّ من القتل، وقد جاء في الروايات أنّ الفتن تأتي على أهل الإيمان «**كقطع الليل المظلم**»[1].

إنّنا نرى جميع هذه الابتلاءات لكننا مع هذا نتساءل هل [رواية ومقولة مجيء] «**الفتن كقطع الليل المظلم**» أمر صحيح أم لا؟ وهل الطريقة الحقّة لأهل البيتعليهم السلام حقّ أم باطل؟ فإنّنا مع جميع ما نرى من هذه الحوادث والاتفاقات التي توقّعوها لنا وأخبرونا عنها لا زلنا في حالة الشك والتردد!

فرج الإمام (عليه السلام) من الحاجات الضرورية

البرد شديد هذه السنة! نسأل الله أن يكون رحمة، ونسأل الله أن يذيق الشيعة جميعاً حلاوة ظهور صاحب الأمرعجل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) بحار الأنوار ٢٤٨/٣٢، ٣٣١/٤١، ١٣٥/٥١، ٢١٧/٢؛ أمالي المفيد: ٤٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:١٠٢/٧، نهج البلاغة: ١٤٨، اليقين: ٤٢١.

إنّ التفكهات والحلويات ليست من الضروريات، بل هي زائدة عليها، لكن ظهور الإمام عليه السلام من أشد الضرورات، والله يعلم ما يتعرض له المسلمون أو ربما يتعرضون له من بلاءات في زمان غيبته أشد مما نرى...

... ويبدو [وبالرغم ممّا تعرضت له أوضاع المسلمين من ضعف وتفكك] أنّ اسم الإسلام باقٍ إلى حين ظهور الحجة عليه السلام: «**لا يبقى من الإسلام إلا اسمه**»[1].

---

(١) أل عبارة الحديث: «سيأتي على أمتي [الناس] زمان لا يبقى من القرآن إلا سمه ومن الإسلام إلا اسمه.» الكافي ٨ / ٣٠٨، ثواب الأعمال: ٢٥٣.

التكليف في عصر الغيبة:

أفضلية العبادة في عصر الغيبة من عصر الظهور وإمكان نيل مقامات الأولياء

هل يمكن أن يصير الجميع مثل سلمان وأبي ذر رحمهما الله اللذين صبرا على كلّ ألوان البلاء، أو يكونوا مثل عمار الذي كان مستعداً للقتل؟ إنّ باب المقامات التي وصل إليها هؤلاء قد أُغلق، فإنّ جميع الدنيا وما فيها لا تساوي قيمة صلاة ليلة واحدة لسلمان رحمه الله. كان يجلس على جلد خروف، وكان مصلاّه عجيباً وغريباً! وقد عدّت إحدى الروايات أثاث منزله، فكان جلد خروف، وكيس طحين...الخ، ولكنّه مع ذلك كان يبكي من ثقل ما سيحمله يوم القيامة[1]. فماذا كان مقام سلمان وما هو مقام الشخص الذي يقع في مقابله، أي معاوية بن أبي سفيان؟!

طبعاً يحتمل كثيراً أن يستفاد من قولهم: «**العبادة في عصر الغيبة أفضل من العبادة في عصر الظهور**» أنّه يمكن لنا نيل مقامات أعلى.

---

(١) انظر بحار الأنوار ٢٢/ ٣٥٥.

ومقصودي هو أنّه لو كنّا في عصر الرسول صلى الله عليه وآله، وكنّا نرى حوله أمثال سلمان من ذوي المقامات العالية، فكم سيكون ذلك مثيراً ومحفزاً لنا إلى تلك المقامات. ولكن من لم يرهم فهو معذور من تحصيل مقاماتهم؛ لأنّه سيحصل له الشك والتردّد في إمكانية حصولها له.

ولكنّنا رأينا نحن أيضاً من كرامات العلماء عجائب وغرائب لا يمكن بيانها ونتعجّب لماذا يراها الآخرون ولا يذكرونها أيضاً؟! مع هذا فما عذرنا وما هو مبررنا في هذه اللامبالاة تجاه تحصيل تلك المقامات؟!

..وقال حفظه الله في موضع آخر:

الويل لنا إذا سُلب منا في يوم ما القرآن أو العترة! وسلب أيٍّ منهما هو سلب للآخر أيضاً؛ لأنّ هذين الاثنين لا ينفصلان عن بعضهما: «**لن يفترقا**» لا في الخارج ولا في الاعتقاد «**حتى يردا عليَّ الحوض**»[1]. وإنما يشرب من الحوض من لازم القرآن والعترة معاً دون سواه.

هنالك جماعة من الناس موفقون دائماً، ولكن هناك عدّة أخرى كالأيتام لا مدبر لهم، وهم يتجهون إلى هنا وهناك بعمد ومن دون عمد، وطبعاً هم معذورون في الجملة[2].

---

(١) أصل الحديث هكذا: عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**» انظر: مسند أحمد: ١٤/٣ و٢٧ و٥٩، مجمع الزوائد: ١٦٣/٩، مسند ابن جعد: ٣٩٧، منتخب مسند عبد بن حميد: ١٠٨، خصائص النسائي: ٩٣، مسند أبي يعلى: ٢٩٧/٢ و٣٧٦، المعجم الصغير: ١٣١/١.

(٢) بدليل عدم حضور إمام الزمان عجل الله فرجه.

فمن الممكن أن يقال لمثل هذا الشخص: صحيح ما تقول، فأنت معذور فثمة كثير من الأمور لم ترها ولم تعلمها، الحق معك؛ لأنّك تعيش في عصر الغيبة، وأنت قاصر عن الوصول إلى أبيك الروحاني والمعنوي حتى تكون مثل سلمان الذي كان عنده «**علم الأول والآخر**»[(١)]، وهو القائل: «**إذا أدركتم سيّد شباب آل محمد فكونوا أشدّ فرحاً لقتالكم معه**»[(٢)]

ولكن ماذا نفعل إزاء قولهم عليهم السلام: «**العبادة في الغيبة أفضل من الحضور**»، وما قاله صلى الله عليه وآله أيضاً لأصحابه: «**أنتم أصحابي وأولئك إخواني، فوا شوقاً إلى إخواني آمنوا بسوادٍ على بياض**»[(٣)].

لزوم الاحتياط في فتن آخر الزمان

سؤال: نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال عن فتن آخر الزمان: إنّ تشخيص التكليف في ذلك الزمان متعسّر، فماذا علينا نحن أن نعمل؟

الجواب: إذا كان الحصول على التكليف متعسّر، فإنّ الاحتياط غير متعسّر، فيجب التوقف والاحتياط. إنّ سفك دماء الناس، وهتك أعراضهم وتدمير أموالهم ودينهم ليس لعباً. ولقد تمت الحجّة علينا.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢١/١٠، ٣٣٩/٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٣٧٢/٤٤.

(٣) نقلاً بالمعنى، انظر: من لا يحضره الفقيه: ٣٦٥/٤، وسائل الشيعة: ٩٢/٢٧، مستدرك الوسائل: ٣٠٠/١٧ بحار الأنوار: ١٢٥/٥٢، ٥٥/٧٤، جامع الأخبار: ١٨٠، كمال الدين: ٢٨٨/١، مكارم الأخلاق: ٤٤٠.

الاحتياط والعمل بالقطعيات

إذا عملنا بما هو قطعي ويقيني في الدين فإنّنا ندرك ـ عند النوم وعند محاسبة النفس ـ الأعمال التي أتينا بها وكان إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف راضياً عنّا قطعاً بسببها، والأعمال التي ارتكبناها ولم يكن عنّا راضياً قطعاً بسببها، وإذا ما عمل الإنسان بقطعيات المذهب ـ لا بظنّيات التقليد إلاّ في موارد الضرورة ـ وعمل بالاحتياط مع تيسّره، فإنّه لا يندم، وإن فرض بعد ذلك علمه بعدم أهلية المرجع الذي كان يقلّده وبطلان تقليده؛ لأنّه في هذه الحالة كأنّه عمل بفتوى جميع المراجع.

العمل بالتكليف... والتوسل

يجب علينا نحن أهل العلم أن نعمل بتكاليفنا على كلّ حال. ويجب على خدّام إمام الزمان عليه السلام عامّة أن يعملوا بتكاليفهم، فمن يشعر [مثلاً] بالإقبال على المطالعة فليطالع [وإن كان إقباله على تكليف آخر فكذلك، وهكذا....] لكن يجب العمل بالتكليف على أية حال بالإضافة إلى التوسل، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1].

الله تعالى يرسل ابتلاءاته: ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ لكي يتضرّعوا، أي أنّه يريد التضرّع والابتهال من العبد، وهذا هو مطلوبه، ﴿تَضَرَّعُوا﴾، ونقيض ذلك ومقابله هو الذين: ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

---

(١) الأنعام: ٤٣.

ضرورة اللجوء إلى الله والدعاء للفرج قبل اشتداد الابتلاء

يقول تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾.

عند الشدائد والمصائب والابتلاءات نهتف جميعاً مستغيثين: يا الله، ومن المعروف أنه عند الإشراف على الغرق ترتفع الأصوات بالضجيج من جميع مَن في السفينة من الرجال والنساء ومن البرّ والفاجر. نعم ففي حال البلاء والمصائب والشدائد ترى حتى غير المصلّين بل غير المسلمين يلتجئون إلى الله سبحانه.

أفلا ينبغي لنا مع جميع هذه الابتلاءات النازلة على رؤوس المسلمين أن نلتجئ إلى الله سبحانه؟! أم ننتظر إلى أن يشتد البلاء ويسوء أكثر؟!

نعم، يجب أن توجد فينا في الرخاء حالة الابتهال والتضرّع والتوسّل، وأن نلتجئ إلى الله سبحانه ونكون شاكرين له؛ لكي يسمع استغاثتنا في حالة الشدّة والمصاب، وإلاّ حلت بنا هذه المصائب والبلايا؛ لأنّ الكفّار وأعداءنا لا يهدأون ولا يقرّ لهم قرار، بل هم يضعون الخطط لنا لما بعد خمسين سنة.

أفلا يجب أن نلتجئ إلى الله سبحانه في حال الرخاء؟ أم نكون كالكفّار الذين لا يلتجئون إلى الله إلا في حال الشدائد والحروب فقط فيذهبون إلى الكنائس عند وقوعها؟! ألا يجب أن نحمل هذا الهم وندعو بتضرع واستغاثة لظهور فرج المسلمين والمصلح الحقيقي الإمام الحجّة عجلّ الله تعالى فرجه الشريف؟!

...وقال دام ظله أيضاً:

لماذا نترك تكليفنا نحن الذين لا قدرة لنا للدفاع عن أنفسنا أمام القوى العالمية الكبرى التي اجتمعت على سحقنا وتدميرنا، ولا نستطيع بحسب الظاهر محاربتها؟! إنّ تكليفنا الفعلي إزاء هذه الابتلاءات والحروب الهادفة لإبادة الشيعة في إيران والعراق

ولبنان وباكستان وأفغانستان... الخ هو الدعاء والتوسّل بالإمام الحجّة عجّل الله فرجه، وتوصية الآخرين بالدعاء وحثّهم عليه. لِنَدْعُ بدعاء الإمام عليه السلام له، وليكن دعاؤنا دعاء التائب. وطبعاً فإنّ التوبة عن كل شيء بحسب ذلك الشيء، فإذا كُنّا قد أتلفنا مالاً لأحد ما فيجب علينا أولاً إرجاع ذلك المال إلى صاحبه، ثم نستغفر الله تعالى عمّا صدر منّا من هذا الذنب.

...وقال دام ظله في موضع آخر:

وعلى كل حال فقد أكثر إمام الزمان عجّل الله فرجه وأصرّ على الوصية بقراءة دعاء الفرج في هذا الزمان، وفي هذه الظروف[١].

الدعاء المطلوب في عصر الغيبة

الظاهر وجود سرّ في التوصية بقراءة دعاء«**اللهم عرّفني نفسك...**»[٢] في عصر الغيبية.

وقد أوصونا بقراءة الدعاء التالي أيضاً: «**يا الله يا رحمنُ يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك**»[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٩٢/٥٢، ١٨٠/٥٣، الاحتجاج ٤٦٩/٢.

(٢) والدعاء هو: «**اللهمّ عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك. اللهمّ عرّفني رسولك، فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجتك. اللهمّ عرّفني حجتك، فإنّك إن لم تعرفني حجتك ضللتُ عن ديني**» انظر أصول الكافي ٣٣٧/١، بحار الأنوار ١٤٦/٥٢، ٣٢٦/٩٢.

(٣) بحار الأنوار ١٤٨/٥٢، ٩٢/ ٣٣٦، إعلام الورى: ٤٣٢، كمال الدين ٣٥١/٢.

دعاء الفرج

سؤال: هل المقصود من دعاء الفرج الذي ينبغي الدعاء به في زمان الغيبة هو دعاء «**لا إله إلاّ الله الحليم الكريم...**»[(١)]؟

الجواب: بل كل دعاء من أجل الفرج وتعجيله نظير: «**اللهمّ عظم البلاء....**»[(٢)].

دعاء الفرج دواء دائنا وعلامة تشيّعنا

دعاء تعجيل الفرج دواء دائنا، وقد جاء في الرواية ما مضمونه أنّه لن ينجو في آخر الزمان «**إلاّ من دعا بالفرج**»[(٣)].

وقد اهتمّ أئمتنا عليهم السلام بقولهم هذا بالمؤمنين والشيعة اهتماماً كبيراً لكي يعرفوهم [إنّ كلماتهم] هذه كعلامات لهم، أي أنّه إذا دعوتم بدعاء الفرج فمعنى ذلك أنّكم ما زلتم ثابتين على إيمانكم. وقد أمرونا بأوامر أخرى عجيبة وغريبة؛ لأنّ بلاءات أهل الإيمان ستشتدّ في آخر الزمان إلى حدّ أنّه ورد في الرواية: «**بعدما مُلئت ظلماً وجوراً**»[(٤)].

ويحتمل أنّه ورد في رواية: «**ينكره أكثر من قال بإمامته**»[(٥)] أي أنّ أكثر الناس

---

(١) بحار الأنوار ٢٠٦/٨٢ـ ٢٠٨.

(٢) وسائل الشيعة ١٨٤/٨، بحار الأنوار ٢٧٥/٥٣، ١١٩/٩٩.

(٣) وعبارة الدعاء هكذا: «**إلاّ من دعا بدعاء الغريق**» انظر: بحار الأنوار ١٣٣/٥٢و١٤٨، ٣٢٦/٩٢، إعلام الورى: ٤٣٢، الصراط المستقيم ٢٢٨/٢، غيبة النعماني: ١٥٩، كمال الدين ٣٤٨/٢و٣٥١، منتخب الأنوار: ٢٨٠، مهج الدعوات: ٣٣٢، وقد ورد في روايات أُخرى أنّ المقصود بدعاء الفرج هو الدعاء الآتي: «**يا الله يا رحمن يا رحيم.....**».

(٤) بحار الأنوار ٨٠/٣، ٣٥٨/٣٦، الطرائف ١٧٧/١.

(٥) والنصّ هكذا: «**لأنّه يقوم بعد.... ارتداد أكثر القائلين بإمامته** » بحار الأنوار ٣٠/٥١و١٥٧، ٢٣/٥٢،

يرجعون عن اعتقادهم وإيمانهم بالإمامة.

وكذلك أوصونا في آخر الزمان أن ندعو بدعاء الفرج هذا، والذي هو دعاء التثبيت في الدين، وهو: «**يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك**»[1].

أي اللهمّ احفظ تلك الدرجة من الإيمان التي مننت بها عليّ، وليس معناه: اللهمّ أبقنا مسلمين كما كنّا مسلمين؛ لأنّه ليس في هذا المعنى تثبيت في الدين.

وهذه التوسّلات ومواكب العزاء والتعازي الحسينية وزيارة قبور أهل البيت عليهم السلام علامة على ارتباط أهل الإيمان وعلاقتهم مع أهل البيت عليهم السلام، وأنّهم لم ينحرفوا عنهم إلى الآن. ولذا نجد أنّ الكفّار وعملاءهم قد تواطؤوا على التفرقة بين المسلمين والقرآن ـ فضلاً عن المساجد والتكايا ومجالس العزاء ـ لأنّ كل هذه كانت ضدّ رغبات سلاطين الجور، ولهذا أصدروا أوامر هدم القبور أو المنع من إقامة المجالس الحسينية.

ولقد كان اليوم الثامن من شوال وهو يوم هدم قبور أئمّة البقيع عليهم السلام يوم عطلة في الحوزة العلمية في النجف، ولكنّنا اعتدنا على [التجاوز عن] ذلك شيئاً فشيئاً حتى بات أمراً عادياً بالنسبة لنا.

قراءة دعاء الفرج لحل المعضلات الشخصية

يجب الإكثار من قراءة دعاء الفرج في أوقات الابتلاء والشدّة؛ لأنّ دعاء الفرج هو

إعلام الورى: ٤٣٦و٤٣٩، الخرائج ١١٧١/٣، الصراط المستقيم ٢٣٠/٢و ٢٣١، كشف الغمة ٥٢٦/٢، كفاية الأثر: ٢٨٣، كمال الدين ٣٧٨/٢و٣٨٤، منتخب الأنوار: ٣٩.

(١) بحار الأنوار ١٤٨/٥٢، ٣٢٦/٩٢، إعلام الورى: ٤٣٢، كمال الدين ٣٥١/٢، منتخب الأنوار: ٨٠، مهج الدعوات: ٣٣٢.

دعاء للفرج الشخصي، ولذا يجب المواظبة عليه عند الشدائد. ولقد قال الإمام السجاد عليه السلام لابن الإمام الحسن عليه السلام وصهر الإمام الحسين عليه السلام عندما أمر الوليد بضربه خمسمائة سوط، قال له: يا ابن العم لا تنسَ دعاء الفرج. فقال: وما دعاء الفرج يا ابن العم؟ فعلّمه الإمام السجاد عليه السلام دعاءً، فأخذ الحسن بن الحسن بن علي بقراءته، عندئذ نزل الشخص المأمور[1] بضربه عن المنبر وقال: «أرى سجية مظلوم، أخّروا أمره، أُراجع الأمير».

وكتب كتاباً إلى الوليد، فأمر الوليد بإطلاق سراحه[2].

والدعاء التالي نافع أيضاً لدفع البلاء والشر: «**اللهمّ صلّ على محمد وآله وأمسك عنّا السوء**»[3].

الأهم من الدعاء لتعجيل الفرج

إنّ الأهم من الدعاء لتعجيل فرج الإمام المهدي عجل الله فرجه هو الدعاء لبقاء الإيمان وثبات القدم في العقيدة وعدم إنكاره عليه السلام إلى أوان ظهوره؛ لأنّ الموت ليس إلاّ انقطاع للحياة الدنيوية الفانية، بينما الخروج من العقيدة الصحيحة يستوجب الهلاك

---

(١) والي الوليد على المدينة واسمه صالح بن عبد الله.

(٢) تفصيل هذه الحادثة في بحار الأنوار ١١٤/٢٦، ٢٣٣/٩٢، مهج الدعوات: ٢٣١. ومتن الدعاء بعنوان «دعاء الكرب» وقد جاء بهذه الألفاظ: «**لا إله إلاّ الله الحليم الكريم، لا إله إلاّ الله العليّ العظيم، سبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ الأرضين السبع وربّ العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين**».

وقد ذكر هذا الدعاء في مواضع أخرى باسم «دعاء الفرج» انظر: الكافي ٢٨٤/٤، التهذيب ٥٠/٥، وسائل الشيعة ٣٨٣/١١.

(٣) انظر: التهذيب ٢٩٤/٣، وسائل الشيعة ٥٠٦/٧، بحار الأنوار ١٧٨/٨٤، البلد الأمين: ٣٤، مصباح الكفعمي: ٤٦.

الأبدي في الحياة الأخروية الدائمة والخلود في جهنم. ولهذا سأل أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلة المبيت: «**أفي سلامة من ديني؟**»[١].

أي أنه سأل النبي الأكرم عن الاستقامة في الدين وثبات الإيمان والعقيدة حتى الوصول إلى الشهادة، وهو ـ ثبات الإيمان إلى حين الشهادة ـ أعلى من الشهادة.

ومن الأدعية التي أمروا عليهم السلام بقراءتها في عصر الغيبة الدعاء التالي وهو دعاء في غاية الأهمية: «**يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك**»[٢].

التوبة من الذنوب استعداداً لظهور الحجّة (عج)

إذا كان ظهور الحجّة عجل الله فرجه قريباً فيجب على كل شخص أن يهيّئ نفسه لذلك اليوم، ومن مقدمات ذلك التوبة من الذنوب. وهذه التوبة هي التي تؤدي إلى رفع ودفع جميع أنواع البلاء التي وردت على الشيعة، والتي لا سابق لها. وكذلك دفع ورفع البلاءات الأخرى التي تقع قبل ظهوره عليه السلام.

..وقال حفظه الله أيضاً:

نعوذ بالله تعالى أن نسير في طريقٍ يتطلب منا أن نسحق الحق بأقدامنا، ونعوذ بالله تعالى أن نسير في طريقٍ لا نستطيع الرجوع منه، ونسأل الله أن يوفقنا للرجوع من الطريق الذي نعلم بأنّنا لا نستطيع [ولا يحق لنا] السير فيه، ويجب علينا الرجوع منه، وإلاّ فإنّ الله يعلم كم ينبغي أن نكذب ونبرِّر أخطاءنا؟! ونرجو أن تكون هذه الوقائع الحادثة[٣]

---

(١) انظر عيون أخبار الرضا٢/٢٦٦، أمالي الصدوق ١٥٥، فضائل الأشهر الثلاثة: ٧٩، النص والاجتهاد: ٢٨١ و٥٢١، المراجعات: ٢٥١، كنز العمال ١١/ ٦١٧.

(٢) بحار الأنوار ٥٢/١٤٨، ٩٢/٣٢٦، إعلام الورى: ٤٣٢، كمال الدين ٢/٣٥١، مهج الدعوات: ٣٣٢.

(٣) وإشارة إلى الحرب العراقية الإيرانية.

بشارة لقرب ظهور وفرج إمام الزمان عجل الله فرجه، والذي هو متأثّر قبلنا بما يقع من تقاتل بين طائفتين مسلمتين، مما لم يحدِّث التاريخ عن مثله، وهذا ما يُقرّب أنّ هذه الأمور متصلة بظهوره عليه السلام.

التأثر لأوضاع الشيعة والمؤمنين

نحن الآن[1] حفنة من الشيعة في حالة بلاء وضيق ـ وفينا العلماء والنساء والأطفال الأبرياء ممن لا مقرّ لهم ولا مفرّ ـ أفلا يجب علينا أن نطلب من الله بعيون باكية وقلوب محزونة أن يرفع هذا البلاء؟!

وهل من الصحيح أن نجلس مرتاحين، وننظر إلى ما يجري، وإخواننا وأخواتنا في الإيمان مبتلون في أيدي الظالمين؟! فإذا كنّا اليوم لا نرحمهم، ولا ندعو لنجاتهم، فغداً عندما ينزل مثل هذا البلاء على رؤوسنا، لن يرحمنا الآخرون ولن يدعوا لنا.

إنّ الشيعة بلا ملجأ، وهم هدف للهجمات والغارات من كل ناحية بجريمة حقّانيتهم وبراءتهم. والله تعالى يعلم أنّ الشيعة ـ غير الحجّة عجل الله فرجه والمقرّبين إليه وأحبّائه ـ في أي وضع وحال! وكم يعانون من ضيق وضغوطات!

...وقال حفظه الله في موضع آخر:

ألا يُفترض أن نقلق لأنّنا [ضعفاء] في التدين بهذا النحو؟! إذا كان الشيعة الصادقون هم من «يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»[2]، فهل نحن كذلك؟ وهل نحن شركاء للأئمة عليهم السلام في أفراحهم وهمومهم وغمومهم؟! وهل من الممكن أن نكون شيعة تمرّ

---

(١) أيام الحرب العراقية الإيرانية.

(٢) بحار الأنوار ١١٤/١٠، ٢٨٧/٤٤، جامع الأخبار: ١٧٩، الخصال ٤٦٣/٢، غرر الحكم: ١١٧.

علينا ليلة من غير أن ندعو لهلاك أعداء الإسلام وأهل البيتعليهم السلام؟! أو أن نكون في دعائنا غير مخلصين؟!

إذا كان دعاؤنا مقروناً بالبكاء، فمعنى ذلك أنّنا نتقدّم إلى الأمام، وإذا ما متنا أو استشهدنا فقد تحقّق مقصودنا. والآن فإنّ إخواننا وأخواتنا في المذهب والدين يرزحون تحت الضغط والأذى، ونحن جالسون لا أُباليين نقضي أيامنا براحة. فإذن لا ضير في أن يقابلونا غداً بنفس الموقف إذا وقعنا بالضيق والشدّة، في حين ينبغي أن يكون المجتمع التوحيدي بنحوٍ إذا تعرّض جزء منه للأذى فإنّ الأجزاء الأخرى لا تقف مكتوفة الأيدي.

..وقال دام ظله أيضاً:

... مع أنّ حزن المؤمن وسروره يسري إلى باقي المؤمنين، فلماذا نحن لا أُباليين مع نزول جميع هذه البلاءات والمصائب! فإما أنّنا لسنا بمؤمنين، أو أنّ هؤلاء المبتلين ليسوا كذلك، أو أن القلوب صارت قاسية؟!

لقد ورد في الرواية أنّ ظهور قائم آل محمّدعليهم السلام سيكون «**بعد قسوة القلوب**»[1].

...وقال دام ظله في موضع آخر أيضاً:

يقول سعدي:

إنّ بني آدم أعضاء بعضهم لبعض خلقوا من جوهر واحد.

فلئن آلمت الحوادث عضواً منهم، لا يبقى لبقية الأعضاء قرار.

وقد نقل المرحوم الشيخ عباس القمي في سفينة البحار رواية وكأنّ هذا الشعر

(١) انظر بحار الأنوار ٣٦٠/٥١، ١٥١/٥٢، الاحتجاج ٤٧٨/٢، كمال الدين ٥٦١/٢.

مقتبس منها[١].

وإذا قُدّر لأحد أن يتتبع الأمثال والحكم والأشعار، فإنّه يستطيع جمع مجموعة كبيرة من الآثار.

وقد جاء في إحدى الروايات ما مضمونه: أحياناً يشعر المؤمن بالحزن والأسى دون أن يعرف سبباً لذلك، وعلة ذلك أن مؤمناً آخر في أقصى نقاط الأرض قد أصابه بلاء وربما يكون ارتفاع البلاء عنه سبباً في فرح وسرور بقية المؤمنين، وربما كان مؤمن واحد سبباً لنزول الرحمة والبركة على بقية المؤمنين.

وعلى كل حال فقد أتموا الحجة علينا، فإذا ما عرفنا تكليفنا وعملنا به هذا الزمان يحق لنا أن نرمي بعمائمنا فرحاً نحو السماء. وفي الموارد التي لا تجري فيها أصالة البراءة، مثل موارد الدماء والأموال الخطيرة والأعراض والإسلام وضروريات الدين علينا العمل بالاحتياط.

ضرورة التسليم الدائم لأمر الله

لا ينبغي لنا أن نشعر بالاضطراب والإحباط من السير في طريق الحق، أو نترك متابعته بسبب قلّة أهله وكثرة أهل الباطل.

إن علينا أن نرضى ونسلّم تجاه ما يرد في مجالي الأمور التكوينية والتشريعية، فالله سبحانه وتعالى، وإن كان قد نهى تشريعاً عن المفاسد والمعاصي، لكنّه لم يشأ أن يمنعها تكويناً، مع أنّ المصالح والمفاسد بيده.

(١) قد ورد هذا المضمون حسب تفحصنا في مجموعة من الروايات، ولكن الكلام في جميعها عن المؤمنين لا جميع الناس، انظر: أصول الكافي ٢/١٦٦، بحار الأنوار ٢٠/١٢٧، ٥٨/١٤٨و١٥٠، ٧١/٢٣٤، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٠، مستدرك الوسائل ١٢/ ٢١٧و ٤٢٤.

الصبر والإيمان

قال الإمام الصادق عليه السلام في رواية:

«شيعتنا أصبر منّا... لأنّا نصبر على ما نعلم، وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون»[١].

عجيب هو صبر الإمام الغائب عجل الله فرجه الشريف، فمع أنّه مطّلع على جميع ما نعلم وما لا نعلم ومطّلع على جميع مشاكلنا وأمورنا ومصائبنا، فإنّه عليه السلام ينتظر أيضاً يوم ظهوره الموعود وهو يعلم في أي وقت سيظهر، وما يقال بأنّه عليه السلام لا يعلم وقت ظهوره غير صحيح.

سؤال: هل من الممكن ألاّ تكون هذه البلاءات النازلة من باب العقوبة ومجازاة الذنوب، بل لأجل رفع الدرجات، ومن باب أن البلاء للولاء[٢]؟

الجواب: الموضوع واضح لأهل الولاء، إذ كلّما اشتدّ بلاؤهم ازداد إيمانهم وعندما كان ميثم التمار مصلوباً كان اطمئنانه وإيمانه يزداد في كل آن وفي كل لحظة لأنّه قد أُخبر بما يجري عليه[٣].

انتظار الفرج ووجوب التهيؤ والطاعة والعبودية

انتظار الفرج لوحده غير كاف، بل يجب أيضاً التلبس بالطاعة والعبودية، خصوصاً مع الالتفات إلى القضايا التي تقع قبل ظهور إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف، إلى حدٍّ تكون الأرض قد

---

(١) أصول الكافي ٩٣/٢، بحار الأنوار ٨٠/٦٨ وراجع أيضاً بحار الأنوار ٢١٦/٢٤، ٨٤/٦٨، تفسير القمي ٣٦٥/١، ١٤١/٢.

(٢) انظر بهذا المضمون: أصول الكافي ١٠٩/٢، ٢٥٢،٢٥٣، وسائل الشيعة ٢٥٢/٣ح٣٥٥٣، ٢٦٣/٣ح٣٥٩٣، ١٧٥/١٢ح١٦٠٠٢.

(٣) الاختصاص: ٧٥، بحار الأنوار ١٣٠/٤٢-١٣٣.

«مُلئت ظلماً وجوراً»[(١)].

يعلم الله كم يقع على رؤوس الناس من بلاء بسبب ضعف إيمانهم، ونسأل الله أن يكون ظهور الإمام عليه السلام مصاحباً للعافية المطلقة لأهل الإيمان، وأن يكون ذلك سريعاً.

وهل يمكن أن تكون العافية المطلقة من غير إيمان وطاعة وعبودية؟!

نسأل الله أن يوفّق أهل الإيمان لاجتناب الفتن المضلّة.

طريق نيل شرح الصدر في عصر غيبة إمام الزمان (عج)

ليتنا نجد طريقاً لشرح صدورنا فنتمكن من إزالة تحيّر قلوبنا بواسطة قائدنا ورئيسنا[(٢)]، وفرج ولو ساعة واحدة مرحلة يأتي بعدها النور والبصيرة، وفي البصيرة فرجنا أيضاً.

فهل فكّرنا في أن نجد طريقاً لهذا الأمر؟ وكأنّ أئمتنا عليهم السلام قد أتمّوا الحجّة علينا في هذا الموضوع، ولهذا قالوا: **«أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإنّ في ذلك فرجكم»**[(٣)]. وطبعاً ليس بمجرد لقلقة اللسان.

وقالوا أيضاً: **«تمسّكوا بالأمر الأول»**[(٤)]، أي اعملوا في الوقائع الجديدة والأمور المستحدثة كما كنتم تعملون أولاً، وقد علّمنا أئمتنا عليهم السلام أن نعمل باليقينيّات، فإن فُقد اليقين توقفنا وعملنا بالاحتياط.

---

(١) راجع بحار الأنوار ٢٢٦/٣٦و٢٥١و٢٧١و٢٧٥و٢٨٢و٢٩٠و٣٠٤و٣١٥و٣٣٣.

(٢) مقصودة الإمام الحجّة عجل الله فرجه.

(٣) بحار الأنوار ٩٢/٥٢، ١٨٠/٥٣، الاحتجاج ٤٦٩/٢، إعلام الورى: ٤٥٢، الخرائج والجرائح ١١٣/٣، كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٩٠، كشف الغمة ٥٣١/٢، كمال الدين ٤٨٣/٢، منتخب الأنوار المضيئة: ١١٢.

(٤) بحار الأنوار ٥٢/ ١٣٣، كتاب الغيبة للنعماني: ١٥٩، وتتمّة الرواية: تمسّكوا بالأمر الأول الذي أنتم عليه حتى يُبيَّن لكم.

أهمية المحافظة على الإيمان في زمان الغيبة

يُعلم من سفك الدماء الذي يقع قبل ظهور الحجّة عليه السلام أنّ ظهوره عليه السلام مانع من إراقة الدماء؛ لأنّ الجميع سيخضعون له طوعاً أو كرهاً. وكذلك يُعلم أيضاً أنّه يكثر الظلم وسفك الدماء إلى حدٍّ يتضح للجميع أنّ الأرض «**مُلئت ظلماً وجوراً**»[1]، أنّ كل أهل الأرض أينما كانوا يشعرون بكابوس الظلم والجور مخيّماً على رؤوسهم وسيكونون حتى الكفار منهم رازحين تحت ضغط الظلم والجور، وينتظرون النجاة وظهور الفرج والمصلح.

وقد أخبرنا أئمّتنا عليهم السلام في رواياتهم بأنّ أكثر أهل الإيمان والعقيدة يرتدّون بسبب الابتلاءات[2].

نسأل الله تعالى أن يحفظ إيماننا إلى ذلك الوقت، و إلاّ فإن كان الظهور قريباً ولكن مع زوال إيماننا فما لنا وللظهور حينئذٍ ؟! وما للحجّة عليه السلام ولنا؟!

وقال الشيخ مدّ ظلّه في موضع آخر: إنّ تثبيت الدين والإيمان وثبات القدم إلى حين الظهور هو أهم بالنسبة للمؤمنين من نفس ظهور الحجّة عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار ٨٠/٣، ٣٥٨/٣٦، الطرائف ١٧٧/١.

(٢) والنصّ هكذا: «لأنّه يقوم..... بعد ارتداد أكثر القائلين بإمامته» بحار الأنوار ٣٠/٥١و١٥٧، ٢٣/٥٢، إعلام الورى: ٤٣٦، ٤٣٩، الخرائج ١١٧١/٣، الصراط المستقيم ٢٣٠/٢و٢٣١، كشف الغمّة ٥٢٦/٢، كفاية الأثر: ٢٨٣، كمال الدين ٣٧٨/٢و٣٨٤، منتخب الأنوار: ٣٩.



الفصل الثامن:

متفرقات عملية وأخلاقية



كم نحن قريبون من الموت دون أن نفكّر فيه

كم هو الإنسان قريب من الموت وفي نفس الوقت يظن أنّه بعيد عنه، ويعيش في غفلة منه، يقول الشيخ الحائري[1]: رأيت عزرائيل في عالم المنام وهو يقول لي: «يجب عليك أن تستريح».

ومع أنّنا نعلم بأنّنا سنموت والذي لا نعلم به أو نظنه هو زمان الموت فقط؛ لأنّنا في كل ليلة نذهب إلى عوالم من البرزخ لا نملك فيها أي اختيار، كما قرّر ذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿**قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ**﴾[2].

وقال أيضاً: ﴿**فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى**﴾[3].

وورد أيضاً استحباب أن يقول الإنسان عند نهوضه من النوم، وقبل البدء بصلاة الليل وهو ساجد: «**الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني**»[4].

ومع هذا كلّه فنحن غافلون عن الموت، نعم هناك أشخاص كانوا في حالة انتظار واستعداد دائم للموت.

الاعتدال والوسطية

كل شيء يخرج عن حّد الوسط والاعتدال نحو الإفراط أو التفريط فإنّ نتيجته

---

(١) هو المرحوم الشيخ مرتضى الحائري ابن الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسّس الحوزة العلمية في قم.

(٢) الزمر:٤٢.

(٣) الزمر:٤٢.

(٤) أصول الكافي ٥٣٩/٢، من لا يحضره الفقيه ٤٨٠/١.

ستكون عكس المطلوب «**كل شيء جاوز حدّه انقلب إلى ضدّه**».

وعلى هذا الأساس، فالاعتدال في الغضب والشهوة، والنوم والأكل، وكل عمل آخر يكون نافعاً ومُحبَّباً، وكلا طرفيه من الزيادة والنقيصة تكون مضرّة مهلكة، اللهّم إلاّ الأمر الذي لا حدّ له.[1].

ضرورة التسليم الدائم لأمر الله

لا ينبغي لنا أن نشعر بالاضطراب والإحباط من السير في طريق الحق، أو نترك متابعته بسبب قلّة أهله وكثرة أهل الباطل. إن علينا أن نرضى ونسلّم تجاه ما يرد في مجالي الأمور التكوينية والتشريعية، فالله سبحانه وتعالى، وإن كان قد نهى تشريعاً عن المفاسد والمعاصي، لكنّه لم يشأ أن يمنعها تكويناً، مع أنّ المصالح والمفاسد بيده.

إنّ الشيعة بلا ملجأ، وهم هدف للهجمات والغارات من كل ناحية بجريمة حقّانيتهم وبراءتهم. والله تعالى يعلم أنّ الشيعة ـ غير الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف والمقرّبين إليه وأحبّائه ـ في أي وضع وحال! وكم يعانون من ضيق وضغوطات!

دور الطعام الحلال والحرام في سعادة الإنسان وشقائه

الويل لنا إذا لم نتجنّب تناول الأطعمة والأشربة المحرّمة؛ لأنّ هذه الأطعمة هي منشأ علمنا وإيماننا أو كفرنا، إذ قد يأت وقت نجد أنفسنا فيه وقد آمنّا بيزيد.

ويستفاد من آية: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2] أنّ نفس الأكل والتناول كان في سلسلة العلل والمعاليل في هبوط آدم عليه السلام.

---

(١) وهو ذكر الله. انظر أصول الكافي ٤٩٨/٢، وسائل الشيعة ١٥٤/٧، عدّة الداعي:٢٤٨.

(٢) البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩.

والإنسان الذي له قابلية أن يكون ملكاً ـ مهما كان طرفه المقابل في أسفل السافلين ـ [يتحقق له ذلك بواسطة] الأكل والشرب الذي تظهر قوّته في الدم، وبالتالي يظهر أثره في الأعضاء، بل في روح ومخ الإنسان وفكره.

وكل هذا التوفيق الذي ناله العلماء السابقون في العلم والعمل، والبركة التي كانت في أعمارهم، والسلامة عن الانحرافات الفكرية التي اتَّصفوا بها، كل ذلك كان ناتجاً من تناول الأطعمة الحلال والاجتناب عن الشبهات.

الموت في نظر أمير المؤمنين وسيد الشهداء عليهما السلام

جاء في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: «**والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه**»[1].

وجاء في كلمات سيدّ الشهداء عليه السلام: «**وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف**»[2].

وقال عليه السلام أيضاً حين خروجه من مكّة متّجهاً إلى كربلاء: «**من كان باذلاً فينا مهجته، موطِّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا**»[3].

أي أنّه دعا الجميع إلى الجهاد والحرب والقتل. وكذلك أهل الجنّة أيضاً فإنّهم يدعون أصدقاءهم الذين في الدنيا، ويسألونهم عن سبب عدم مجيئهم، وبقائهم في السجن والقفص؟!

---

(١) نهج البلاغة: ٥٢، بحار الأنوار ٢٨/ ٢٣٣، ٥٧/٧١، ٣٣٤/٧٤.

(٢) بحار الأنوار ٤٤/ ٣٦٦، كشف الغمة: ٢٩، اللهوف: ٦٠.

(٣) بحار الأنوار ٤٤/ ٣٦٦، اللهوف: ٤٠.

حمل همّ المعيشة وغمّها أسوأ من مشقّة العمل

نسأل الله أن يرزقنا اليقين! هل تجد إنسانا يخاف الموت من الجوع؟! ولكن ينبغي أن نعلم أنّه كما يمكن أن يموت الإنسان من الجوع إذا كان الموت مقدّراً له، فمن الممكن أيضاً أن يموت من الشبع، وكم هو حسن أن يكون الإنسان مطمئناً على أمر معيشته؛ لأنّ حمل هم المعيشة وغمها أسوأ من مشقّة العمل، فإنّ من ابتُلي بهمّ المعيشة تراه يعمل ليلاً ونهاراً، ومع ذلك يعاني من التحسّر والغم لأمر الرزق.

التساهل في الاستهلال

كم من الخيرات تفوتنا بسبب إهمال الاستهلال لمعرفة أول الشهر القمري؟! وكم من الحرمان يصيبنا كعدم معرفتنا بمثل ليلة القدر وليلة النصف من شعبان.. وغيرهما؟! وكم يفوتنا كذلك من الأعمال الخاصة في هذه الليالي؟! وليس من العبث واللغو قولهم عليهم السلام: «**لا وفّقكم الله لفطر ولا أضحى**»[(١)].

يقع التساهل من قبلنا كثيراً في الاستهلال لبعض الأشهر، بينما لو قمنا بالاهتمام بذلك فإنّ الاستهلال في الأشهر السابقة نافع في كثير من الحالات لمعرفة بدايات الأشهر اللاحقة.

مستحبّ فيه ألف واجب

من المعلوم أنّ صلاة الليل مستحبة كالمجلس الحسيني، فإنّه عندما منع رضا خان من إقامة المجالس الحسينية خاطب أحد أصحاب الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله

---

(١) من لا يحضره الفقية ٨٩/٢، بحار الأنوار ٢١٨/٤٥، علل الشرائع ٣٨٩/٢، وسائل الشيعة ١٠/٠، ٢٦٥، ٢٩٦.

الشيخ قائلاً له: ليس بالأمر المهم فقراءة العزاء عمل مستحب وقد منع منه الشاه البهلوي [رضا خان] فأجابه الشيخ الحائري رحمه الله: نعم هو مستحب لكنه ينطوي على ألف واجب.

والله يعلم كم من الأحكام الواجبة والأمور الأخرى من سيرة وكلمات سيد الشهداء وسائر المعصومين عليهم السلام، ممّا ينقل في مقدمة قراءة المجلس الحسيني، ويكون سبباً في تقوية الدين وموجبا لزيادة إيمان الناس.

الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة

يجب على الإنسان أن يسعى في دنياه أن تكون جميع حركاته وأفعاله وأقواله وفقاً للصراط المستقيم، وأن لا ينحرف عنه. والكون على الصراط المستقيم يعني أن نجعل النبيّ صلى الله عليه وآله والوصيّ عليه السلام أمامنا ثم نتبعهما.

والصراط المستقيم صراطان يجب طيّهما: أحدهما في الدنيا، والثاني في الآخرة وإذا ما استطعنا اليوم المشي بصورة صحيحة على الصراط في الدنيا، فإنّنا نستطيع غداً العبور على صراط الآخرة فوق جهنم أيضاً.

وعبارة «**كتاب الله وعترتي**» الواردة في حديث الثقلين هي نفسها عبارة «**كتاب الله وسنّتي**»؛ لأنّ السنّة الواقعية لرسول الله صلى الله عليه وآله هي عند العترة.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن نعتبر العترة هي واسطة الفيض في جميع النعم وأن نتوسل بهم، وأن نعمل بما نعلم «سواء حصلنا عليه عن طريق الاجتهاد أو التقليد»، و إلاّ فسوف نندم، وأن لا نقدم على ما لا نعلم، وإلاّ فسوف نندم أيضاً، بل يجب الاحتياط والتوقّف في مواقع الشك والشبهة، حتى نسأل أهل العلم عنها، والعمل بالاحتياط لن يجرّ ندماً.

البلاء العام

يكون البلاء في بعض الأحيان عاماً فيحرق الأخضر واليابس، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً...﴾[1].

أثر تناول الأطعمة المشبوهة

إنّ تناول الأطعمة المشبوهة، وكذلك تناول أطعمة من لا يتجنّب عن الحرام، وإن كان جائزاً ولكنّه يسبب المرض للإنسان[2]، ويحرمه من العبادة، أو يكون سبباً لسلب التوفيق.

الأثر التكويني للأذان والإقامة

إنّ الأذان والإقامة في أُذن الطفل عند ولادته[3] هو تعريف تكويني للإيمان بالنسبة له.

وكذلك تحنيك الطفل بماء الفرات والتمر[4] له أثر تكويني.

الترجيح بين الأبوين في الإحسان

سؤال: ورد بعض الروايات ولعلّه عن النبيّ الأكرمﷺ أنّ الإحسان إلى الأم

---

(١) الأنفال: ٢٥.

(٢) الظاهر أنّ المراد المرض الروحي والمعنوي، وإن كان ممكناً أن يكون المقصود هو الأعم من المرض الروحي والجسمي.

(٣) راجع: الكافي ٢٣/٦و٢٤، من لا يحضره الفقيه ٢٩٩/١، التهذيب ٤٣٧/٧، وسائل الشيعة ٤٥٦/٥، ١٣١/٢٠، ٤٠٥/٣١.

(٤) راجع: وسائل الشيعة ٥٢١/١٤، ٤٠٧/٢١، ٢٦٦/٢٥، مستدرك الوسائل ٣٢٩/١٠، ١٣٨/١٥، ٢٢/١٧.

مقدّم على الإحسان على الأب: «**للأُمّ ثلثا البرّ**»[1]. فهل الأمر كذلك؟

الجواب: إذا كان الأب و الأم متساويين من جميع الجهات فالأمر كذلك، ولكن إذا كان الأب أرجح من الأم من جهات العلم والتقوى والتربية... الخ فيمكن أن يكون برّه وإحسانه مقدّماً على الأُم.

إطاعة الوالدين في ترك المستحبات

سؤال: هل يجب إطاعة الوالدين في ترك المستحبات؟

الجواب: نعم، ولكن تستطيعون عندما تؤدّون المستحبات أن تعملوا بنحو لا يؤذيهما؛ لأنّ إيذاءهما حرام.

عبادة النظر

جاء في الرواية: «**النظر إلى الكعبة عبادة، والنظر إلى الوالدين عبادة، والنظر في المصحف من غير قراءة عبادة، والنظر إلى وجه العالم عبادة، والنظر إلى آل محمد عليهم السلام عبادة**»[2].

إنّ النظر المستمر إلى القرآن هو دواء لأوجاع العين، والظاهر أن النظر إلى المصحف هو الذي يترتب عليه هذا الأثر، وأمّا قراءة القرآن من غير المصحف فهو خارج عن محلّ الرواية.

(1) روضه الواعظين ٣٦٨/٢، بحار الأنوار ٣٣٠/١٣، ٦٦/٧١.

(2) من لا يحضره الفقيه ٢٠٥/٢، بحار الأنوار ٦٥/٩٦، وانظر أيضاً: وسائل الشيعة ٣١٢/١٢، ٢٦٤/١٣.

أهمية التوفيق لتشخيص العمل النافع

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لتشخيص العمل النافع لنا، وأن يرزقنا الثبات عليه، وأن نكون ثابتي القدم فيه، وأن لا تدور في رؤوسنا في كل يوم فكرة جديدة لعمل جديد وألاّ نتلوّن في كل لحظة بلون جديد.

لذّة الحلال كلما اشتدت كانت أكثر إلهية

سؤال: هل يمكن أن تكون لذّات الحلال الموافقة لطبع الإنسان وميله إلهية؟

الجواب: لذّة الحلال الباعثة على ترك الحرام ولذّته تكون إلهية، ومهما كانت لذّة الحرام أشدّ كان تركها أكثر إلهية، وهذا بسبب ترك ضدّها. والمقولة القائلة بأنّ اللذّة في ترك اللذّة تحمل في طياتها تناقضاً، فنحن لا نخرج من عهدة النفس المتمردة والمعاندة وهوى النفس.

قال أحدهم لصاحبه: ماذا سيكون جوابك لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وأنت تنظر لامرأة أجنبية من فوق السطح؟

وعلى كل حال فإنّ البعض يرى اللذّة في الخلوة مع الله، وأُنس مناجاته، والتهجّد له، بينما يرى البعض الآخر اللذّة في العشرة والجلوس مع أهل الغفلة والبطالة والمعصية. فشخص يطلب اللذّة بالصمت والسكوت وعدم الضوضاء، وآخر يطلبها في اللهو والطرب الصاخب والحافل.

نزاع البشر على سموم الدنيا

من المستحسن أن نجعل الأحكام الإلهية ملاكاً في شؤون حياتنا [واختلافاتنا] وأن نسعى لتحقيق الانسجام فيما بيننا، فالله تعالى هو الرؤوف والرحيم بكلا الطرفين، لا أن

يقول أحد الطرفين: يجب تنفيذ أوامري ورغباتي، ويقول الأخر أيضاً: بل أوامري أنا. فلماذا لا نصغي إلى الأوامر الإلهية؟!

إنّ الطيبات والأغذية الجيدة واللذائذ الأُخرى تتعقبها الأيام السيئة والعاقبة غير المرضية مما يكون ثمرة ونتيجة ومولوداً للإفراط والغور في هذه الطيبات واللذائذ. إضافة إلى أنّ هذا في محاسن الدنيا فكيف سيكون الحال في مساوئها؟!

وها نحن نتخاصم ونتقاتل من أجل الدنيا التي محاسنها هكذا! نتصارع على هذا السم القاتل والخادع، فأنا أقول: إنّ هذا السم المهلك لي، والآخر يقول أيضاً: بل هو لي! وهذه هي الدنيا التي تجعل الطفل شاباً والشاب كهلاً والكهل حطاماً!

البحث عن الحق والحذر في تقليد الآخرين

لا ينبغي الاعتماد على كلام غير المعصوم مائة بالمائة مهما كان هذا المتكلّم جليلاً، بل يجب احتمال الخطأ فيه، وحتى كلام المعصومعليه السلام فإنّ له سبعين محملاً ولا يمكن الاعتماد على ظاهر معناه للوهلة الأُولى والعمل به قبل الفحص عن المعارض والصارف له عن معناه الظاهري.

وعلى هذا فإنّ أول تنبيه لطالب الفهم والمعرفة هو أن يحتمل الخطأ فيما يراه أو يسمعه من كلام حتى لو صدر من شخص جليل، ولا يصح ولا ينبغي الاعتماد على كلام وحديث شخص ما لمجرّد كونه جليلاً وعظيم الشأن، ولا تدعوا الأمور تمضي بمجرّد الاعتماد على الآخرين [والثقة بهم]؛ لأنّ هؤلاء غير معصومين.

نقل أحد الأجلاّء عن أُستاذه أنّه قال: افتحوا عيونكم جيداً في كلّ مسألة تبحثون فيها.

ويقول أحد العلماء: لقد كنت أعتمد كثيراً على آراء الآخوند الخراسانيرحمه الله

ولكن رأيت في بعض المواضع أني قد ظفرت به[١]، فلو قال لي الآن: إنّ اللبن أبيض فإني أفتح عيني جيداً، فلعلّه يميل إلى الصفرة!

قراءة الشعر في ليلة الجمعة

سؤال: هل يُكره قراءة الشعر في ليلة الجمعة؟

الجواب: يُكره إنشاد الشعر المناسب للسهرات الليلية ومجالس الأنس واللهو، ولا يُكره الشعر الذي فيه ذكرٌ لله تعالى ومناجاته، أو الذي أُنشد في مدح الأئمة الأطهار والنبي صلى الله عليه وآله[٢].

نسأل الله أن لا نرى أنفسنا في غنى عن الآخرين

نسأل الله تعالى أن ينبّهنا ويوقظنا لنفهم أنّنا لسنا من المتنبهين والعلماء، وأنّنا لا نستطيع إدارة أنفسنا لوحدنا، وأنّنا بحاجة إلى مأمن يرشدنا إلى ملجأ، ونسأل الله أن لا نعتبر أنفسنا علماء وأصحاب بصيرة مستغنين إلى حدّ أنّنا «لا نحتاج إلى أحدٍ»، وحينئذٍ سنبتلى بالهلاك والشقاء الأبدي والذل والهوان وقد جاء في الرواية: «**إنّ المؤمن ليشفعُ في مثل ربيعة ومضرّ**»[٣] والمؤمن العالم يكون كذلك بطريق أولى.

لزوم الصبر عند الفقر

إذا قسنا حياة العلماء السابقين بحياتنا اليوم فلن نجد وجهاً للمقارنة بينهما! فإنّ ما

---

(١) كناية عن إمكان الاعتراض على بعض نظرياته.

(٢) انظر: وسائل الشيعة ٤٠٢/٧، روايات باب ٥١، مستدرك الوسائل ٩٩/٦، روايات باب ٤٣.

(٣) بحار الأنوار ٣٨/٨، تفسير القمي ٢٠٢/٢.

نتقاضاه من الحقوق الشرعية في شهر واحد كان يكفي لإدارة شؤون حياتهم سنة كاملة.

إنّ الحد الأدنى لتكليفنا هو أن نصبر حين لا نجد المال، وأن نعمل بما تقتضيه أحكام الحلال والحرام إذا وُجِد.

وظائف الفقراء عند الحاجة

طبعاً يجب على الفقراء عند الحاجة والفقر الصبر والتحمّل، وليعلموا أنهّم يتمتّعون بنعمٍ أخرى لا يتمتع بها الأغنياء، كما أنّ الأثرياء يعانون من ألوانٍ من الابتلاءات والهموم، في حين أنّ المستضعفين والمحرومين في عافيةٍ منها. ترى [جمال] الطاووس لكن انظر إلى رجليه أيضاً؛ والسعادة والسرور لا يكونان بكثرة وسائل الرخاء فقط فالراحة النفسية، والرفاه والسرور وطمأنينة القلب، لا تكون بامتلاك وسائل الراحة والرفاه [المادي]. بل كثيراً ما تكون هذه الوسائل سبباً للاضطراب والقلق الداخلي، وقد جاء في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: «**المصائب بالسويّة مقسومة بين البريّة**»[1]، أي أنّ الأقداح مختلفة ويجب أن تمتلئ بالفقر والبلاء والسرور... الخ، وهل كان ليستقيم نظم الحياة الاجتماعية لو صار الجميع مثل بعضهم الآخر، وكانوا شركاء جميعاً في المال والثروة، و متساوين فيهما، ؟!

من آثار آية الكرسي

تُقرأ آية الكرسي بعد الفرائض اليومية لحفظ صحّة العين، ثم تضع اليدين بعد

(١) مستدرك الوسائل ٤٨١/٢، بحار الأنوار ٥٣/٧٥، ٧٩/ ١٣٤، تحف العقول: ٢١٤، الدعوات: ٢٨٨، غرر الحكم:١٠١.

الانتهاء، من القراءة على العينين وتدعو: «**اللهمّ احفظ حدقتيّ بحقّ حدقتي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام**».

وطبعاً فإنّ آية الكرسي نافعة لدفع جميع الأخطار، ولها فوائد جمّة بعد الصلوات اليومية[1].

أعمال للنسيان والعثور على الضالة والتوسّل بالقرآن لكل حاجة

من المستحسن أن يقرأ الدعاء التالي للعثور على الأشياء الضائعة: «**اللهم إنّي أسألك يا مذكّر الخير وفاعله والآمر به أن تصلّي على محمد وآل محمد وتذكّرني ما إنسانيه الشيطان**»[2].

وكذلك فإنّ قراءة هذا الدعاء نافع في تذكّر الأشياء المنسيّة، وقد نقلت رواية عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام بهذا الخصوص.

كما أنّ الصلاة على محمد وآل محمد مؤثّرة في النجاة من الازدحام.

كان المرحوم الزنجاني يحضر درس الشيخ أبي القاسم القمي رحمه الله، فقال له الشيخ مرّة: أحضر الكتاب الفلاني، فجاءه بكتاب آخر، فقال له: قلت الكتاب الفلاني ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى**﴾[3].

---

(١) راجع: وسائل الشيعة ٦/ ٤٦٧ باب ٢٣، مستدرك الوسائل ٦٦/٥ باب ٢١.

(٢) لم نجد هذه العبارة والتي بعدها في الروايات، ولكن جاء في الرواية المنقولة عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**في القرآن شفاء من كل داء**» انظر: مستدرك الوسائل ٩٨/٢، بحار الأنوار ٢٦٢/٥٩ ١٧٦/٨٩ و ٢٠٢، فقه الرضا: ٣٤٢، مكارم الأخلاق: ٣٦٣.

(٣) الأعلى: ٦.

ولا يستبعد أن تكون قراءة هذه الآية مؤثرة في علاج النسيان؛ لأنّه جاء في الرواية: «**خذ من القرآن ما شئت لما شئت**»[١]، وهذه الرواية تشمل أيضاً التذكّر والنسيان.

وورد كذلك في رواية أخرى ظاهراً: «**يستشفى به لكلّ داء**».

ومع ما لدنيا من القرآن والعترة والعلماء المعاصرين، فإنّنا ما زلنا نستجدي من أمريكا وروسيا كي يعطونا شيئاً ما تفضّلاً، فنحن مستعدون للجلوس في طريقهم من الصباح إلى المساء ليعطونا أخس المبالغ وأزهدها، إنّنا نرى الصورة الظاهرة لهذا المال ولكنّنا لا ندرك باطنه وهو الاستعباد والخضوع لهم.

جواب اعتراض على الزيارة الرجبيّة

اعترض الشيخ مهدي الخالصيقدس سره على مفاتيح الجنان لنقل الشيخ عباس القمي فيه الزيارة الرجبية، في حين أنّه قد جاء في هذه الزيارة: «**فبكم يُجْبَر المهيض ويُشفى المريض**»[٢] كما اعترض على ترك الناس مصباح الكفعمي وعدم استفادتهم منه؟!

مع أنّه ليس من المعلوم أنّ الكفعمي لم يذكر الزيارة الرجبية أو أمثالها في كتابيه «المصباح» و«البلد الأمين»[٣]، فقد نُقل في كثير من الموارد أنّه: «**بكم فتح الله وبكم يختم**»[٤]، وهي تفيد نفس المضمون [الوارد في الزيارة الرجبية].

---

(٢) بحار الأنوار ١٩٥/٩٩. إقبال الأعمال: ٦٣١، مصباح المتهجد: ٨٢١

(٣) لم تذكر هذه الزيارة في كتابي «المصباح » والبلد الأمين »، ولكن وكما تفضّل به سماحة الأستاذ مدّ ظله توجد فقرات مشابهة أو أعم صادرة عن الأئمةعليهم السلام في زيارات أخرى، كما سيأتي الإشارة إليه في الهامش اللاحق.

(٤) البلد الأمين:٣٠٢، وراجع أيضاً:مستدرك الوسائل ٤٢٣/١٠.

وكذلك وردت فقرة: «**بكم فتح الله وبكم يختم**» في المصادر التالية: الكافي ٥٧٥/٤، من لا يحضره الفقيه ⬅

غسل الجمعة وآثار المداومة عليه

سؤال: هل يوجد في الروايات أنّ من واظب على غسل الجمعة أربعين يوماً فإنّ بدنه لا يتلاشى في القبر؟

الجواب: لم أرَ التعبير بأربعين يوماً في الروايات، ولكن ورد التعبير بالمداومة وطبعاً لا استبعاد فيه، فإنّ كثيراً من أجساد العلماء والصلحاء شوهدت طريّة بعد مضي سنوات طويلة على دفنها.

➡

٦١٥/٢، التهذيب ٥٤/٦و٩٩، وسائل الشيعة ٤٩٠/١٤، بحار الأنوار ١٥٣/٩٨و٢١٢، ١٣١/٩٩و١٥٤، عيون أخبار الرضا ٢٧٦/٢، كامل الزيارات: ١٩٧، كتاب المزار:١١١.

حول الاستخارة:

الاستخارة ارتباط تكويني بين الخالق والخلق

يقول أحد السادة: كان أبي[١] متزوجاً من عدّة نساء، وكانت له بيوت عديدة فأردت اللقاء به فاستخرت الله عزّ وجلّ أن أذهب إلى كلّ واحد من بيوته، وكانت نتيجة الاستخارة النهي عن الذهاب إلى أيٍّ منها، ثم استخرت الله تعالى للذهاب إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام، وإلى مقابل الحرم، وإلى وادي السلام، فكان النتيجة في جميعها النهي عن الذهاب.

ومن جهة أُخرى كانت الضرورة توجب أن ألتقي به فبقيت واقفاً في مكاني، بعد عدّة لحظات رأيت والدي قادماً نحوي، وعند وصوله إليّ قال: كنت قد استخرت الله؟! إمّا أن لا تستخير أو إذا استخرت، فلا تخالف الاستخارة.

والاستخارة إحدى كرامات الشيعة، وإحدى علامات حقّانية التشيّع. الاستخارة بمعنى طلب تعيين الخير والشر هي ارتباط تكويني بين الخالق والمخلوق.

---

(١) المراد به ظاهراً هو المرحوم السيّد علي القاضي قدس سره.

الاستخارة بالقرآن والإخبار عن الغيب

لقد شوهدت العجائب والغرائب في التفأل بالقرآن، يقول أحدهم: استخرت بالقرآن لأمر ما فجاءت الآية تحمل اسم ذلك الأمر بعينه.

وهذا القرآن هو الذي يمتلك هذه الصفة، ويتمتع بخاصّية حكاية الغيب، لكن الناس يعتقدون أنّ تلك الخاصية هي للشخص المستخير، ويرونها علامة على شدة صلاحه واطلاعه على الغيب! فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يستطيع هؤلاء الرجال الإخبار عن الغيب من دون القرآن؟!

قيل لأحد المشايخ الذي كان يستخير ويجيب في الاستخارة [بالتفصيل]: وهل تعلم الغيب؟ فقال: ألا ترى أنّي أتحدّث على ضوء القرآن؟!

حول الاستخارة

سؤال: هل كان يستخير [الميرزا الشيرازي] بالقرآن أو بالسبحة؟

الجواب: الاستخارة بالسبحة كانت هي المتعارفة آنذاك، لا الاستخارة بالقرآن. وقد نُقِل عن بعض العلماء أيضاً أنه قال: نحن لا نفهم [المطلوب] من القرآن.

استخارة الميرزا محمد تقي الشيرازي قدس سره

كان الميرزا محمد تقي الشيرازيقُدِّسَ سِرُّهُ لا يقرأ شيئاً للاستخارة، ولا يُعلم هل كان يقول (يا الله) مرّة واحدة أم لا، فهل تشمل مطلقات الاستخارة مثل هذه الاستخارة؟ وطبعاً المقصود من الاستخارة هو الاستخارة بمعنى طلب التعيين والاختيار لا الاستخارة بمعنى طلب الخير.

استخارة لآية الله بهجت

كان المرحوم الهمداني من العظماء في العلم والعمل.

ذهبت إليه مرّة مع أحد أبناء العلماء الذي عرّفني إليه، فقال لي مرّتين: إذا ذهبت إلى إيران فارجع إلى النجف، وذكر اسم مدينة أخرى أيضاً. ثم جئت إلى قم، ولست أدري هل كان السبب عدم تيسّر جواز السفر للرجوع، أم أنني استخرت على ذلك لكن على أية حال لم أرجع إلى النجف بعدئذ.

وقد طُلِب منّي في عدّة مدن مختلفة التوجه إليها وإدارة شؤون الحوزة فيها فاستخرت الله تعالى بالقرآن لمدينتين منها حسبما أذكر، فخرج في الاستخارة نفس اسم المدينة التي ذكرها المرحوم الهمداني. وهذا من معجزات القرآن، وكرامات هذا الرجل.

طريقة آية الله بهجت في الاستخارة بالسبحة

كلّما أردت الاستخارة لنفسي فإنّي أستخير بالسبحة[1]، ثم أستخير على الترك أيضاً، وإذا كانت الاستخارة وسطاً[2] فإنّي لا أعمل بها، إلاّ إذا كان فعلها جيداً وتركها سيئاً.

الاستخارة في التجارة

كان السيّد البروجردي قدّس سرّه يقول للتجار: لا تستخيروا في التجارة؛ لأنّكم تعتبرون

---

(١) وكيفية استخارة الشيخ بهجت فهي: الصلاة على محمد وآل محمد ثلاث مرّات، ثم يأخذ قبضة من السبحة ويفصلها اثنين اثنين، فإذا بقيت حبة واحدة منها فإن العمل جيد، وإذا بقيت اثنان فإن العمل سيء.

(٢) أي يكون الفعل جيداً والترك جيداً أيضاً.

عندئذ فيما لو خسرتم أنّ الاستخارة هي سبب خسارتكم وإفلاسكم.

ولا يعلم مثل هؤلاء الأشخاص أنّهم لو أقدموا على تلك الأعمال من غير استخارة ماذا كان سيحدث؟ وأيّ خسارة في أموالهم وأنفسهم سيبتلون بها تكون أشدّ ممّا قد أُصيبوا به.

الاستخارة والإخبار عن الغيب

كان أحد أهل العلم يعاني من شظف العيش في النجف أو كربلاء، فقال في نفسه: أذهب إلى إيران وأخلع لباس أهل العلم وأترك الدرس والبحث جانباً وأتوجه للعمل والتكسب.

ولذا ذهب إلى أحد العلماء ـ الذين أعرفهم شخصياً ـ ليترك عائلته في كفالته عند السفر. فقال له ذلك العالم: هل استشرت أحداً؟ فقال: لا.

فقال: اذهب إلى العالم الفلاني الموجود في الحرم واستخر الله عنده.

فذهب إليه وعندما رجع سأله ذلك العالم عن جواب الاستخارة، فقال: بمجرّد أن استخار لي خاطبني قائلاً: ألا تستحي؟! ألا تخاف من الله؟! تريد الذهاب إلى إيران وترتاح هناك وتترك عائلتك هنا تحت الضغوطات؟! ابقَ هنا، وسيجعل لك الله تعالى فرجاً في أمرك. فتقبّل كلامه بقبول حسن وتراجع عن تفكيره الباطل. ولم تمض عليه فترة طويلة حتى استقامت أوضاعه وتحسنت.

عجائب الاستخارة بالقرآن

لقد شُوهد أنّ البعض قد استخار بالقرآن فرأى في آية الاستخارة نفس القضية حتى بالاسم [بل كان بعضهم يخبر عن القضية المستخار عنها بالسبحة أيضاً] وهذه

القصة المعروفة التي حصلت ظاهراً للسيّد حسين القمي عندما استخار عند أُستاذه بالسبحة فقال له [في الجواب]: أتريد الذهاب إلى الحج، إن شاء الله جيدة!

ومع هذا فإنّ بعض المصابين بعمى الباطن لا يعتقدون بأصل الاستخارة، سواء كانت بالقرآن أو السبحة.

العثور على الخاتم بالاستخارة

فَقَدَ المرحوم شريعمتدار الرشتي خاتمه الفيروزج الذي كانت قيمته ثلاثين توماناً آنذاك بين مسجد السهلة ومسجد الكوفة، ويفصل بينهما مسافة كيلومترين إلى ثلاثة كيلومترات، فلجأ إلى الاستخارة في سبيل العثور عليه. وقد تم له ذلك، وعثر عليه بالفعل بواسطة الاستخارة، حيث نصّف المسافة أولاً، ثم استخار على البحث في أيهمّا ثم نصّف هذه المسافة أيضاً واستخار لحصر البحث في أحد نصفيها، وهكذا إلى أن وصل إلى الخاتم.

الاستخارة بالسبحة والإخبار عن الغيب

يقول السيّد الخميني قدس سره: ليس عجيباً ما يصدر من أولئك الذين يستخيرون بالقرآن ويُخبرون عن القضية المستخار عنها، ولكن العجيب هو أولئك الذين يستخيرون بالسبحة ويخبرون كذلك!

الاستخارة للذهاب إلى المرافق الصحيّة

استيقظ المرحوم الكلباسي[1] مرّة في إحدى الليالي ليجد نفسه في حالة من الحصر

(١) هنالك عدّة علماء معروفين بهذا الاسم، راجع معجم مؤلفي الشيعة: ٣٥٦ - ٣٥٧.

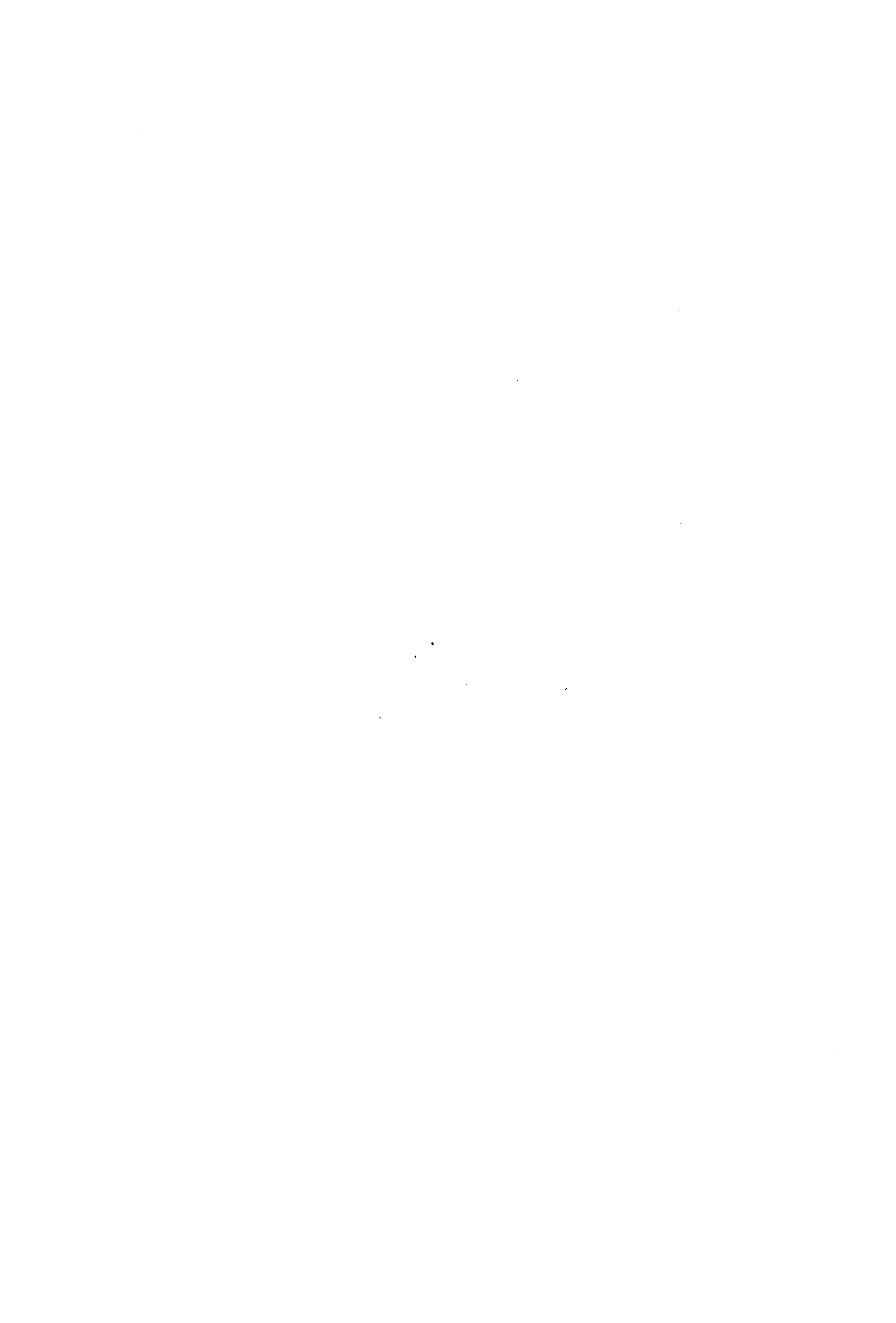
والحاجة للذهاب إلى المرافق، ولكنّه ارتأى أن يستخير أولاً على الذهاب، فكانت نتيجة الاستخارة الأولى نهياً عن الذهاب، فصبر هنيهة ثم استخار أُخرى، ولكن جاءت النتيجة أيضاً بالنهي عن الذهاب، ثم استخار ثالثة أن يذهب إلى المرافق ويأخذ معه فانوساً فجاءت الاستخارة نهياً، فاستخار الرابعة أن يذهب وبصحبته الفانوس والعصا وهنا جاءت الاستخارة جيدة، فاتجه إلى المرافق ليفاجأ هناك بوجود حية فقتلها بالعصا وقضى حاجته، وبهذا النحو يكون قد استخار أربع مرات من أجل الذهاب إلى المرافق.



الفصل التاسع:

متفرقات علمية وكلامية





لماذا خلق الله كثيراً من الناس الذين يستحقون النار

سؤال: لماذا خلق الله تبارك وتعالى كثيراً من الناس الذين يستحقون النار؟

الجواب: جاء في الحديث القدسي: «كنتُ كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف»[1]، ولقد اصطفى الله تعالى عدّة من البشر، وجعلهم في جواره، وأهل أُنسه وجلساءه، ومظهر أسمائه وصفاته، وكل واحد منهم في كفة وباقي البشر في الكفة الأخرى. فلو قيست قيمة الأفراد بالميزان، لكانت قيمة مؤمن واحد أفضل وأثقل من آلاف الناس غير المؤمنين. ولقد جاء في الرواية: لو وُجِد في العالم إمام ومعه مأموم واحد، فإنّ الهدف من الخلق يكون قد تحقّق[2].

الابتلاءات وأثرها في إفاضة المعرفة

ما الذي نعلمه نحن [مهما كانت معلوماتنا فهي تظل هزيلة لندّعي المعرفة والإحاطة]؟! الله تعالى يعلم أنّ بعض الابتلاءات هي شرط لبعض الإفاضات، يقول أحد الأشخاص: «أُبتليت بالمشكلة الفلانية فأضيف إلى معلوماتي الكثير».

---

(١) بحار الأنوار ١٩٨/٨٤و ٣٤٤.

(٢) يشير الأستاذ ـ مدّ ظله ـ إلى الحديث القدسي: «لو لم يكن من خلقي في الأرض فيما بين المشرق والمغرب إلاّ مؤمن واحد مع إمام عادل لاستغنيت بعبادتهما عن جميع ما خلقت في أرضي، ولقامت سبع سماوات وأرضين بهما، ولجعلت لهما من إيمانهما أنساً لا يحتاجان إلى أُنس «سواهما» انظر: أصول الكافي ٣٥/٢، بحار الأنوار ١٤٩/٦٤، ١٥٢/٧٢، عدة الداعي: ١٩٥، مجموعة ورّام ٢٠٨/٢، مشكاة الأنوار: ٢٨٤. وخلاصة **الجواب** أن الغرض من خلق الأنبياء والأوصياء والأولياء والمؤمنين حاصل وواقعي، وأمّا الآخرين فقد استحقوا النار باختيارهم.

نعم للتقية في العمل، ولا للاضطراب الباطني

جاء في الرواية: «التقية ديني ودين آبائي»[١].

ولهذا فنحن نعتبر التقية لازمة وواجبة في كل مكان، وقد وردت في القرآن أيضاً[٢]. وهي تعني أن نظهر المحبّة أو العداوة قولاً وعملاً، مع لزوم المخالفة القلبية لما نظهره؛ إذ إنّ حصول الاضطراب الباطني ورفع اليد عن الإيمان موجب للهلاك الأبدي.

كلما كان البلاء يزداد على ميثم التمّار كان يزداد ويشتد إيمانه بالولاية[٣]، فلو سلبونا الإيمان ألا يسلبوننا الإسلام؟! ولو أخذوا منّا روح الإسلام ألا يأخذون صورة الإسلام أيضاً؟![٤].

وجوب احترام أولياء النعم كل بحسب درجته

أُمرنا أن نعرف مقام أولياء نعمتنا والمحسنين إلينا كالوالدين والمعلّم، وأن نحترمهم ونوقّرهم حتى نصل إلى مبدأ الإنعام، كما أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام هم أولياء النعمة وواسطة الفيض في كل زمان.

ارتباط الحوادث بعللها

سؤال: لقد ذكرتم فيما مضى أنّ شخصاً كانت عنده مشكلة علمية، وقد قضى سنوات من عمره بحثاً عن حلّ لها، لكنه يعثر في أحد الأيام على قصاصة من الورق

---

(١) وسائل الشيعة ١٦/ ٢١٠، بحار الأنوار ٧٣/٢، ٤٩٥/٣٦، ٤١١/٧٢، ٤٢١، ٣٠٠/٧٧، ٤١/٨٢.

(٢) انظر سورة آل عمران: ٢٨.

(٣) راجع بحار الأنوار ١٣١/٤٢، رجال الكشي: ٨٥، روضة الواعظين ٢٨٨/٢.

(٤) راجع أصول الكافي ١/ ٣٨٠، بحار الأنوار ٤٨/ ٣٠٤، ٢٣٢/٤٩.

يجد فيها جواب مسألته، فهل يُعتبر وقوع نظير هذه الحوادث والاتفاقات غير المتوقعة مجرّد صدفة، أم ثمّة علّة تكمن وراءها؟

الجواب: «يقول الاتفاق جاهل السبب...» أي أنّ من يجهل العلّة يقول بالصدفة والاتفاق، وإنّ لجميع الحوادث عللاً وأسباباً وإن لم نكن مطّلعين عليها.

ومن جملة تلك العلل توافق الأسباب في مكان وزمان بنحو يبدو عجيباً ومستغرباً جداً. فكثير من الأشياء التي يتوهم الإنسان أنها متقاربة تصير متباعدة، أو أنّها كان ينبغي أن توجد في هذا المكان أو الزمان، ولكن يعثر عليها في مكان وزمان آخر، وعلم وجهل الإنسان بالعلل والأسباب الواقعية هو غير تأثير العلل والمعاليل، ولا يكون مانعاً من تأثيرها في أي حالٍ من الأحوال، وخرق العادة هو من جملة [أنحاء ومصاديق] تأثير العلل والأسباب.

سؤال: هل يكون تقارن العلل والأسباب من باب الصدفة؟

الجواب: إنّ نفس التقارن أيضاً من العلل والمعاليل وليس مجرّد اتفاق وصدفة، والإنسان مجرد مشاهد فقط، وليس له [لعلمه وجهله] علاقة في تأثير العلل والمعاليل وتقارنها. ومن العلوم التي اختصّ بها الله تعالى الأنبياء والأوصياءعليهم السلام هو علم الحوادث اليومية المتخالفة، لا المتفقة، الحوادث التي يتفق حدوثها اليوم على خلاف الأيام السابقة وغير المشابهة لها، وكذلك على خلاف الأيام اللاحقة أيضاً، ويعرض ما سيقع من هذه الحوادث المختلفة خلال أيام الأسبوع على إمام الزمانعجل الله فرجه في ليالي الجمعة ويمضيها، وإمضاؤها داخل في الأمر، وذلك نظير عرض حوادث السنة على الوليّ والإمام وأكمل أهل العصرعليه السلام في ليلة القدر. فهذه المطالب تعرض في ليلة الجمعة أيضاً على الإمامعليه السلام، أي الأمور الاتفاقية والمخصوصة بين الجمعتين، لا الأمور المشتركة على طول السنة.

تفسير الدعاء بجعل السمع والبصر الوارثين

سؤال: ما هو المقصود من الدعاء: «**ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعلهما الوارثين لنا**»[1] الوارد في دعاء ليلة النصف من شعبان؟

الجواب: معناه أن تبقي أسماعنا وأبصارنا سالمة إلى حين الموت ورحيلنا عن هذه الدنيا، أو أنّ المقصود هو بقاء آثارها المعنوية إلى ما بعد الموت، لتكون منشأً لحياتنا الطيّبة.

كيف لا يتحاسد أهل الجنّة ؟

سؤال: ورد في إنجيل برنابا: «**إنّ أهل الجنّة رغم اختلاف درجاتهم لا يتحاسدون**» كيف يمكن تصوّر هذا الموضوع؟

الجواب: إنّ اختلاف درجات الجنّة مثل اختلاف ثياب الناس بحسب طول قاماتهم، فإنّ أحداً من قصيري القامة لا يحسد طويل القامة على طول ثيابه.

أفعال الإنسان مع كونها اختيارية لكنها تتوقف على التوفيق الإلهي

هل يستطيع الإنسان الإتيان بالأعمال الاختيارية من دون التوفيق والتسديد الإلهي؟! يجب أن يكون ثمة توفيق وتسديد من الله لكي تتم الأعمال الاختيارية من الإنسان حين إعماله لإرادته واختياره. هذا بالإضافة إلى أنّ إتيان الأفعال الإرادية مشروط ببقاء الحياة والصحّة وعدم الموانع، فلإتيان الصلاة مثلاً يجب أن يكون ثمة عبد ساجد وراكع وقائم وأمثال ذلك، وأن يبدل عنوان السجود بالقيام ويتحول الشخص القائم إلى

(١) بحار الأنوار ٢٣/٩٥، إقبال الأعمال: ١٢٦.

راكع وساجد، وهذا كلّه من الله تعالى؛ وذلك لأن الوجود والإيجاد ـ فضلاً عن الحركات والسكنات ـ قائم به تعالى، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[1].

وما نعلمه هو أنّ الله تعالى قد أمر ونهى، وأنّنا لسنا مجبورين على الفعل والترك وأن ثمة فرقاً بين المضطرّ وغير المضطرّ، وهذا هو الذي يصحّح العقوبة.

وقد ثبت بالوجدان أيضاً أننا نرى أنفسنا في مورد التكليف فاعلين لما نشاء ومختارين وخالقين والحال أنّ الجميع مخلوق له سبحانه، وكذلك فإنّ اختيار العبد [إنّما يتحقق] على فرض إبقاء الله، ويشترط أن يبقيه الله لكي يتمكن من أداء الفعل عن إرادة واختيار.

والإنسان «فاعل ما به» لا «فاعل ما منه»[2]، ولكنه يتوهم أنه «فاعل ما منه» و أنّ الفعل صادر منه، في حين أنّه لا يعلم كم يستغرق أداء ذلك الفعل؟ وهل سينجزه إلى آخره أم لا؟ وهل سيحالفه التوفيق بأداء العمل إلى آخره أم لا، مع أنّه قاصد منذ البداية لإتيان الفعل وإتمامه إلى آخره؟

دور العقل في الاستنباط وفهم الدين

يمكن إثبات الفروع والأصول بنور العقل، وكل من يخالف القواعد والاستدلالات العقلية فهو يروّج للادينية؛ **«لا دين لمن لا عقل له»**[3]، والإقرار بالتوحيد يكون بواسطة سراج العقل، والثواب والعقاب لا يكونان إلا بالعقل: «بك

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) أي أنّه العلّة المعدّة والمهيئة للفاعل الحقيقي، لا نفس الفاعل الحقيقي والإيجادي.

(٣) مستدرك الوسائل ١١/٢٠٨ و٢٠٩، بحار الأنوار ١/ ٩٤، ٧٤/١٦٠، غرر الحكم: ٥٥.

أُثيب وبك أُعاقب»[(١)].

وحتى هذا المعنى فإنّ العقل يدركه أيضاً قبل البيان، وإنّ كون الإنسان في أعلى عليين أو أسفل سافلين يتوقف على مدى اتبّاعه للعقل أو تركه له، أفلا يأمر العقل بالهروب من المهالك والمبادرة إلى الخيرات؟!

إن على الإنسان أن يفكّر في أعمال الخير وطرق إنجازها، لكي يبتكر فكره عملاً يكون مفيداً في تحقّق الهدف، ولا يكون طالباً للمجهول.

إنّ المشكلة الأصلية في كل واقعة وفي كل حركة وسكون هي تشخيص التكليف، ثم الأكثر صعوبة منها هو العمل بالتكليف، وسلمان رضوان الله تعالى عليه بسبب تشخيصه التكليف وعمله به، واتباعه الشرع بسراج العقل «**عَلِمَ عِلْمَ الأول والآخر**»[(٢)]، ومقامات العلماء هي هكذا أيضاً.

سبيل الشكر والسعادة في تحكيم العقل

ماذا نعمل لنكون شاكرين لأنعم الله تعالى؟ وكيف يحوِّل الإنسان جميع هذه النعم الإلهية نقمةً وعذاباً عليه؟ يقول الله سبحانه: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾[(٣)].

وأيّ جنّة ستتحول لنا هذه الدنيا ـ نحن البشر ـ إذا كنّا نصغي وننصت لما تقوله القوة العاقلة، القوّة التي يمتلكها كل عاقل؟

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣٦٨/٤، بحار الأنوار ٩٧/١، ٦٠/٧٤، مكارم الأخلاق: ٤٤٢.

(٢) بحار الأنوار ١٢١/١٠، ٣٢٩/٢٢، وراجع أيضاً: بحار الأنوار ٣٥٠/٢٢، الاحتجاج ٢٥٩/١، الأمالي للصدوق: ٢٥٢، ورجال الكشي: ١٦.

(٣) إبراهيم: ٢٨.

إذا اتفق جميع أهل الدنيا بأن يكون العقل حاكماً (لا الغرائز والميول والشهوات) ولو أدى ذلك إلى أن يحكّموا العاقل، فإنّ الدنيا ستكون كجنة لهم، ينعم فيها الجميع بالهدوء والأمان والراحة.

إنّ امتياز الإنسان عن سائر الحيوانات بالعقل، فهل يجوز إهمال العقل وتعطيله ورميه جانباً، ومن ثم جعل الحياة مرّةً وكريهة لنا وللآخرين؟!

إقبال العقل وإدباره

الروايات في خلقة العقل كثيرة، ولكنّي رأيت في إحدى الروايات تتمّة لم أرها في الروايات الأخرى، ولا أتذكّر الآن في أي كتاب رأيتها.

فلقد جاء في كثير من روايات خلق العقل ما يلي: «**خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال: ما خلقت خلقاً أحبُّ إليَّ منك، بك أُثيب وبك أُعاقب**»[1].

بينما الزيادة التالية لا توجد في جميع الروايات: «**خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل،**

فقال له: من أنا ومن أنت؟

قال: أنا أنا وأنت أنت.

ثمّ قال له: أدبر فأَدبر فقال له: من أنا ومن أنت؟

قال: أنت الربُّ الجليل وأنا العبد الذليل».

---

(١) راجع: أصول الكافي ١/١٠، ٢١، ٢٦، ٢٨؛ من لا يحضره الفقيه ٣٦٩/٤، ومن مصادر العامة انظر: المعجم الكبير ٢٨٣/٨، نظم درر السمطين: ١١٢، كنز العمال ٣٨٣/٣.

وكأنّه في حالة الإقبال لم يميّز بين ما بالذات وما بالغير، [فكان] كالمرآة التي تعكس الصور، إذ كل صورة تنعكس في المرآة تتوفر على كل ما لدى صاحب الصورة، ولهذا يقول: «أنت أنت وأنا أنا».

ولكنّه عندما يلتفت أثناء الإدبار إلى أنّ ما عنده ليس بالذات، بل هو بالغير، وعندما يدرك تدنِّيه وتابعيّته [وتعلّقه] عندئذٍ يعترف ويجيب: «**أنت الرب الجليل وأنا العبد الذليل**». وإذا لم يكن لـ «أقبل» و «أدبر» هذه التتمة فإنّه لا فائدة مهمة فيهما، والفائدة المهمة هي في وجود هذين الجوابين، في حالة الإقبال وفي حالة الإدبار، وإن كان مثاباً في حال إقباله ومعاقباً في حال إدباره مع عدم وجود هذه التتمة أيضاً.

رؤية الله

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بنحوٍ يستطيع بواسطة العبودية الخالصة أن يضع قدمه في مقام أقرب من مقام الملائكة، وأن يحصل على مقامات الأنبياء والأولياء. ورؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا[١] ممكنة بنفس ملاك إمكان رؤيته في الآخرة، وقد جاء في جواب أمير المؤمنين عليه السلام لمن سأله: هل رأيت ربّك؟ قال: «**ما كنت أعبدُ ربّاً لم أره**»[٢].

وجاء في الرواية أيضاً: «**رأته القلوب بحقائق الإيمان**»[٣].

كما نقرأ في دعاء عرفة: «**عَمِيَت عينٌ لا تراك عليها رقيباً**»[٤].

---

(١) المقصود الرؤية بالقلب.

(٢) أصول الكافي ١/١٩٧و١٣٨، بحار الأنوار ٤/٤٤، ٥٢، ٣٠٤.

(٣) أصول الكافي ١/٩٧و١٣٨، بحار الأنوار ٤/٢٦، ٢٧، ٣٢،٣٣، ٣٤، ٥٣، ٥٤و٣٠٤.

(٤) بحار الأنوار ٦٤/١٤٢، ٩٥/٢٢٦، إقبال الأعمال: ٣٤٩.

مُصْحَفُ فاطمة (عليها السلام)

ليس من المعلوم كون مصحف فاطمةعليها السلام الحاوي على بيان الحوادث شبيهاً بالكتب المتعارفة. بل يحتمل أن يكون مكتوباً بالرمز، مثلاً يقوم فلان شخص مع عشرة أو عشرين شخصاً في المكان الفلاني والزمان الفلاني... وهكذا، و نظير دفتر الجفر الذي يستخرج منه العجائب والغرائب.

وقفة مع ابن تيمية حول التبرك

يعترض ابن تيمية - الذي يرى بأنّ تقبيل الأضرحة والتوسّل بأولياء الله شرك وحرام - على نفسه أنّه إذا قيل لنا: كيف كان استلام الحجر الأسود وتقبيله والتبرّك به في الحجّ، وكذلك الطواف حول بيت الله الحرام مأثوراً عن النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله وهو أمر مسنون؟! نجيب قائلين: هكذا ورد.

فهل يمكن أن يكون شيئاً ما شركاً ثم يكون مشروعاً استثناءً، ويأمر به الشرع؟! وهل يصدّق أحد بالنبيّ إذا كان مشركاً ويدعو الناس إلى الشرك؟! وهل الشرك لا مانع منه في خصوص الحجر الأسود والطواف فقط؟! وهل الشرك أصلاً (والذي هو ممتنع عقلاً) قابل للتخصيص؟!

والطواف حول بيت الله - والذي هو من الحجر - كذلك أيضاً؛ لأنّ تعظيم حجر والطواف حوله شرك وكفر في رأيكم، ولكنّه مستثنى!!

فهل الله تبارك وتعالى ورسولهصلى الله عليه وآله عندما دعوانا إلى الحج والطواف حول الكعبة قد دعوانا في الحقيقة إلى الشرك والكفر؟! وهل النبيّصلى الله عليه وآله في طوافه حول الكعبة واستلامه الحجر الأسود كان مرتكباً بنحوٍ ما للشرك والكفر ومعتقداً به؟! نعم، إنّ أئمة المسلمين وشيوخهم الذين يُطاعون ولا يُعصون يتحدّثون بمثل هذا الكلام.

مخالفة الجبر للعقل والنقل

إنّ إحدى مفاخر الشيعة أنّهم عدلية على خلاف معظم السنّة اليوم الذين هم أشعرية وجبرية، مع أنّ العقل والنقل ـ الأعم من الكتاب والسنة ـ مخالف لهم.

فهل يمكن أن يصدّق عاقل أنّ الإنسان مع كل هذه التكاليف والجنة والنار والثواب والعقاب مجبور على أعماله، وأنّه ليس له أي اختيار وقدرة في أعماله، بل إنّ القدرة والاختيار مقارنان لأعمال الإنسان فقط كما يذهب إلى ذلك أهل السنة، لا يؤثران فيها، والله سبحانه هو فاعل الخير والشر، ومع ذلك فهو يدخل عبيده إمّا إلى الجنّة أو النار؟!

وقد جاء في الرواية عن الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله أنّه قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة**»[1].

وأكثرية السنّة في الوقت الحاضر أشاعرة في مذهبهم، يقول أحدهم: سألت أحد السنة:هل يوجد الآن بين أهل السنة من هو على مذهب الاعتزال؟ فقال: هؤلاء هم الشيعة الذين في بغداد. مع أنّ الشيعة تقول: «**لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين**»[2].

وهذا كاف كميزة لمذهب الشيعة العدلية على سائر مذاهب أهل التسنن القائلين بأنّ أفعال الإنسان مبتنية على الجبر، وفي نفس الوقت يقولون: إنّ الله يدخله [إذا عصى إلى] جهنم، أفليس هذا كافياً في إبطال مذهب هؤلاء القائلين بالجبر، أو القائلين بأنّ

---

(١) مستدرك الوسائل ٣١٧/١٢، ١٨٥/١٨، التوحيد للصدوق: ٣٨٢، جامع الأخبار:١٦١، الصراط المستقيم ٦٢/٣، عوالي اللآلي ١٦٦/١، سنن أبي داود ٤١٠/٢، مستدرك الحاكم ٨٥/١، السنن الكبرى ١٠/ ٢٠٣.

(٢) الاحتجاج ٤١٤/٢و٤٥١، متشابه القرآن ١٩٣/١.

القرآن قديم، لكي نرفع اليد عن عقائدهم وأعمالهم المخالفة للعقل والنقل (الكتاب والسنّة)؟!

تعارض رواية انتظار الفرج مع شمول آية طاعة أولي الأمر لحكام الدول الإسلامية

كيف يمكن أن تكون حكومة وسيادة رؤساء الدول الإسلامية داخلة في عنوان «أولو الأمر»[1] مع أنّ الرواية الثابتة عن طرق العامّة أيضاً تقول: «**أفضل أعمال أُمتي انتظار الفرج**»[2].

فلو كان الأمر كذلك [أي كانت الآية الآمرة بإطاعة أولي الأمر تشمل هؤلاء الحكام] فإن الفرج متحقق وحاصل، فعلام انتظار الفرج حينئذ؟! فهل نريد فرجا إضافياً مع كل هذا؟! فما معنى «انتظار الفرج إذن»؟!

خلاف السنة والشيعة حول التكتف في الصلاة

سؤال: لماذا لا نتكتف في الصلاة كما يفعل أهل السنّة؟

الجواب: من المقطوع به أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لم يفعلوا مثل ذلك وكان مالك أحد أئمة المذاهب الأربعة للسنة يسبل يديه أيضاً في الصلاة.

سؤال: لماذا إذن لا تسبل باقي الفرق الإسلامية أيديها عند الصلاة؟

الجواب: عندما أُحضر الأسرى الإيرانيون عند الخليفة الثاني، وشاهدهم واقفين

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء:٥٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٠٨/٧٥، كشف الغمة ٢٠٧/٢.

وقد كتفوا أيديهم أمامه، قال: الوقوف بهذا النحو بين يدي الله أنسب. ولذا أمر بالتكتف في الصلاة.

أهل البيت (عليهم السلام) مناط معرفة سلامة الأشخاص

سؤال: هل محي الدين بن عربي ضالّ ومضلّ؟

الجواب: يجب أن يُسأل هذا السؤال من السيد محمد كاظم اليزدي رحمه الله، الذي كان محتاطاً في ذلك [فلم يُفتِ بكفره] مع جميع ما كان يتمتع به من ورع[1]. وطبعاً فلا يمكننا اتّباع محي الدين وأمثاله، والأخذ بأقوالهم والبناء على أنّ كلّ ما يقوله حقّ. بل علينا أن نتبع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في الاعتقاد والعمل وأن نكون معهم. ولكن لا يمكننا أيضاً أن نقول: إنّ هؤلاء كفّار ولا يجوز التناكح معهم؛ لأنّهم كانوا ملتزمين بالصلاة والصيام، وكلماتهم قابلة للتأويل، كأمثال بايزيد البسطامي والجنيد من أصحاب الشطحات.

وبشكل عام فموقفنا تجاه الأشخاص الذين لا نعرف كيف كانوا وكيف كانت عاقبتهم هو أنّنا نوافق كل شخص كان مؤيداً لأهل البيت عليهم السلام، ونخالف كل شخص كان مخالفاً لهم.

فعلى كل حال يجب علينا تقليد الثقلين، والثقلان هما مرجع جميع المسلمين.

ماء الساقية أصله من النبع

سؤال: هل يمكن نسبة الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله «**من عرف نفسه فقد**

---

(١) راجع: العروة الوثقى، كتاب الطهارة، النجاسات: الكافر.

عرف ربّه»[1] إلى الأئمة عليهم السلام؟

الجواب: جاء في الرواية أنّ الإمام عليه السلام سُئل: هل يمكن نسبة ما ننقله عنكم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فقال عليه السلام: «نعم».

فقيل له: هل ما تقولونه هو من النبي صلى الله عليه وآله؟ فقال: «نعم»[2]، الماء الذي في الساقية أصله من النبع.

---

(١) مصباح الشريعة: ١٣، عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٠، ميزان الحكم ١٨٧٧/٣، تذكرة الموضوعات: ١١، الميزان ١٦٩/٦.

(٢) راجع: أصول الكافي ٥١/١.





الفصل العاشر:

توجيهات متفرقة
اجتماعية وسياسية





دور الاهتمام بأمور المسلمين في نيل المقصود

هل نستطيع أن نصل بمتاعنا إلى المنزل والمستقر [الآخرة] سالمين دون أن نهتم بأمور المسلمين والمؤمنين؟ هل من الممكن أن نصل إلى أهدافنا بدون الاهتمام بأمور المسلمين؟

الوحدة في الحقّ

إنّ كل حزب وجماعة ـ سواء كانت على حقّ أم باطل ـ تدعو الآخرين أن يكونوا معها على منوالها ومسلكها، وأن يتّحدوا معها. ولكن الاتحاد الذي لا يكون في كلمة الحقّ وفي نهجه مآله إلى الاختلاف. ومهما نهانا علماء الدين عن معاشرة الكفار ومخالطتهم، وحذرونا من نجاستهم، فإننا لا ننصاع لنهيهم، ونتوهم أنّهم [العلماء] يريدون سلبنا دنيانا! ما العمل إذا كنا أطفالاً لا نصغي لتوجيهات الآباء والأمهات، ومن ثم نقع فريسة للذئاب.

وجوب الاتحاد والتضامن

مع شدة الضعف الذي يعاني منه الشيعة، وشراسة الهجمة التي يتعرضون لها، فلست أدري لم لا نسعى للتلاقي والتوافق والتآخي والاتحاد فيما بيننا، مع أنّ الوحدة أمر يقرّه حتى الكفرة ومن لا دين لهم. ولولا ذلك فحتى لو ذهب شخصان إلى القمر، فسيسعى كل منهما للقضاء على الآخر هناك ليبقى القمر له وحده.

التقية طريقة الأئمة المعصومين (عليهم السلام)

إنّه لأمر عجيب. إذا قال قائل: إنّك تدّعي أنك قرأت الروايات، وتذكر لكل مطلب رواية، فكيف لم تفهم إلى الآن ذوق أهل البيت عليهم السلام؟ ولا تعلم إلى الآن ماذا كان يعمل الأئمة الأطهار عليهم السلام؟ وما الذي عملوه؟ وما الذي لم يعملوه؟ فماذا نقول في **الجواب**؟ ما كان مذاق الأئمة عليهم السلام من علي عليه السلام إلى الإمام الغائب عجل الله فرجه؟

نعم، لقد كان مذاق علي عليه السلام هو وجوب التقية، بدليل جلوسه في البيت خمسة وعشرين عاماً. بل في مدّة خلافته الظاهرية التي استغرقت خمس سنوات، كان الأمر دائراً بين أن يرفض كل ما كان ممن قبله، أو يتماشى معهم في سبيل حفظ الإسلام، فكان هذا هو طريق الإمام علي عليه السلام. وكذلك كان الإمام الحسن بن علي عليهما السلام...الخ.

وأمّا طريقتنا في عصر غيبة إمام الزمان عجل الله فرجه فلا هي الجلوس في الدار، ولا الحرب بل طريقة ثالثة، أي أنّ التقية هي طريقتنا.

قراءة الشعر في مدح أهل البيت (عليهم السلام)

سؤال: هل يُكره قراءة الشعر في ليلة الجمعة؟

الجواب: يُكره إنشاد الشعر المناسب للسهرات الليلية ومجالس الأنس واللهو، ولا يُكره الشعر الذي فيه ذكرٌ لله تعالى ومناجاته، أو الذي أُنشد في مدح الأئمة الأطهار والنبي صلى الله عليه وآله[1].

(١) انظر: وسائل الشيعة ٤٠٢/٧، روايات باب ٥١، مستدرك الوسائل ٩٩/٦، روايات باب ٤٣.

في ليلة عيد الغدير وأمثالها

علينا في ليالي عيد الغدير وأمثالها كليلة التاسع من ربيع [ليلة عيد الزهراء عليها السلام... الخ] أن نذكر بالدليل والبرهان فضيلة هذه الليالي والأيام وصاحبها، ومطاعن أعدائهم والأحاديث الواردة في الولاية. وذلك من أجل تقوية العقائد المذهبية للمستمعين، لا أن نقضي أمثال هذه المجالس باللهو واللعب والضحك.

لماذا نحن الشيعة جاهلون إلى هذا الحدّ بفضائل أهل البيت عليهم السلام؟!

حاجتنا إلى اليقظة

كيف نتصرف وسط هذه الأحزاب المختلفة لكي نبقى محافظين على ديننا، ولا نميل إلى هذه الجماعة أو تلك من أجل الأمور الدنيوية؟

والويل لنا إذا اتضح أنّنا لسنا من أهل الدين؛ لأنّ كل ظلم ومعصية موجودة بالفعل عند الآخرين هي موجودة عندنا بالقوّة. ونسأل الله أن لا تتهيأ لنا الظروف التي تهيأت لهم، وأن لا نُبتلى بامتحاناتهم. ونسأل الله أن يوفقنا وينبِّهنا حين يضعنا في الابتلاء والاختبار، لكيلا نرى الحسن قبيحاً والقبيح حسناً. فقد كان عيسى عليه السلام يهرب من الأحمق، وهو الشخص الذي لا يفهم، ولا يفهم أنّه لا يفهم.

نحن في حالة خراب ونسأل الله أن ندرك أنّنا كذلك، لنفكر في الإصلاح والعلاج.

وجوب الذهاب للتبليغ بالنسبة لأهل العلم

تكاد تخلو المدن والأطراف من مشايخ العلماء. إنّ أهل العلم هم الذين يخبرون الناس عن دقائق أمور دينهم، ويحفظونه لهم، ويعرّفونهم ضروريات الدين. لقد ذهب أحدهم إلى إحدى المناطق، فوجدهم يدفنون موتاهم في الجدران! وكم من الشيعة في

البلاد الإسلامية أو غير الإسلامية، لا يستطيعون الوصول إلى أحدٍ من أهل العلم ليسألوه عن مسائل دينهم الأولية. فهنالك في تركيا عشرة ملايين من الشيعة مشتتون في أماكن مختلفة، ولكن هل يوجد بينهم عشرة علماء بمستوىً يمكنهم من تعليمهم رسالة الأحكام الشرعية؟ يوجد كذلك عشرات الملايين في أنحاء أُخرى من العالم، أفلا يجب أن نفكّرِ في هؤلاء؟!

ثواب تحمّل الأذى والإهانة في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يستفاد من التناسب والتقارن بين جملة ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ مع جملة ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ في الآية الشريفة: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾[1] أن الصبر والتحمّل وتلقي الإهانات واعتبارها كالحلوى والطيّبات من لوازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نعم، فضيلة الصبر والتحمّل هي أعلى درجة بكثير من الثناء في غير محلّه.

قراءة العزاء والمشاركة في أعمال الخير

كان أستاذنا[2] يلقي دروسه في علم أصول الفقه بعد الغروب، وفي إحدى الليالي ارتقى المنبر خطيب [قارئ عزاء] قبل بدء الأستاذ بدرسه وأطال في خطبته [وقراءته]

(١) لقمان:١٧.

(٢) هو المحقّق الكبير المرحوم الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمباني «١٢٩٦ ـ ١٣٦١»، له تأليفات عديدة منها: حاشية على كتاب الطهارة للشيخ الأنصاري، وحاشية على كفاية الأصول، ونهاية الدراية في شرح الكفاية.

إلى حدّ زاحم وقت الدرس، فصاح به الطلاب بسبب طول خطابه، فردّ عليهم الأستاذ قائلاً: [دعوه إذ] لا ندري لعلّ عمله أفضل من عملنا.

من الجيّد أن يكتب الإنسان اسمه في كل عمل خير ويكون شريكاً فيه؛ لأنّنا لا نعلم أي الأعمال سيُقبل في يوم القيامة وأيّها سيُردّ، ولهذا فمن المناسب أن لا يكتفي الإنسان بأنّ يكون عالماً أو مبلّغاً أو صاحب العمل الفلاني، فلعلّها تردّ بأجمعها، لأنّ لأعمال الخير شروطاً وموانع كثيرة جداً، لعلّها لا تراعى أثناء تأدية العمل.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن يفكّر الإنسان بعمل الخير وطريقة أدائه، فلعلّه يبتكر طريقة تكون مفيدة في الوصول إلى الهدف.

معرفة الطريق قبل السير

هل وجدنا الطريق حتى نسير فيه؟ فنحن ومنذ اليوم الأول، أتينا بعمل كانت نتيجته أن صرنا أذلاّء وضعفاء، وأصبح الكفار أعزّاء وأسياداً لنا. وأخذوا يتصدّقون علينا بأموال نفطنا وثرواتنا، ونحن مستعدون في كل لحظة أن نكون ضحايا لنزواتهم ورغباتهم عندما يريدون.

طريق تحقيق الانسجام في الجو العائلي

إنّ الانسجام والتوافق الأخلاقي بين المرأة والرجل في جو العائلة لا يمكن إحرازه مائة بالمائة لغير الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وإذا أردنا أن نجعل جو العائلة حارّاً ومقروناً بالصفاء والإخلاص، فيجب علينا فقط الصبر والاستقامة والعفو وغض النظر والرأفة ليكون جو العائلة حاراً ونورانياً. فإذا لم توجد هذه الأمور فإنّ الاصطدام آتٍ لا محالة وجميع الاختلافات العائلية ناشئة من عدم مراعاة هذه المسألة.

وجوب متابعة أحوال المحتاجين وجمع التبرعات لهم

جاء في الرواية: «**إنّما يرحم الله من عباده الرحماء**»[١].

علينا أن نهتم بمتابعة أوضاع بعضنا جميعاً، لا أن ينحصر الاهتمام والتفقد بصنفنا من أهل العلم.

ولعل إحدى الحكم من حضور صلاة الجماعة أن يطَّلع كل منّا على أحوال الآخر وأن يتابع كل منّا أوضاع صاحبه، وأن لا نبتعد عن بعضنا؛ ولا يغفل أحدنا عن الآخر حتى إذا وجد مضطرّ بيننا نسعى في رفع اضطراره.

وإذا أخذنا ـ في سبيل هذا الغرض ـ من كل شخص توماناً مثلاً في كل يوم أو كل شهر ـ وهو شيء لا قيمة له ـ فالله يعلم كم سيجتمع من الأموال في المدينة الواحدة وكم ستقضى فيه حوائج المحرومين في المجتمع، وكم من الابتلاءات سترتفع عن الناس. وهذه توفيقات ربما لو كان المرحوم الشيخ كاشف الغطاء حيّاً لحكم بوجوبها؛ لأنّه كان جرئياً على إصدار مثل هذه الفتاوى العامّة الانتفاع. والله يعلم كم لمثل هذه التبرعات والإعانات من فوائد، وكم ترفع من مضارّ! بذل تومان واحد في كل يوم ليس شيئاً يُذكر، وهو متيسّر لكل واحد منّا! ولكن ماذا نعمل وقد فقدنا الثقة ببعضنا، ولم نعد نشعر بالطمأنينة فيما بيننا.

---

(١) مستدرك الوسائل ٣٨٦/٢و٤٥٨، بحار الأنوار ٩١/٧٩و١٠١، الجعفريات: ٢٠٨، دعائم الإسلام ٢٢٥/١، مسكّن الفؤاد: ١٠٥، وانظر أيضاً :مستدرك الوسائل ٤٦٠/٢و ٤٦٤.

وجوب تأسيس الجمعيات الخيرية لإعانة المحتاجين

يجب أن نجلس ونفكّر سويّة في كيفية القضاء على المحرومية في المجتمع بالتدريج، وقد أُسست في بعض المدن الجمعيات الخيرية، كما أنّ هنالك أشخاصاً أخذوا على عاتقهم مساعدة الأيتام والعوائل التي لا كفيل لها، ولكن لا علم لي عن استمرارها. وهؤلاء لم يكونوا يذكرون مصدر الإعانة لمن يساعدونه، وكانوا يقتصرون على القول بأنها من إمام الزمان عليه السلام.

استعمال مكبرات الصوت في المساجد

لا إشكال في تشغيل مكبرات الصوت في المساجد والمجالس الحسينية بالمقدار الذي لا يزعج النيام ويمنعهم من النوم، وأما رفع صوت المكبرات بالنحو الذي يمنع النوم فهو خلاف سيرة المتشرّعة؛ لأنه من الممكن أن يوجد من جيران المسجد أشخاص مصابون بمرض القلب مثلاً، أو آخرون ممن يضطرون للنوم مبكراً ليتمكنوا من النهوض لعملهم صباحاً ليؤمنوا لقمة العيش لعوائلهم، ورفع أصوات المكبرات بهذا النحو يمنعهم من النوم. أفلا يكون إزعاج مثل هؤلاء محل إشكال؟!

إنّ على الإنسان المسلم «الداعية» الذي يريد أن يتمدّن بمدنية الإسلام، ويدعو الآخرين للإسلام، أو يسعى إلى تثبيت المسلمين على إسلامهم لئلا يفرّوا إلى بلاد الكفر، أن يعرف الحقوق والحدود الإسلامية بنحو كامل ويعمل بها. وربما كان إيجاد أمثال هذه التصرفات المؤذية والمزعجة للآخرين حراماً علينا حتى في حق غير المسلم.

ومن خلال رعاية الأخلاق والسلوك الإسلامي الصحيح نجذب الآخرين للإسلام والمسلمين، حتى لو لم يكونوا مسلمين أصلاً.

أهمية المشاركة في جميع الأمور الخيرية

من الجيد أن يغتنم الإنسان الفرصة، ويأتي بكل عمل خيرٍ يعرض له ويقدر عليه، ولا يحرم نفسه من الثواب.

ولا ينبغي أن نستصغر قوله تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[1]؛ لأنّنا غداً في يوم القيامة سنكون بأشد الحاجة إلى كل واحدٍ من هذه الخيرات. ومن أعمال الخير والأمور المهمة مسألة رعاية الأيتام وتفقد شؤونهم ولو بالخفاء، وكذا إرسال الطعام الجاهز والمطبوخ إلى المحتاجين، وهو أمر كان شائعاً في الماضي بين العلماء والمراجع، وكذلك بين الأئمة الأطهار عليهم السلام.

عدم المبادرة إلى أعمال الخير سببه انعدام التوفيق لا انعدام المال

كانت مدينة البصرة سابقاً في يد إيران حتى أيام كريم خان زند، وكانت بغداد أيضاً تحت نفوذ الشاه عباس ستة عشر عاماً على ما أظن، والأراضي التي في أطراف مدينة الحلّة أعطاها الشاه طهماسب المحقّق الثاني قدّس سرّه، وقد ذكر في السند الذي كتبه له قرية باسم «العباسيات» أيضاً، وكنّا نمرّ من خلالها عندما نريد الذهاب من كربلاء إلى النجف. وما زالت إلى الآن محطات القوافل التي بناها الشاه عباس موجودة في العراق في وسط الطريق بين النجف وكربلاء، ويوجد في إيران أيضاً نظير تلك المحطات.

وما أعظم وأكثر المباني التي بناها أهل الخير وبقيت أثراً تاريخياً! ولكن الأثرياء في هذه الأيام لا يمتلكون مثل هذه التوفيقات.

---

(١) المجادلة: ٦.

إن عدم المبادرة إلى الأعمال الخيرية كالصدقات الجارية، وبناء البنايات الخيرية العامّة المنفعة، والمساجد والحسينيات والحمامات والمدارس والمستشفيات، مما قد حُرم الناس منه هذه الأيام، لا بسبب عدم المال بل لعدم التوفيق.

خصائص المجتمع التوحيدي

ألا يُفترض أن نقلق لأنّنا متدينون على هذا النحو؟! إذا كان الشيعة الصادقون هم من «**يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا**»[1]، فهل نحن كذلك؟ وهل نحن شركاء للأئمة عليهم السلام في أفراحهم وهمومهم وغمومهم؟! وهل من الممكن أن نكون شيعة تمرّ علينا ليلة من غير أن ندعو لهلاك أعداء الإسلام وأهل البيت عليهم السلام؟! أو أن نكون في دعائنا غير مخلصين؟!

إذا كان دعاؤنا مقروناً بالبكاء، فمعنى ذلك أنّنا نتقدّم إلى الأمام، وإذا ما متنا أو استشهدنا فقد تحقّق مقصودنا. والآن فانّ إخواننا وأخواتنا في المذهب والدين يرزحون تحت الضغط والأذى، ونحن جالسون لا أُباليين نقضي أيامنا براحة. فإذن لا ضير في أن يقابلوننا غداً بنفس الموقف إذا وقعنا بالضيق والشدّة، في حين ينبغي أن يكون المجتمع التوحيدي بنحوٍ إذا تعرّض جزء منه للأذى فإنّ الأجزاء الأخرى لا تقف مكتوفة الأيدي.

وقطعاً فإنّ أولئك الصادقين في دعائهم والمحزونين بحزن أهل البيت عليهم السلام والمسرورين بسرورهم يبصرون ويشاهدون أموراً [خاصة] وليسوا مثلنا معصوبي الأعين وعميان.

(١) بحار الأنوار ١١٤/١٠، ٢٨٧/٤٤، جامع الأخبار: ١٧٩، الخصال ٤٦٣/٢، غرر الحكم: ١١٧.

نسأل الله تبارك وتعالى أن لا نكون ممنّ يدعو لتعجيل فرج إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف بألسنتهم، ولكنّهم يؤخّرون ظهوره بأعمالهم.

وجوب مواساة المؤمنين

يقول سعدي:

إنّ بني آدم أعضاء بعضهم لبعض خلقوا من جوهر واحد.

فلئن آلمت الحوادث عضواً منهم، لا يبقى لبقية الأعضاء قرار.

وقد نقل المرحوم الشيخ عباس القمي في سفينة البحار رواية وكأنّ هذا الشعر مقتبس منها[1].

وإذا قُدّر لأحد أن يتتبع الأمثال والحكم والأشعار، فإنّه يستطيع جمع مجموعة كبيرة من الآثار.

وقد جاء في إحدى الروايات ما مضمونه: أحياناً يشعر المؤمن بالحزن والأسى دون أن يعرف سبباً لذلك، وعلة ذلك أن مؤمناً آخر في أقصى نقاط الأرض قد أصابه بلاء وربما يكون ارتفاع البلاء عنه سبباً في فرح وسرور بقية المؤمنين، وربما كان مؤمن واحد سبباً لنزول الرحمة والبركة على بقية المؤمنين.

أفلا يجب أن نحزن على ما يصيب المسلمين جميعاً من ألوان البلاء وخاصة الشيعة منهم؟! وهل ينبغي أن نكون لا أُباليين؟! أو ينبغي أن يكون قلقنا وحزننا وكأن البلاء قد نزل علينا نحن؟!

---

(١) قد ورد هذا المضمون حسب تفحصنا في مجموعة من الروايات، ولكن الكلام في جميعها عن المؤمنين لا جميع الناس، انظر: أصول الكافي ١٦٦/٢، بحار الأنوار ١٢٧/٢٠، ١٤٨/٥٨و ١٥٠، ٢٣٤/٧١، ٢٦٨، ٢٧٤ ،٢٧٧، ٢٨٠، مستدرك الوسائل ١٢/ ٢١٧و ٤٢٤.

وإحدى العلامات المذكورة لآخر الزمان وقيام الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف هي أنّ ظهوره يكون عند «قسوة القلوب»[(١)].

وعلى كل حال فقد أتمّوا الحجة علينا، فإذا ما عرفنا تكليفنا وعملنا به هذا الزمان يحق لنا أن نرمي بعمائمنا فرحاً نحو السماء. وفي الموارد التي لا تجري فيها أصالة البراءة، مثل موارد الدماء والأموال الخطيرة والأعراض والإسلام وضروريات الدين علينا العمل بالاحتياط.

وجوب علاج الحوادث قبل وقوعها

ألا ينبغي علاج الحوادث قبل وقوعها؟! ألا ينبغي أن نحتمل مثلاً ـ نحن الذين نعيش في قم ـ أن يهجم علينا الكفار يوماً من خلف جبال قم؟!

أفلا يُحتمل أن يتكرّر وقوع هذا الأمر كما وقع فعلاً[(٢)]؟! وهل نحن مطمئنون إلى عدم تكرّر أمثال هذه الحوادث؟! وهل نيأس إذا اجتمعنا مرّة ولم نعثر على طريق للحلّ أو يجب علينا الاستمرار في مجالس البحث عن حلّ إلى أن نصل إلى حلّ نهائي؟! وهل ييأس الكفار من التخطيط أو من أعمالهم ومشاريعهم، أو أنّهم يقدمون على العمل والمشروع الذي يحصلون منه على نتيجة ولو بعد ٢٠٠ أو ٣٠٠ سنة؟!

---

(١) راجع: بحار الأنوار ١٦٣/٥١، ١٥١/٥٢، ٣١٨/٥٣، الاحتجاج ٤٧٨/٢، إعلام الورى: ٤٤٥، الخرائج ١١٢٩/٣، الصراط المستقيم ٢٣٦/٢، الغيبة للطوسي: ٣٩٥، كمال الدين ٥١٦/٢، وفي جميعها ورد هكذا في التوقيع الشريف عن الحجةعجل الله تعالى فرجه الشريف: «**وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب**».

(٢) إشارة إلى الهجوم الصدامي على مدن إيران وقتل النفوس وهتك الأعراض وقصف المدن بالصواريخ والطائرات والقتل الجماعي للناس.

لماذا لا نتأثر بمصائب أهل الإيمان؟

نُقل أنّ قتل ألف شخص في ساحة الحرب[١] نظير ذبح ألف شاة، ومع ذلك فإنّنا غير متأثرين لما يقع، فهل يروق لك أن يُصَبَّ على رأسك غداً البلاء أيضاً، ولا يرتفع صوت من أحد ولا يتأثر بذلك أحد؟ بل يحتمل كثيراً ألاّ يتأثر بذلك أصحاب المقامات العالية[٢] أيضاً، أفلا نتأذى من ذلك؟! ومع أنّنا نتأذى إذا لسعتنا حشرة ولا يقرّ لنا قرار، فلماذا إذن لا ننزعج ممّا يقع على رؤوس المؤمنين والمؤمنات من القنابل والصواريخ؟! وكيف نفسّر انزعاجنا من لسعة بعوضة ولا ننزعج من وقوع هذا البلاء والعذاب على رؤوس المسلمين،مع أنّه قد جاء في رواية: «**أحبب لأخيك ما تحبّ لنفسك**»[٣]، وجاء أيضاً: «**واحذر كل عمل يرضاه عامله لنفسه ويكرهه لعامة المسلمين**»[٤].

تكليفنا إزاء الابتلاءات الصعبة للشيعة

لماذا نترك تكليفنا نحن الذين لا قدرة لنا للدفاع عن أنفسنا أمام القوى العالمية الكبرى التي اجتمعت على سحقنا وتدميرنا، ولا نستطيع بحسب الظاهر محاربتها؟! إنّ تكليفنا الفعلي إزاء هذه الابتلاءات والحروب الهادفة لإبادة الشيعة في إيران والعراق

(١) في الحرب العراقية الإيرانية.

(٢) المراد أولياء الله أو ملائكة الرحمة ووسائطها.

(٣) الكافي ١٧٠/٢، وسائل الشيعة ٢٠٦/١٢، ٢٥/١٦، بحار الأنوار ١٦٨/٧٠، ٢٤٣/٧١، ١٠٧/٧٢، ١٢٥/٧٤، ٢٣٧/٨١، الاختصاص:٢٧، أمالي الطوسي:٥٠٨.

(٤) بحار الأنوار ٥٠٨/٣٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤١/١٨و٤٤، غرر الحكم: ١٥٨، نهج البلاغة: ٤٥٨ رسالة: ٦٩.

ولبنان وباكستان وأفغانستان... الخ هو الدعاء والتوسّل بالإمام الحجّة(عج)، وتوصية الآخرين بالدعاء وحثّهم عليه. لِنَدْعُ بدعاء الإمام(ع) له، وليكن دعاؤنا دعاء التائب. وطبعاً فإنّ التوبة عن كل شيء بحسب ذلك الشيء، فإذا كُنّا قد أتلفنا مالاً لأحد ما فيجب علينا أولاً إرجاع ذلك المال إلى صاحبه، ثم نستغفر الله تعالى عمّا صدر منّا من هذا الذنب.

نعم لقتل مائة وخمسين ألف إنسان وكلا لقطع يد السارق!

لقد قتلوا في هيروشيما حوالي تسعين ألف إنسان من الشعب الياباني خلال لحظات بالقنبلة الذريّة، ولم يَنْدَ لهم جبين. ومثل هؤلاء الذين لا يمتنعون من ارتكاب مثل هذه الجرائم، في سبيل السيطرة على الشعوب، يعترضون على الإسلام في قطع يد السارق محتجين بأنّ ذلك قسوة وخشونة [مع عظمة آثارها الايجابية في حفظ الأمن الاجتماعي] فكم من الأموال تحفظ بسبب قطع هذه اليد، وكم هي الأجواء الأمنية التي توفرها لسعادة الناس في المجتمع.

بين مؤامرات الأجانب وفشل الأنظمة

لقد جاؤا مرّة إلى المرحوم السيّد اليزدي[1]، و طلبوا منه الإفتاء بالجهاد ضدّ الدولة الإسلامية العثمانية و لصالح بريطانيا، وطبعاً متعللين بأنّ العثمانيين ظلمة فالمطلوب منه الإفتاء بالجهاد للقضاء على الظلم والظالمين، ولكنّه لم يرضخ لذلك.

فهل تصلح الأوضاع بإزالة ظالم وقيام ظالم آخر مكانه؟! لقد كان أقصى هدف

---

(١) صاحب العروة الوثقى.

حركة المشروطة هو القضاء على ظلم واستبداد الدولة القاجارية، و[تحت شعار] لزوم تسمية مجلس البرلمان بيت العدالة بدلاً من مجلس الشورى، ولكن من أين يُعلم أنّ بيت العدالة سوف لن يكون بيت الظلم؟!

نعم، فالرشوة تتحكم في جميع الإدارات ولكن أيّ دولة تعترف بذلك أو تتمكن من الإصلاح؟!

اللجوء إلى بلاد الكفّار

لقد وصل بنا الأمر، أن صار على المسلم إذا أراد الفرار من شّر حكومته، أن يلجأ إلى الكفّار. والويل للمسلمين الذي يلجأون إلى الكفّار بسبب ظلم بعضهم البعض وطبعاً فهذا الأمر هو باختيارنا [وأسبابه بأيدينا]. وإنّما تسلّط الكفار على بلادنا الإسلامية، وصرنا أذلاء بأيديهم بهذا النحو، بسبب ارتشائنا نحن المسلمين.

بيانان حول الانتخابات

البيان الأول:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيد الأنبياء محمد وآله السادة الأوصياء الطاهرين.

وبعد، حيث إنا قد تعرضنا للسؤال حول المشاركة في الانتخابات مراراً، فها نحن نبيّن هنا ما قلناه في تلك الأجوبة.

وأتناول هنا كل من النواحي الإيجابية والسلبية. فالذين يريدون المشاركة في التصويت والانتخاب، عليهم أن يلتفتوا إلى أن من يملك الحق في أن يُنتخب ويكون أميناً للمؤمنين في الدين والدنيا، يجب أن يكون من الرجال ذوي العقول الكاملة الكافية والإيمان الكامل، ومن الشيعة الاثني عشرية، ومن أهل العلم بالمسائل الشرعية في الأمور الخاصة والاجتماعية، وأن يكون كذلك من ذوي الشجاعة.

وأن يكون من أولئك الذين «**لا يخافون في الله لومة لائم**» في مواقفه وتروكه، وأن يكون بعيداً عن الرشاوى والترهيب ونحو ذلك.

لا تنظروا إلى حاله لحدّ الآن، بل انظروا ماذا يجب أن يكون من الآن فصاعداً، وما الذي يجب ألا يحصل.

ويجب أن يكون تقياً يخاف الله عزّ وجلّ، ويقدّم إرادة الله عزّ وجلّ على كل شيء. وإذا كان فاقداً لبعض الصفات، فهو ليس أهلاً للائتمان، والتصويت لفاقد الشرائط لا اعتبار له. بل هو غير جائز أيضاً، والمشكوك كذلك متروك.

والفحص أيضاً يجب أن يكون تاماً، ومن دون دخالة الصداقات والعداوات والأمور النفسانية.

ليعلم بأن الله العظيم عزّ شأنه ناظر إلى كافة الخصوصيات المتعلقة بالجميع حين التصويت وعمليات الانتخاب.

وأولئك الواجدون للشرائط والخصوصيات المذكورة ممن يجوز انتخابهم وترشيحهم، يصبح انتخابهم مع القدرة عليه واجباً، فيما لو علم أو احتمل أنه بترك انتخابهم سيكون الفوز لفاقد بعض الشرائط.

انظروا إلى دول الكفر كيف يَنتخبون ويُنتَخبون، ومن ينتخبون، ومن أي طريق يُنتخب هؤلاء، وما هي الآراء التي يطرحونها في مجالسهم، والأعمال التي تقوم دولهم بها وفقاً لقانون بلادهم وخلافاً لقانون العقل والدين حتى أديانهم المنسوخة، مما فساده وإفساده واضح لجميع عقلاء الدنيا... وخالفوهم في كيفية أعمالهم وأنحاء وسائلهم وأسبابهم ومسبباتهم، مما لا يتطابق مع أي دين أصيل أو قانون يرتضيه العقل.

عصمكم الله وإيانا من الزلاّت كلها بمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

البيان الثاني:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد الأنبياء محمد وآله سادة الأوصياء المطهرين.

[نذكر أموراً] في الجواب عن السؤال المتكرر حول الانتخابات، مع الإشارة إلى ما نبّهنا عليه العام الماضي من البيانات التي لا تختص بزمان ومكان، والتي انطوت على التعيين التوصيفي [من خلال ذكر الأوصاف] والذي هم أتمّ وأعم وأحسن وأكمل وأدوم من التعيين الاسمي [بواسطة ذكر الأسماء].

روي عن حذيفة رضوان الله عليه أنه قال: «**كانوا يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر**».

علينا أن نعرف ما هو الشر، ومن هم أهل الشر، لنفر [منه و] منهم، وما هو الخير، ومن هم أهل الخير، لنفر [إليه و] إليهم.

على المنتخبين أن يكونوا متبصّرين ومحتاطين في تطبيق الكبريات على الصغريات والكلّيات على الجزئيات.

وأن يقدّموا رضا الله تعالى على رضا غيره، وأن يتفحصوا عن العقلاء المتدينين الذين هم أصلح، ولا يتوقّفوا في الأمر الواضح، كما لا يتحركوا في ظل الظلام [والعتمة].

وأن يبتعدوا عن بذل الرشوة وأخذها (**مما هو طريقة دول الكفر**) وليكونوا مع

المتدينين من العقلاء المحيطين بالمسائل الشرعية، وذوي الإيمان اعتقاداً وعملاً وأصحاب التقى والتدبير والشجاعة والاتزان الفكري والمسلكي، وليتركوا غيرهم، ولا يورّطوا المسلمين بالمشاكل، ولا يُقدموا على عمل لا تدارك من الندم عليه.

ابتعدوا عن بيع الوطن وبائعيه، فذلك غاية ما يرغب فيه دول الكفر.

تأمّلوا في عواقب الذين باعوا أوطانهم لدول الكفر. فلقد شاهدنا ونشاهد أنهم لا يفون لأتباعهم وأدواتهم إلاّ إلى حين لا يجدون من ذلك مناصاً، وبعد ذلك لا يبقى لأتباعهم سوى الندم وعاقبة السوء.

علينا أن نعلم أنّه ليس هناك نقص في البلاد الإسلامية إلاّ وهو منسوب إلى دول الكفر، والمنسوب إليهم هو نقص في الإسلام والإيمان أو مما ينتهي إلى ذلك.

ليس بمقدور أحد غير المعصومين عليهم السلام أن يقول: «**إني أعلم كل شيء أو أراه**» وليس بمقدور أحد أن يقول: «**إني لا أعلم شيئاً والعتمة تلّف كل شيء عندي**» بل كل عاقل عادي يعلم أموراً، وعليه أن يتحرك طبقها ولا يتوقف، بل عليه أن يستخرج المجهولات من معلوماته، بمقدار ما يسعه ذلك. وثمة أمور يجهلها، وعليه الاحتياط والتوقف [فيها] والفحص، لئلا يبتلى بندامة لا تعوّض.

وهذه المطالب [إنما ذكرت] إجابة على الأسئلة، مشتملة على البيانات التي فيها إتمام للحجة وتأكيد لها، لكي لا نوقع أنفسنا والآخرين من المؤمنين في الضلالة نتيجة التهوّر وترك التبصّر أو التساهل [و المسامحة].

بالنسبة للمتحيّرين والمتردّدين قلنا لهم [وجهناهم] ونقول:لاحظوا أي الحزبين متوافق ـ أو أكثر توافقاً ـ مع ولاية علي عليه السلام، وأيهم ينتظر المهدي اعتقاداً وعملاً، أو هو أشد من الآخر في ذلك. من منهما أحدث تغييراً في الأمور الدينية أو لا يحدث.. أيهما المتّزن في تفكيره، وأيهما المتلوّن عقيدة وعملاً. من منهما يمتلك ملكة التقوى والصدق

والائتمان، أو الدرجة الأقوى من ذلك. من منهما يشبه أهل الكفر والنفاق في صفاته، ومن الأكثر بعداً من ذلك الشبه. [وباختصار] وبالجملة من الأقرب منهما إلى الله تعالى و خاتم الأنبياء وخاتم الأوصياء صلوات الله عليهم وعجل فرجهم.

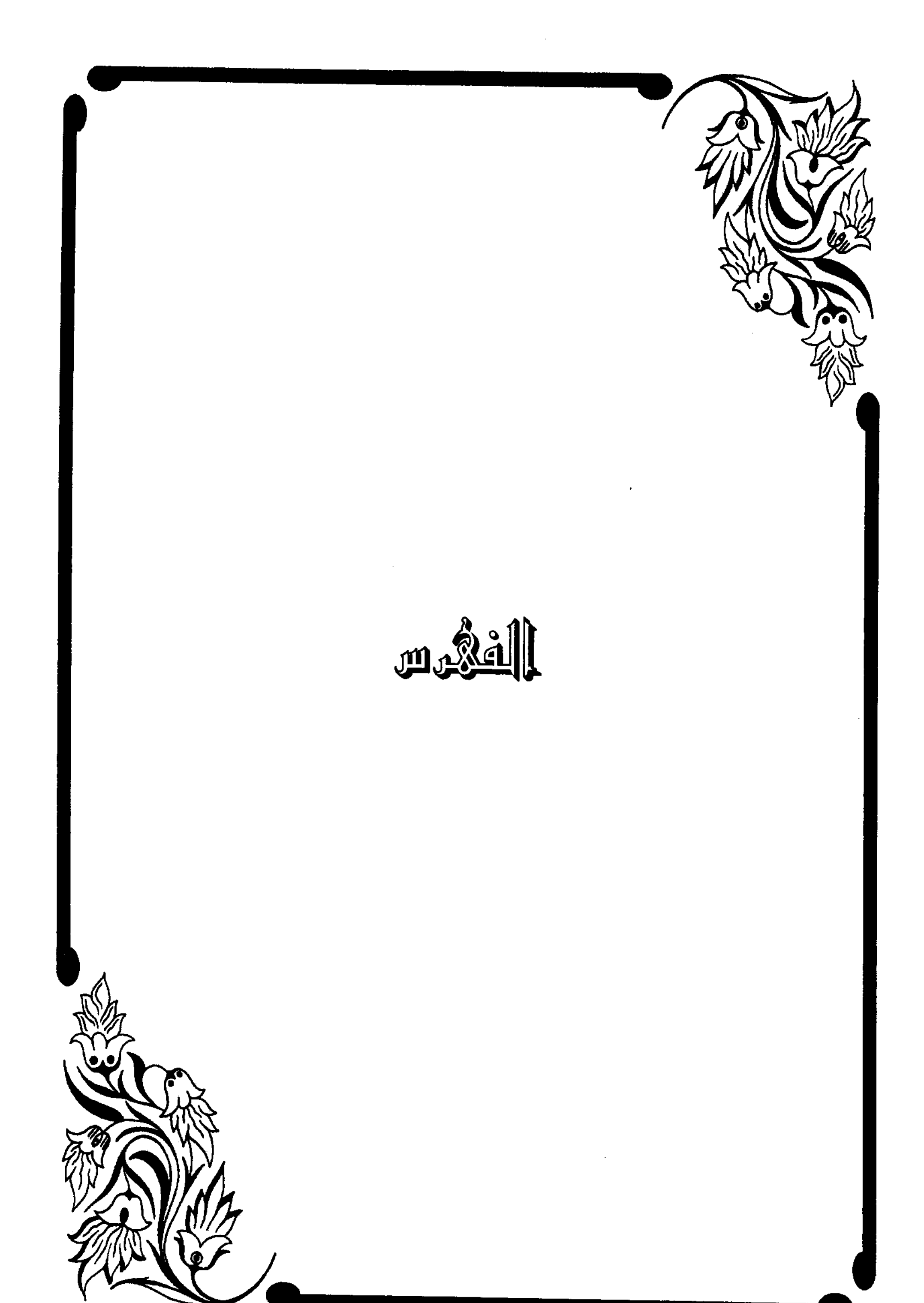
نطلب إلى الله تعالى توفيق جميع المؤمنين لمراضيه وتجنب ما يبغضه في كل مكان وحال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأحقر محمد تقي البهجة

١١ محرّم الحرام ١٤١٨ هـ ق.





الفهرس



الفصل السادس:

الفصل التاسع:

الفصل العاشر: